مجلة المجمع العلمي العربي

المجلد الثامن والثلاثون

الجزء الأول		المجلد الثامن والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٣ م

شعبان سنة ١٣٨٢ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
{ وفي سائر الأقطـــار ١٢٠٠ قرش سوري

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتّاب في هـذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

المصطلحات العلمية العربية

في بغداد [1]

المصطلحات في القديم :

إذا قال قائل : « بغداد مهد المصطلحات العربية القديمة في العلوم والفنون والفلسفة » لا يكون مشتطاً في قوله هذا ولا يكون من المخطئين . فمن المعروف أن العربية المُضَرية لم تكن قبيل الإسلام من اللغات المنحطة ، بل كانت لغة هجائية فيها أدب وشعر وحكم وأمثال وأساطير ، وفيها ألفاظ عديدة تعبر عما كانت القبائل تعرفه في ذلك الزمن : كنبات الجزيرة العربية وحيوانها وتضاريس أرضها ، وكخلق الخيل والأنعام وأمراضها ، وكزراعة الحبوب والنخل والكرم وغيرها ، وكالأحوال الجوية والنجوم والحساب الخ . ولكن هذه المعارف وأشباهها كانت بدائية لا يمكن عدها علوماً ، وكان معظم ألفاظها عربيّ النّجار ، ولكن قسماً منها كان اقتبسه عرب الجاهلية من الفارسية كالجُلّاب والجُلَّنار والسندس والدسكرة والإبريق والدولاب والكعك والسميد والخشاف والديباج ، أو من السنسكريتية كالزنجبيل والجاموس والفلفل والصندل والكافور والقرنفل والمسك ، أو من اليونانية كالقسطاس والفردوس والقنطار والقبان والترياق ،

(١) دعي الأمير مصطفى الشهابي الى المشاركة في الاحتفالات التي أقيمت في بغداد ، بمناسبة الذكرى الألفية لمدينة السلام وللكندي فيلسوف العرب ، فحالت موانع صحية دون سفره . وبناء على رغبة لجنة الاحتفالات بعث اليها بهذا البحث الموجز والمكثف .

أو من السريانية (ومعظمها ألفاظ دينية أو زراعيـة) كالكنيسة والبيعة والكهنوت والناقوس والمسيح والشماس والفدان والنورج والناطور والأكّار والفجل والزعرور والبلوط ، أو من العبرية كالتوراة والشيطان وجهنم والأسباط ، أو من الحبشية كالنجاشي والمنبر والمصحف والتابوت والحواريين .

ومن المعروف أيضاً أن القرآن الكريم هو كتاب دين ودنيا جميعاً ، وأن المسلمين سارعوا في زمن الراشدين والأمويين إلى فهم آياته ، وإلى فهم حديث النبي العربي ﷺ فهماً صحيحاً ، فنشأ في صدر الإسلام علماء أجلة ، ونشأت معهم نواة علوم وتشريعات هي من أجل ما وضعه العقل البشري في هذه الأمور . واقتضت علوم الفقه والحديث والتفسير وغيرها وضع مصطلحات عديدة استنبطها العلماء من صلب اللغة العربية ، بوسائل الاشتقاق والمجاز والتضمين ، وتركوا لنا في مصنفاتهم النفيسة كنزاً من ذخائر المصطلحات اللغوية والشرعية تفيد كل باحث في علوم اللغة العربية ، وكل عامل في تأليف الكتب الحقوقية ، أو في ضبط لغة القوانين في أيامنا هذه .

ويقال مثل ذلك فيما أوجده القدماء من المصطلحات الإدارية والسياسية والمالية والعسكرية ، بعد أن امتدت الفتوحات الإسلامية واتسعت رقعة الدولة ، وذلك بتبديل المعاني الأصلية لبعض الكلم وتضمينها معاني جديدة ، أو بتعريب بعض الكلمات الأعجمية ، أو باشتقاق ألفاظ جديدة ، مما جعل لغتنا العربية في صدر الإسلام تنمو نمواً كبيراً ، وتوفي بحاجات كثيرة . ومن الأمثلة على تلك الكلم : البريد والدينار والدرهم والديوان والخلافة والدولة والشرطة والجباية والمكس والراتب والسكة الخ . الخ .

ومع هذا ليست هذه العلوم ومصطلحاتها هي التي تعنيها في هذا البحث الموجز . فالعلوم التي يهمنا أن نشير فيه إليها وإلى مصطلحاتها هي علوم الأمم القديمة

كالطب والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والزراعة والمواليد الثلاثة وغيرها . وهي علوم اليونان والرومان والفرس والهنود والكلدان وغيرهم ، فقد بدأ نقل بعضها إلى العربية في أواخر عهد الأمويين ، ولكن الفضل في نقل معظمها يرجع إلى زمن المنصور وهارون الرشيد ، ولا سيما إلى زمن المأمون في بغداد . فعصر المأمون كان العصر الذهبي لتلك العلوم ، وبغداد كانت مهدها . ومن بغداد انطلقت غرباً إلى الأقطار الإسلامية ، حتى بلغت قسماً من البلاد الأوربية فلبث سكانها مئات من السنين يستنيرون بها وبما أضافه علماؤنا القدماء إليها من نتائج قرائحهم الفياضة .

ولا يجهل أحد من المطلعين على تاريخ لساننا أسماء الناقلين القدماء للعلوم المذكورة ، وهم الذين كانت بغداد مركزاً لنشاطهم في عصر النهضة العلمية الأولى ، ومنهم حُنين بن إسحاق العبادي ، وابنه إسحاق بن حنين ، والحجاج ابن مطر ، وثابت بن قُرّة الحراني ، وقسطا بن لُوقا البعلبكي ، ويوحنا بن ماسويه ، وجورجيس بن بختيشوع وآله ، وابن ناعمة الحمصي ، ويحيى بن عدي وغيرهم ، وكان فوق هؤلاء جميعاً يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب وصاحب الكتب العديدة المترجمة والمصنفة في معظم العلوم الدخيلة . ومن الواضح أن معظم الناقلين الأولين كانوا من السريان ، وأن النقل دام بعد أيام المأمون . وكان للسريان قُبيل الإسلام مدارس كثيرة في ديار ربيعة (الجزيرة) خاصة ، اشتهرت منها مدرسة الرها ومدرسة نصيبين . وكان لهم أديار فيها علماء درسوا في مدرسة جنديسابور الشهيرة . وقد نقل المترجمون الذين ذكرتُ أسماء بعضهم علوم الأمم القديمة إلى لسانهم ، ثم نقلوها إلى العربية إما من السريانية ، وإما من اليونانية . وكذلك نقل ابن وحشية إليها من النبطية ، ومنكه الهندي من السنسكريتية ، وآل نوبخت ، وابن المقفع من الفارسية .

ولم يكن نقل تلك العلوم إلى لساننا أمراً سهلاً ، فالذين وضعوا العلوم النقلية كالفقه والحديث والتفسير وما إليها كانوا عارفين بأسرار اللغة العربية فجاءت مصطلحاتهم فصيحة ومحكمة ومستنبطة من صلب اللغة . أما ناقلو العلوم الدخيلة فقد كان جلهم ، كما قلت ، من غير العرب ، وكان كثير من موضوعات العلوم التي نقلوها مجهولاً ، ولذلك وجدناهم يعرّبون بادئ ذي بدء الكثير من الألفاظ الأعجمية ، إما لضعفهم بالعربية ، وإما لاستسهالهم التعريب ، وإما للأمرين جميعاً . فمن ذلك تعريب ألفاظ ارتماطيقي (الحساب) وفيزيقي (الطبيعة) وقاطيغورياس (المقولات) ، وأسطقس (العنصر) ، وأشباهها من الكلم التي سرعان ما وجدوا لها بعدئذ كلمات عربية صالحة . ومع هذا لبث في العربية كلمات كثيرة عُربت منذ ذلك الزمن كالفلسفة والإقليم والمغناطيس ، وكالترياق والقولنج والسرسام في الطب ، والخيار والباذنجان والمقدونس والنيلوفر والأفسنتين في النبات الخ .

أما المصطلحات العربية النجار التي وضعوها للدلالة على مسمياتها العلمية فهي ألوف من الكلم دخلت لغتنا العربية ، واندمجت في جملة ألفاظها ، وأدمج معظمها في معجماتنا الأصلية . ففي الطب مثلاً قالوا : التشريح والجراحة والكحالة . وسموا بعض الأمراض بمثل السلاق والخانوق والربو والذبحة وذات الجنب إلى آخر ما وضعوه من الكلمات العديدة في الأمراض وأعراضها وأدويتها ومداواتها مما لا تتسع هذه اللمحة الخاطفة لذكره .

وفي الفلسفة والمنطق قالوا : العلة والمعلول ، والصورة والجوهر ، والكلي والجزئي ، والعرض والموضوع والمحمول ، والقياس والاستنتاج والمقولات ، والأزل والأبد والقديم والحديث وأشباهها من الألفاظ التي جعلوا لها في الفلسفة والمنطق معاني اصطلاحية محددة .

ووضعوا أسماء عديدة لأعيان النبات والمفردات الطبية مما لم تعرفه العرب في جزيرتها ، فترجموا بعض الأسماء الأعجمية بمعانيها ، وعرّبوا بعضها كالتي ذكرتها . أما ما ترجموه من أسماء النبات فمثل كثير الأرجل ، وآذان الفأر ، وآذان العنز ، ولسان الثور ، وأنف العجل وأشباهها من الأسماء .

واتسعت لغتنا الضادية لجميع مصطلحات العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر ومثلثات فقالوا مثلاً الدائرة والقطر والمربع والمثلث والمخروط والجيب والماس وغيرها . وكذلك اتسعت لمصطلحات علم الطبيعة (الفيزياء) . أما النجوم فقد عربوا أسماء بعضها من اليونانية ، ولكنهم وضعوا للكثير منها أسماء عربية نقلها الأوربيون من لغتنا إلى لغاتهم . وفي المعجم الفلكي للدكتور أمين المعلوف عدد كبير من الأسماء الأعجمية التي هي من أصل عربي .

ولم يكن عمل الذين جمعوا وضبطوا ألفاظ العلوم ومصطلحاتها ، أو وضعوا علوم الأقدمين وألفوا فيها أقل شأناً من عمل الناقلين الأولين . ولا يجهل أحد فضل الذين كانت بغداد مركزاً لنشاطهم أو لبروز عبقريتهم كالأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ (— ٢١٦) وصاحب الكتب المشهورة في الإبل والخيل ، والشاء ، والنبات والشجر ، والنخل والكرم وغيرها . وكأبي عُبَيدة (— ٢١٠ . له كتاب الزرع وكتاب الحيات وكتاب الخيل وكتاب الإبل وغيرها كثير . وابن قُتيبة (— ٢٧٦) الذي ولد ببغداد ونشأ بها وألف كتابه النفيس (أدب الكاتب) ، وكتاب الأشربة ، وكتاب الأنواء ، وكتاب الخيل . وكأبي حنيفة الدينوري (— ٢٨٢) العالم الثقة وأعلم علماء زمانه بأسماء النبات ، أخذ عن الكوفيين والبصريين ، ودخل بغداد ، ولو لم يكن له إلا « كتاب النبات » الذي نقل عنه أصحاب الأمهات من معجماتنا لكفاه فخراً . وكالكندي فيلسوف العرب (— ٢٦٠) الذي مر ذكره ، وهو من ملوك كندة ، لم

يبلغ أحد مبلغه فيما نقله وألفه في علوم زمانه ، وكابن السكيت (— ٢٤٥) له كتاب الألفاظ ألفه على المعاني والموضوعات .

ويطول بنا نفس الكلام إذا ما رحنا نستقصي أسماء جميع الرُّوّاد من جامعي الألفاظ العلمية ومصطلحاتها ، وكذلك أسماء الذين عاشوا زمناً في بغداد ، وألفوا كتباً علمية ، واستعملوا فيها مصطلحات عديدة مثل ابن ماسويه (— ٢٢٣) والرازي (— ٣٢٠) ، والفارابي (— ٣٣٩) ، دع الذين وضعوا في اللغة كتباً مشهورة كابن دريد الأزدي (— ٣٢١) صاحب كتاب الجمهرة ، وأبي هلال العسكري (— ٣٩٥) له كتب في اللغة ، والجوهري (— ٣٩٣) صاحب معجم الصحاح ، وأبي منصور الجواليقي (— ٥٣٩ أو ٥٤٠) كان يُعد من مفاخر بغداد ، له كتاب المعرَّب من الكلام الأعجمي وغيره .

مناهج القدماء في وضع المصطلحات :

ويفيد ، بعد هذه اللمحة ، أن نلقي نظرة على النهج الذي سار عليه هؤلاء العلماء في وضع المصطلحات العربية للعلوم التي ترجموها أو ألفوا فيها . فمما نجده عندهم في هذا الباب :

(ا) تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية ، وتضمينها المعنى العلمي الجديد .
(ب) اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على المعنى الجديد .
(ج) ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها .
(د) تعريب كلمات أعجمية وعدها صحيحة .

فقد وجدناهم مثلاً يحورون معاني ألوف من الكلمات ويضمنونها معاني اصطلاحية علمية جديدة لم تكن معروفة قبل الإسلام كالتحجير وإحياء الأرض الموات وأرض الخراج وأرض العشر والمزارعة والمساقاة والدولة ودار الضرب والسكة والجباية والمكس الخ .

ووجدناهم يشتقون من أسماء الأعيان كقولهم ذَهَّبَ من الذَّهب ، وبَنَّجَ من البنج ، وكَبْرَتَ من الكبريت ، وعصفرَ من العُصْفر ، وفي القاموس المحيط مئات من أشباه هذه المشتقات .

ووجدناهم أيضاً يزيدون ياء النسب والتاء على بعض الكلمات فيصنعون مصادر تعبر عن الهيئات أو الأحوال التي تكون عليها مدلولات تلك الكلمات ، كقولهم فروسية وخصوصية وطفولية وكمية وكيفية وماهية الخ .

ومما يلاحظ تركيبهم لا النافية مع الكلمة العربية في مثل قولهم اللاأدرية واللانهاية . ومنها جمع الصفة التي تكون على وزن فَعْلاء ، بالألف والتاء ، عندما تُنزل مُنزل الاسم ، وذلك في مثل الخضراوات والورقاوات والبطحاوات .

ومنها النسب إلى الجموع إما استثناء أو على مذهب الكوفيين ، في قولهم شُعوبي واخواني وصبياني وملوكي وملائكي وتعاويذي وقلانسي الخ .

ومنها ترجمة حرف غمّا اليوناني و (g) اللاتيني غيناً لا جيماً ، وذلك في مثل قولهم غاريقون وأناغورس وغرناطة وهكذا . ومن المعروف أن تسعة أعشار البلاد العربية تلفظ الجيم مخففة لا كما يلفظها سكان القاهرة .

ومن ذلك ترجيحهم ، في ترجمة علوم القدماء ، الاشتقاق أو المجاز على تعريب الألفاظ . ومع هذا ألفيناهم يكثرون من تعريب أسماء أعيان النبات والحيوان ، وأسماء العقاقير والأطعمة والأشربة والألبسة الأعجمية . أما النحت فقد كان عندهم نادراً . وهو اليوم لا يصلح إلا قليلاً في وضع المصطلحات العلمية ، فكلمتان أصلح من كلمة واحدة منحوتة يمجها الذوق ويستغلق فيها المعنى . والتركيب المزجي ، عند الحاجة ، أصلحُ من النحت .

وكانوا يعملون بما أقره اللغويون والنحويون المشهورون من قواعد عدوها أو عدها قسم منهم قياسية ، منها اشتقاق كلمات على وزن (فُعَال) و (فَعَل) للمرض . ومنها اشتقاق أسماء للآلات على وزن (مِفْعَل ومِفْعَلة ومِفْعال) ،

واستعمال اسم الفاعل ومبالغته (فَعَّال) لهذا الغرض . وكذلك استعمال وزن (مَفْعَلَة) للمكان الذي يكثر فيه الشيء ، ووزن (فِعالة) للحرفة .

وهذه القواعد وأشباهها هي التي رجع إليها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في وضع قرارات فتح بها الكثير من أبواب القياس ، وسهّل بها عمل واضعي المصطلحات العلمية ومحققيها . وقد ذكرتُ معظم هـذه القرارات في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، في القديم والحديث » ، وفي مقدمة الطبعة الثانية من « معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية » ، وألمعت إليها أخيراً في « معجم المصطلحات الطبية بالانكليزية والفرنسية والعربية » .

ويتضح من هذه الخلاصة أن علماءنا القدماء طوعوا أو طوروا لغتنا الضادية حتى استوعبت ما عُرف من علوم الأقدمين وعلوم زمانهم ، وأوجدوا لنا في تلك العلوم ، ولا سيما في العلوم الشرعية والفلسفية ، ألوفاً من المصطلحات يجب أن لا يجهلها علماء أيامنا هذه .

ويتضح أيضاً أن بغداد ظلت في حقبة مديدة من الزمن أهم منطلَق للعلوم القديمة ومصطلحاتها وأصلح بيئة لها ، إلى أن أفلَ نجم حضارتنا العربية الزاهرة باستيلاء برابرة الشرق على العراق .

اصطلاحات العلوم الحديثة في بغداد :

لم تنس بغداد ، في النهضة الحديثة ، المنزل السامي الذي كانت تتبوّؤه في الزمن الماضي ، فبرز فيها علماء عالجوا الشؤون اللغوية ومنها مفردات العلوم والفنون الحديثة ومصطلحاتها . فمن الذين عرفتهم وتناولتهم الحديث :

الأب أنستاس ماري الكرملي (— ١٩٤٧) فقد كان ، على ما أعلم ، أول من عني بهذه المباحث في مجلة « لغة العرب » التي أصدرها في بغداد سنة ١٩١١ م . وأوقفها سنة ١٩١٤ ، في بدء الحرب العالمية الأولى ، ثم عاد

فأصدرها من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٣١ . وللأب أنستاس مقالات كثيرة في مفردات وتراكيب كان ينقدها ، وفي مصطلحات كان يضعها أو يحققها . وكان ينشر تلك المقالات في مجلته المذكورة وفي « المقتطف » ، و « المشرق » ، ومجلة مجمع دمشق ، ومجلة مجمع القاهرة ، وغيرها . وله كتاب مطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٨ أسماه « نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها » . ومما حرره وعلق عليه كتاب « نُخَب الذخائر في أحوال الجواهر » للأكفاني ، طبعه في القاهرة سنة ١٩٣٩ ، وذكر في أحد فهارسه عدة ألفاظ أعجمية أمام الألفاظ العربية . وكثيراً ما كان يذكر لي في حديثه أو في رسائله معجماً كبيراً له سماه المعجم المساعد لم يتصل بي أنه طُبع . وله كتب لغوية أخرى لا تزال مخطوطة .

ومنهم الدكتور مصطفى جواد له في البحوث اللغوية وفي تصحيح أغلاط الكتاب جولات يعد فيها من المبرزين المشهورين . وقد نشر الكثير من مقالاته في مجلة لغة العرب ومجلة مجمعنا الدمشقي ومجلة المجمع العلمي العراقي وغيرها . وله محاضرة نفيسة في المصطلحات العلمية والفنية ألقاها في مؤتمر أدباء العرب المعقود سنة ١٩٥٤ في بيت مري من أعمال لبنان . وله أيضاً كتاب مطبوع سماه « المباحث اللغوية في العراق » وهو جملة محاضرات ألقاها سنة ١٩٥٤ — ١٩٥٥ على طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة . وفي هذا الكتاب آراء كثيرة في المصطلحات . وذكر فيه مؤلفه الفاضل أسماء كتب ألفها في شؤون اللغة ، وهي لا تزال مخطوطة ، فيا ليته يطبعها . وهو اليوم يعالج المصطلحات العلمية في المجمع العراقي مع لفيف من الخبراء في علوم مختلفة .

ومنهم الدكتور داود الجلبي الموصلي (— ١٩٦٠) له في مجلة مجمعنا الدمشقي بحوث نفيسة في أسماء الجواهر وفي مصطلحات طبية ، وله معجم في اصطلاحات أمراض الجلد ، وآراء في مصطلحات طبية وضعها مجمع اللغة العربية في القاهرة . وله أيضاً كتاب في الكلمات الفارسية التي تستعملها العامة في شمالي العراق ،

ومثله رسالة في الكلمات الآرامية (السريانية والكلدانية) ، وفي كل منهما تحقيقات مفيدة .

ومنهم الأستاذ عبد المسيح وزير كان مترجماً في وزارة الدفاع العراقية ، فانتهت إليه مصطلحات عسكرية وضعها الدكتور أمين المعلوف ، وأخرى وضعتها لجنة كانت تألفت في دمشق عقب الحرب العالمية الأولى ، فأضاف الأستاذ عبد المسيح إليها مصطلحات كثيرة ، حتى تألفت لجنة خاصة أفضى عملها إلى وضع معجم عسكري بالانكليزية والعربية .

وعندما انفصل العراق عن الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ، وأصبحت العربية لغته الرسمية في الحكومة وفي المدارس ، انتقل إليه علماء وأساتيذ شاميون ومصريون عرفت منهم اثنين كان لهما في بغداد نشاط يذكر في موضوع الاصطلاحات العلمية والفنية ، وهما الدكتور أمين المعلوف والأستاذ عز الدين التنوخي .

فالدكتور أمين المعلوف (— ١٩٤٣) حصل على الجنسية العراقية ، وعمل مديراً للأمور الطبية في جيش العراق ، فوضع له مصطلحات عسكرية . وكان له اطلاع واسع على أسماء الحيوان ، وأسماء النجوم ، واصطلاحات علم النبات . وله في كل ذلك بحوث جليلة كان ينشرها في مجلة المقتطف ومجلة مجمع دمشق وغيرهما . وهو صاحب « معجم الحيوان » و « المعجم الفلكي » طبعا في القاهرة ، وكلاهما بالإنكليزية والعربية . وهما من أوثق المراجع فيما اشتملا عليه من أسماء وتحقيقات .

أما رفيقنا الأستاذ عز الدين التنوخي فهو من علماء اللغة وأساتيذ الزراعة ومن أعضاء مجمع دمشق منذ انشائه سنة ١٩١٩ للميلاد . انتقل إلى بغداد سنة ١٩٢٤ ودرّس بالعربية في دار المعلمين الابتدائية والعالية فكانت له يد تشكر في وضع أسماء ومصطلحات عربية للكتب المدرسية ولا سيما في الجيولوجية

وعلم الطبيعة . وقد ألف في بغداد كتاباً مدرسياً سماه « مبادئ الفيزياء » يشتمل على مصطلحات عربية وضع بعضها وحقق بعضاً يوم كانت الكتب العربية في هذا العلم وأشباهه مفقودة ، لأن التركية وحدها كانت لغة التدريس في زمن الدولة العثمانية .

وفي سنة ١٩٣٦ حاولت الحكومة العراقية انشاء مجمع لغوي فلم يتحقق سعيها . وفي سنة ١٩٤٧ أنشئ المجمع العلمي العراقي ، وهو الثالث من مجامع ثلاثة ما برحت تعمل في جد ونشاط ، أقدمها المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩١٩ م) وثانيها مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٣٢ م) .

وقد عالج مجمع بغداد بضعة ألوف من المصطلحات العلمية الحديثة ، وأبدى رأيه فيها ، ونشرها في مجلته أو في مجموعات مستقلة ، منها مصطلحات في صناعة النفط ، وفي علم التربية ، وفي علم الفضاء ، وفي التربية البدنية ، وفي هندسة السكك والري والأشغال ، وفي الصناعة والملاحة والطيران ، وفي الألكترون . وكانت وما زالت ترده من دوائر الحكومة والمؤسسات العامة استفسارات عن صحة ألفاظ تبعث بها إليه فيقوّم المعوج منها ، ويبدل من الألفاظ السقيمة أو المرجوحة ألفاظاً صحيحة أو راجحة .

وبعد يتضح من هذه الإلمامة أن دار السلام التي كانت في الماضي مهد المصطلحات العربية في العلوم القديمة ، تشارك اليوم غيرها مشاركة مفيدة في معالجة الاصطلاحات العربية في العلوم والمخترعات الحديثة .

وفق الله علماء العراق الشقيق في خدمة لغتنا الضادية ، وألهم مجامعنا العلمية واللغوية وجامعة الدول العربية اتخاذ وسائل مجدية تفضي إلى توحيد المصطلحات العلمية والفنية في شتى أقطارنا العربية .

مصطفى الشهابي

الاصطلاحات الفلسفية

- ١٤ -

التعميم

في الفرنسية Généralisation

في الانكليزية Generalization

عمّ المطر البلاد شملها فهو عام ، ومنه عمّهم بالعطية . وقد نقل الفلاسفة هذا الفعل الثلاثي إلى وزن فعّل للدلالة على التكثير ، فقالوا عمّم الشيء ضد خصصه ، ومنه التعميم ضد التخصيص . قال ابن سينا : « فإن كان إدخال الألف واللام يوجب تعميماً وشركة ، وإدخال التنوين يوجب تخصيصاً فلا مهمل في لغة العرب » (الإشارات ، ص ٢٤) . وقال أيضاً : « إعلم أن المهمل ليس يوجب التعميم لأنه انما تذكر فيه طبيعة تصلح أن تؤخذ كلية وتصلح أن تؤخذ جزئية » (الاشارات ص ٢٥) .

والتعميم عند الفلاسفة هو جمع الصفات المشتركة بين الأشياء المفردة في تصوّر واحد . ولهذا التصور أو المفهوم شمول وتضمّن . أما شموله فهو مجموع الأفراد أو الأشياء التي يعمّها ، وأما تضمنه أو مفهومه فهو مجموع الصفات المشتركة بين جميع أفراده .

والتعميم أيضاً ، هو أن تجعل الصفات التي شاهدتها في عدد محدود من أفراد الصنف شاملة للصنف كله .

والتعميم أخيراً هو أن تطلق على صنف معين ما يصدق على صنف آخر شبيه به .

وكل انتقال من الخاص إلى العام أو من العام إلى الأعم فهو تعميم ، كقوانين علم الجبر فهي تعميم لقوانين علم الحساب ، وكقانون الجاذبية العامة فهو تعميم لقانون سقوط الأجسام .

التعيين ، والتعين

في الفرنسية Détermination

في الانكليزية Determination

عيّن الشيء خصصه من الجملة وأفرده ، وعين الشيء لفلان جعله مخصوصاً به ، فالتعيين التخصيص ، وهو قصر العام على بعض منه بدليل مستقل ، والتعين التخصص ، وهو ما به امتياز الشيء من غيره ، فإذا أضفت إلى الحدّ صفة تزيد تضمنه وتنقص شموله عيّنته وخصصته . وإذا دلّ التعيُّن على التشخص كان مضاداً للتجريد . قال ابن سينا : « فلا بدّ أنها (أي الأجسام) إذا وجدت متشخصة فإن مبدأ تشخصها يلحق بها من الهيئات ما يتعين به شخصاً » (الشفاء ١ ، ٣٥٣) . وقال أيضاً : فإن كان الشيء « محسوساً فله لا محالة وضع وأين ومقدار معين » (الاشارات ١٣٨) ، وقال أيضاً : إننا « نعرف الأعراض والصور بموادها المتعينة » (منطق المشرقيين ص ٤٥) .

والغرض من التعيين إزالة الاشتباه والابهام إما مطلقاً وإما نسبياً . فإذا عينت الشيء ثبت طبيعته أو حدوده فصار له في نظرك وضع وأين ومقدار معين .

والتعيين في اصطلاحنا معان مختلفة منها

١ — تخصيص الشيء بصفات تميزه من الأشياء الأخرى المجانسة له . وتسمى هذه الصفات معيِّنات (Déterminatif) .

٢ — عرفان الشيء من جهة كونه تابعاً لصنف معين .

٣ — معرفة ما يخص الشيء المفرد من شروط لا يشاركه فيها غيره .

وإذا كان بين الشيئين علاقة توجب أن يكون الثاني لازماً عن الأول كانت هذه العلاقة تعيناً . وإذا كانت لا توجب ذلك دلت على عدم التعين .

التغير

في الفرنسية Changement

في الانكليزية Change

التغير هو كون الشيء بحال لم يكن له قبل ذلك (التهانوي) أو هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى (الجرجاني) .

فمن التغير ما يكون في الجوهر ، وهو الذي يسمى بالكون المطلق والفساد المطلق ، ومنه ما يكون في الكيف وهو الذي يسمى استحالة ، ومنه ما يكون في الكم وهو الذي يسمى نمواً ونقصاً ، ومنه ما يكون في المكان وهو الذي يسمى انتقالاً ، ومنه ما يكون في الزمان وهو الذي يسمى تتابعاً .

فإذا تغير الشيء في ذاته دفعة واحدة كان تغيره دفعياً ، وإذا تغير في الكم أو في الكيف أو في الأين شيئاً فشيئاً كان تغيره تدريجياً .

والتغير في فلسفة أرسطو معنى خاص ، وهو الانتقال من ضد إلى آخر ، وله ثلاثة أنواع :

الأول هو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود ، وهو الولادة أو الحدوث

والثاني هو الانتقال من الوجود إلى اللاوجود ، وهو الموت أو الفناء .
والثالث هو الانتقال من الوجود إلى الوجود ، وهو الحركة .

وطريقة التغيرات الصغرى هي الطريقة التي تصورها الفيلسوف (فوندت) لتعيين نسبة الإحساس إلى المؤثر ، وهي تقوم على البحث عن أصغر كمية يجب زيادتها على المؤثر حتى يشعر المدرك بتغير في الإحساس .

التفاؤل

في الفرنسية	Optimisme
في الانكليزية	Optimism
وأصله في اللاتينية	Optimus

التفاؤل ضد التشاؤم والتطير ، تقول تفاءلت بكذا إذا أملت فائدته ، مثال ذلك أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول : يا سالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد ، فيقول : تفاءلت بكذا ، ويتوجه له في ظنه أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته .

ومذهب التفاؤل هو القول إن الخير في الوجود غالب على الشر (ابن سينا) وإن هذا العالم الذي نعيش فيه هو أحسن العوالم الممكنة (ليبنيز) وإنه ليس في الإمكان أبدع مما كان (الغزالي) وكل فيلسوف يذهب إلى القول إن الوجود أفضل من العدم وإن العالم بجملته بديع الصنع ، حسن التأليف ، يغلب فيه الخير على الشر والسعادة على الشقاء فهو فيلسوف متفائل . وليس ينقض ذلك أن في الوجود شراً جزئياً لأن العبرة في الكل لا في الأجزاء . وعلى ذلك فالتفاؤل خير من التشاؤم لأن الناس إذا أمّلوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير ، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير .

على أن بعض المتفائلين يبالغون في تفاؤلهم فينكرون وجود الشر . ويزعمون أن الوجود كله خير محض مبرأ من النقص . فإذا قيل لهم إن في العالم شراً قالوا إن هذا الشر أمر عدمي أو أمر عرضي نسبي ، إذا كشفت عن حقيقته وجدت الخير يلمع فيه من وراء حجاب ، ويسمى هذا التفاؤل بالتفاؤل المطلق .

وإذا تعود المرء النظر إلى الأشياء من نواحيها الجميلة كان استعداده الفكري إلى التفاؤل أميل . فهو يعلم أنّ في كل شيءٍ خيراً وشراً ولكنه يفضل الالتفات إلى كمال الشيء دون نقصه ، وإلى جماله دون قبحه ، حتى يكون له في جهة رجائه عائدة وبهجة ، ويسمى هذا التفاؤل بالتفاؤل النفسي .

ومن الناس من يتعامى عن رؤية الشر في الأشياء الجزئية لعجزه عن إدراك حقيقته أو لتقاعسه عن مكافحته ، ويسمى تعاميه هذا بالتفاؤل الأعمى لما فيه من الاستسلام المصحوب بالجهل ، والرضى المقرون بالاتكال .

ومن علامة المتفائلين أنك ترى لهم قوة في يقين وفرحاً في علم ، وصبراً في شدة ، فهم لا ينكرون وجود الشر ولكنهم مع اعترافهم بوجوده لا ييأسون من التغلب عليه ولا يقنطون من رحمة الله . وإذا كان الانسان يؤمن بقدرته على تحسين الواقع بالعلم فمرد ذلك إلى إيمانه بقدرة العقل على استجلاء حقائق الأشياء ، فبقدر عقل المرء يكون تفاؤله ، بل العقل أس الفضائل وينبوع الآداب ، به تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الخير والشر ، فإذا كمل عقل المرء عاش في نعيم دائم ، لأن عقله يهديه إلى الخير ، وما استودع الله أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما . ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان من جهله في إغواء ، ومن حياته في عناء .

التفسير

في اللاتينية Explicatio

في الفرنسية Explication

في الانكليزية Explanation

التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار (الجرجاني) وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله أو يفسره . والفرق بينه وبين الإيضاح أن التفسير أعم من الإيضاح ، إذ هو يحصل بذكر المرادف إذا كان أشهر ، وليس ذلك بإيضاح ، لأن الإيضاح عند أهل المعاني أن ترى في كلامك خفاء وإبهاماً فتأتي بكلام يبين المراد ويوضحه (التهانوي) ، والفرق بين التفسير والتأويل أن أكثر استعمال التفسير في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني ، وغاية التفسير الفهم والإفهام ، وهو أن يصير الشيء معقولاً ، وسبيله تعيين مدلول الشيء بما هو أظهر منه حتى يصبح المجهول معلوماً ، والخفي واضحاً ، تقول : فسرت الكلمة وفسرت النص وفسرت المسألة أي أوضحت الطريق الذي يجب اتباعه في حلها .

وتفسير الحقيقة العلية أو إيضاحها هو أن نثبت أنها متضمنة في غيرها من الحقائق المعلومة ، أو أنها لازمة عن المبادئ البديهية اضطراراً . وليس يشترط في الحقائق المفسِّرة أن تكون أعم من الحقائق المفسَّرة ، لأن تضمن القضايا شيء وعمومها شيء آخر .

والتفسير أعم من التعليل لأن التعليل هو انتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر أو إظهار علية الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة . فكل تعليل تفسير وتوضيح وليس كل تفسير تعليلاً .

والفرق بين التفسير والتعيين أن المحمول الذي تضيفه على الحد البسيط إذا لم يبدل تضمنه كان تفسيراً له ، ولكنه إذا بدّل تضمنه كان تعييناً أو تخصيصاً .

التقارب

في الفرنسية Convergence

في الانكليزية Convergency

وهو مشتق من فعل (Convergere) في اللاتينية

تقارب الشيئان دنا أحدهما من الآخر ، وتقاربت الأشعة اجتمعت في نقطة واحدة كما في علم الضوء .

ومتى كان تزايد حدود الجملة غير متناهٍ وكان حاصل جمعها متجهاً إلى مقدار محدود سميت بالجملة المتقاربة مثال ذلك : ($١ + \frac{١}{٢} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{٨}$ ....) .

ومتى كان تبدل الجملة مقتضياً إيجاد تشابه متزايد بين أجزائها كان تبدلها متقارباً . فالتقارب بهذا المعنى ضد التنوع .

وإذا أدت تبدلات الجمل المستقلة والمتوازية إلى نتيجة واحدة سميت بالجمل المتقاربة .

التقدم

في الفرنسية Antériorité

في الانكليزية Anteriority

التقدم هو كون الشيء موجوداً قبل الآخر بحيث لا يوجد الثاني إلا إذا وجد الأول ، وله عند ابن سينا خمسة أنحاء .

الأول هو التقدم بالطبع ، وهو الذي يكون فيه المتأخر محتاجاً إلى المتقدم كالاثنين والواحد .

والثاني هو التقدم في الزمان ، وهو كون المتقدم في زمان لا يكون المتأخر فيه كتقدم أرسطو على الفارابي .

والثالث هو التقدم في الرتبة ، وهو كون المتقدم أقرب من مبدأ معين ، وهذا الترتيب قد يكون بالذات كما في الأجناس والأنواع المتتالية ، أو يكون بالاتفاق كترتيب التلاميذ في الصف بحسب بعدهم عن الأستاذ أو قربهم منه .

والرابع هو التقدم بالشرف وهو أن يكون للمتقدم زيادة شرف على المتأخر كتقدم العالم على الجاهل .

والخامس هو التقدم بالعلية فإن للعلة استحقاق الوجود قبل المعلول .

وقد أرجع المتأخرون هذه الانحاء المختلفة إلى نوعين هما التقدم العقلي والتقدم الزماني ، فالتقدم العقلي عندهم هو الارتباط المنطقي بين الشيئين ، فإذا كان أحدهما مبدأ والآخر نتيجة كان الأول متقدماً على الثاني تقدماً عقلياً أو ذاتياً ، والتقدم الزماني هو أن يكون أحد الشيئين أقدم زماناً من الثاني .

والتقدم (Progrès) عند المحدثين هو السير إلى الأمام أو الحركة في اتجاه معين ، كقولنا تقدم العلم أو تقدم الصناعة .

ويطلق التقدم أيضاً على الانتقال التدريجي من الحسن إلى الأحسن إما في مجال معين وإما في جميع المجالات . والتقدم بهذا المعنى إضافي لأنه تابع لرأينا في ترتيب القيم . وليس للتقدم المطلق عند الفلاسفة مفهوم واضح ، لأنه قد يكون ضرورة تاريخية ، أو كونية ، أو قوة محركة تؤثر في الأفراد ، أو غاية يهدف إليها تطور المجتمعات .

التقسيم

في اللاتينية Divisio

في الفرنسية Division

في الانكليزية Division

التقسيم عند الفلاسفة مرادف للقسمة سواء كانت قسمة الكل إلى الأجزاء أو قسمة الكلي إلى جزئياته الحقيقية أو الاعتبارية .

وقد فرق فلاسفة القرون الوسطى بين التقسيم الذي يرجع الجنس الأعلى إلى أجناس أدنى ، والتجزيء الذي يوجب ارجاع الكل إلى أجزائه المتممة .

وقد جمعت أحكام التقسيم في أربع قضايا .

الأولى هي قسمة الجنس إلى أنواعه كقولك : المنحنى من الدرجة الثانية إما أن يكون دائرة وإما أن يكون قطعاً ناقصاً ، وإما أن يكون قطعاً مكافئاً ، وإما أن يكون قطعاً زائداً .

والثانية هي قسمة الجنس إلى فصوله ، كقولنا : الكثير الأضلاع إما أن يكون منتظماً وإما أن يكون غير منتظم .

والثالثة قسمة الموضوع إلى الأعراض المتقابلة التي تتعاقب عليه كقولك : الإنسان إما نائم وإما مستيقظ .

والرابعة قسمة العرض إلى اضافاته المختلفة كقولك : التنفس إما أن يكون في الحيوان وإما أن يكون في النبات .

وهذه القضايا الأربع كما ترى شرطية منفصلة .

وعلى ذلك فالتقسيم هو إرجاع الجنس إلى أنواعه ، أو الكل إلى أجزائه ، وهذا الارجاع إما أن يكون ذهنياً وإما أن يكون خارجياً .

ولكل تقسيم دقيق شرطان : الأول أن يكون تاماً أي جامعاً لأجزاء الشيء كلها ، والثاني أن تكون أجزاؤه متقابلة كالتقسيم الثنائي في الشرطية المنفصلة الذي يمنع إدخال الشيء الواحد في الطرفين المتقابلين ، كقولك إما أن يكون العدد زوجاً وإما أن يكون فرداً .

وتقسيم العمل في علم الاقتصاد هو تنوعه بحسب المهن ، أو انقسامه إلى فروع مختلفة ، ويسمى ذلك بتقسيم العمل المهني .

وتقسيم العمل الصناعي هو انقسام الفعل المركب إلى أفعال وحركات بسيطة .

أما في علم الاجتماع فان تقسيم العمل هو تنوع الوظائف من النواحي الاقتصادية والسياسية والحقوقية والثقافية الخ ..

وأما في علم الحياة فهو تنوع الوظائف في الجسم الحي بحسب منافعها .

التقليد

في الفرنسية Imitation

في الانكليزية Imitation

التقليد هو اتباع الانسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً الحقية فيه من غير نظر إلى دليل ، كأن هذا المتبع جعل قول (الغير) أو فعله قلادة في عنقه ، أو هو قبول قول (الغير) بلا حجة ولا دليل .

ويطلق التقليد في علم النفس على كل ظاهرة نفسية شعورية أو غير شعورية من شأنها أن تكرر ظاهرة نفسية سابقة . فالظواهر النفسية تنتقل من شخص إلى آخر بالتقليد ، كما ينتقل الضوء أو الصوت من مكان إلى آخر بالاهتزاز (راجع تارد : قوانين التقليد les lois de l'imitation ، والمنطق الاجتماعي La logique sociale) .

والتقليد الشعوري (Imitation Consciente) هو أن يكون المقلّد عالماً بأنه مقلد ، والتقليد اللاشعوري (Imitation inconsciente) هو أن يكون المقلد غير عالم بأنه مقلد . ويسمى تقليده في هذه الحالة بالإيحاء التقليدي (Suggestion imitative)

قال الغزالي : « من شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد ، فإذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده » (المنقذ من الضلال ص ٧٧ من طبعتنا) .

والتقليد الذاتي هو أن يقلد الانسان نفسه بنفسه (Self imitation) .

والتقليد الإرادي (Imitation Volontaire) هو أن يكون المقلد مريداً للفعل الذي يقلده كالرجل الذي يقلد مخارج الحروف والألفاظ الأجنبية .

والتقليد الغريزي (Imitation instinctive) هو أن يتبع المرء غيره فيما يقول أو يفعل اتباعاً غريزياً كالطفل الذي يتعلم الكلام على سبيل المحاكاة الطبيعية البسيطة .

ونظرية التقليد أو المحاكاة في علم الجمال هي القول إن مبدأ جميع الفنون تقليد الطبيعة .

والتقليدية (Traditionalisme) هي حب التقاليد والتعلق بها ؛ أو هي القول بوجوب محافظتنا على الأوضاع السياسية والاجتماعية القديمة ، لا لإقامتنا الدليل العقلي على ضرورتها ، بل لاعتقادنا أنها تعبير طبيعي عن حاجات المجتمع الحقيقية ، ولعلمنا أنّ إصرار العقل على نقدها لا ينتج إلا الشر والفساد . ويسمى أصحاب هذا الرأي بالتقليديين خلافاً للمقلين الذين انحلت عنهم رابطة التقليد ، وأوجبوا النظر في المقبولات والمشهورات والتقليديات لمعرفة ما يلزم منها وما لا يلزم .

ويطلق لفظ التقليدية أيضاً على مذهب (دوبونالد De Bonald) و (لامنا Lamennais) و (بوتان Bautain) الذين زعموا أن الوحي مصدر كل معرفة ، وأن الحقيقة لا تدرك إلاّ بإلهام إلهي .

والتقاليد أيضاً هي ما اتصل إلينا من العادات والعقائد وأمور العبادات خلفاً عن سلف ، منها التقاليد الدينية والتقاليد الاجتماعية والتقاليد السياسية وغيرها . وهذه التقاليد إما أن تكون مكتوبة ، وإما أن تكون غير مكتوبة ، وهي إذ توحد الأفراد تنتقل من جيل إلى جيل وتعمل على اتصال الحضارة .

التكوين

في الفرنسية Genèse

في الانكليزية Genesis

التكوين هو الاحداث والصيرورة والتخليق والاختراع والصنع والتصوير ، ويأتي كثيراً في كتب الفلسفة القديمة بمعنى الكون المقابل للفساد .

فتكوين الشيء هو الفعل الذي أحدث به ذلك الشيء حتى وصل إلى حالته الحاضرة ، أو هو مجموع الصور التي تعاقبت على الشيء من جهة علاقتها بالشروط المؤثرة في نموه . ومنه تكوين الموجودات ، وتكوين الوظائف ، وتكوين المؤسسات وغيرها .

ويشترط في التكوين عند الفلاسفة أن يكون مسبوقاً بمادة خلافاً للابداع الذي يشترط فيه انتفاء المادة . فله إذن مبدأ أو أصل يستند إليه . ولذلك كان التكوين والأصل متقابلين من جهة ومتداخلين من جهة .

والتكوين صفة لله تعالى أزلية ، وهو تكوينه للعالم ولكل جزء من أجزائه لوقت وجوده على حسب إرادته وعلمه . فالتكوين ثابت باق أبداً والمكوَّن حادث بحدوث المتعلق كما في سائر الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم المتعلقات .

والنسبة إلى التكوين تكويني (Génétique) . يقال الطريقة التكوينية ، وهي أن تدرس موضوعات العلوم من جهة تكونها . ويقال أيضاً التعريف التكويني (Définition génétique) وهو أن يعرف الشيءُ بالفعل المولد له كتعريفنا الخط المستقيم بأنه الخط المتولد من حركة النقطة في سمت واحد ، وكتعريفنا المثلث بأنه السطح المستوي المتولد من تقاطع ثلاثة خطوط مستقيمة . ويقال أخيراً التصنيف التكويني (Classification génétique) وهو أن تصنف الأشياء بحسب نظام حدوثها أو بحسب الأسباب المختلفة التي أثرت في تكوينها .

التلفيق (مذهب)

Syncrétisme

التلفيق هو أن تجمع في تحكم بين المعاني والآراء المختلفة حتى تكون منها مذهباً واحداً ، وهذه المعاني والآراء لا تبدو لك متفقة إلا لعدم تعمقك في إدراك بواطنها .

ومذهب التلفيق بهذا المعنى مقابل لمذهب التوفيق (Eclectisme) ، لأن مذهب التوفيق لا يجمع من الآراء والمذاهب إلا ما كانت وحدته مبنية على أساس معقول ، أما مذهب التلفيق فلا يبالي بذلك لأنه يقتصر على النظر في ظواهر الأشياء نظراً سطحياً .

ظهرت نزعة التلفيق في العصور الأولى بين القرن الثاني والرابع للميلاد فذهب أصحابها إلى أن جميع الديانات المقابلة للمسيحية تشترك في دعوتها إلى عبادة إله واحد كإيزيس أو ميترا أو الشمس أو غيرها ثم ألف فرفوريوس وجامبليك من هذه النزعة نظرية فلسفية خاصة .

وقد يطلق مذهب التلفيق على النظر في الأشياء المعقدة نظراً عاماً شاملاً ، ذلك أن المعرفة الإنسانية مرت بثلاث مراحل الأولى مرحلة النظر في الكل نظراً غامضاً ، والثانية مرحلة النظر في الأجزاء ، نظراً بيناً ، والثالثة مرحلة تركيب الكل من أجزائه التي كشف عنها التحليل . وكما مرت المعرفة بثلاث مراحل فكذلك اجتاز العقل البشري في مسيره ثلاث حالات متعاقبة يمكننا أن نسميها بحالة التلفيق وحالة التحليل وحالة التركيب .

ويطلق لفظ التلفيق في علم النفس على الحالة التي يتصف بها إدراك الطفل ، فيسمى ادراكه الغامض المشوش بالادراك الملفق (كلاباريد) .

التمثيل والتماثل

Analogie في الفرنسية

Analogy في الانكليزية

Analogia وأصله في اليونانية

مثل الشيء بالشيء سواه وشبهه به وجعله على مثاله ، ومثّل الشيء لفلان صوّره له بالكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر اليه . وتمثّل الشيء تصور مثاله ، وتماثل الشيئان تشابها ، وماثل الشيء شابهه ، وماثل فلاناً بفلان شبهه به ، ولا تكون المماثلة إلا بين المتفقين تقول علمه كعلمه ولونه كلونه بخلاف المساواة فإنها بين المتفقين في الجنس والمختلفين .

ويجيء التماثل بمعنى التناسب وهو الاتحاد في النسبة كما في الأعداد المتناسبة التي تكون نسبة المقدم منها الى تاليه كنسبة جميع المقدمات الى التوالي ، أو الأربعة المتناسبة التي تكون نسبة أولها الى ثانيها كنسبة ثالثها الى رابعها .

ولهذا التماثل ثلاثة أنواع :

الأول هو التماثل أو التناسب الحسابي الذي تكون فيه زيادة الحد الأكبر على الحد الأوسط كزيادة الحد الأوسط على الحد الأصغر . مثال ذلك :

$$أ + د = ب = حـ - د$$

أو $$ب = \frac{أ + حـ}{٢}$$

والثاني هو التماثل أو التناسب الهندسي الذي تكون فيه نسبة الحد الأكبر إلى الحد الأوسط كنسبة الحد الأوسط إلى الحد الأصغر مثال ذلك :

$$\frac{أ}{ب} = \frac{ب}{حـ}$$

والثالث هو التناسب المتناسق الذي تكون فيه زيادة الحد الأكبر على الحد الأوسط والحد الأوسط على الأصغر مساوية لحاصل قسمة كل منهما على عدد واحد ، مثال ذلك :

$$أ + \frac{أ}{د} = ب = حـ + \frac{حـ}{د}$$

فإذا عرفت حدين من هذا التماثل استطعت أن تعين الحد الثالث منه .

وقياس التمثيل (Raisonnement par analogie) هو الحكم على شيء معين لوجود ذلك الحكم في شيء آخر معين أو أشياء أخرى معينة على أن ذلك الحكم كلي على المعنى المتشابه فيه (ابن سينا ، النجاة ص ٩) .

والأصح أن يقال اثبات حكم في أمر لثبوته في آخر لعلة مشتركة بينهما . ويسمى الشيء المحكوم عليه فرعاً ، والشيء المنقول منه الحكم أصلاً أو مثالا ، والعلة المشتركة بينهما جامعاً . مثال ذلك قولنا ان الماس كالزيت لأنه يشبهه في القدرة على كسر الضوء . وقولنا إن العالم حادث لأنه جسم مؤلف ، نشابه البناء ، والبناء محدث ، فالعالم حادث .

والفرق بين قياس التمثيل والاستقراء أن قياس التمثيل ينقل الحكم من علاقة

معلومة إلى علاقة مشابهة لها من جهة ومخالفة عنها من جهة أخرى ، على حين أن الاستقراء ينقل الحكم من المشابه إلى المشابه ، فالنتيجة في القياس التمثيلي شرطية ، إلا أنها إذا أيدتها التجربة انقلبت إلى قانون علمي .

وكما يكون التماثل بين الاشياء العقلية فكذلك يكون بين الأشياء الحسية كتماثل الأعضاء وتماثل الصفات ، فالعضوان المتماثلان في حيوانين مختلفين هما اللذان يكون محلها في الجسم واحداً واقترانها بالأعضاء الأخرى واحداً حتى لو كانت وظائفها مختلفة كاليد في الانسان والجناح في الطير (جوفرواسنت هيلار) أو هما اللذان تكون وظائفها واحدة (كوفيه) .

والزمرتان المتماثلتان هما اللتان يكون كل حد من حدود الأولى منها مطابقاً لمثله في الثانية .

والسببان المتماثلان هما اللذان يكون بين آثارهما تشابه قريب أو بعيد .

والنسبة بين الحدود المتماثلة إما أن تكون عددية ، وإما أن تكون زمانية ، وإما أن تكون غائية (مثال النسبة الغائية قولنا ان وظيفة الخطوط البرقية في الدولة كوظيفة الجملة العصبية في الجسم الحي) .

والمماثلات التجريبية (Anologies de l'expérience) عند الفيلسوف (كنت) هي مبادئ قبلية في العقل المحض متعلقة بمقولة الاضافة كقولنا : لأن جميع الظواهر خاضعة في وجودها لقواعد قبلية توجب تحديد نسبها المتقابلة في زمان ما ، أو قولنا : لا تكون التجربة ممكنة الا اذا أمكن تمثل ارتباط ضروري بين المدركات الحسية .

وهذه المماثلات التجريبية ثلاث . الأولى هي دوام الجوهر ، والثانية هي أن يوجد في الطبيعة قوانين تتابع ثابتة (أعني مبدأ السببية) ، والثالثة هي المبدأ الكلي لردود الفعل المتقابلة بين جميع الجواهر في كل آن من الزمان .

جميل صليبا

قصة الأدب في المغرب

ساير موكب الأدب في المغرب مواكبه في الأقطار العربية الأخرى من لدن الفتح الإسلامي إلى الآن ، ولئن أغفل كثير من مؤرخي الأدب العربي تسجيل هذه الحقيقة فانهم لم يستطيعوا أن يغمضوا أعينهم عن المشاركة الفعالة التي قام بها أفراد عديدون من المغرب في بناء صرح المدنية العربية ، بما لها من مقومات فكرية ، وتجارب علمية ؛ وحسبنا أن نذكر أن الجغرافيَّ العربي الوحيد ، الذي ترك لنا أثراً علمياً في الجغرافية لم يُكتب مثله بعدَ « بطليوس » اليوناني ، كان عالماً من المغرب ، وهو الإدريسي الشهير ؛ فاذا أضفنا إليه الرحالة العالمي « ابن بطّوطة » كان أهم ما يعتز به التراث العربي في هذا الصدد ، منشأه من المغرب ؛ وفي علوم الطب والكيمياء ، والطبيعة ، والرياضيات ، حسبنا أن نذكر اسم أبي الحسن المراكشي الذي نجد اسمه — مع الأسف — معروفاً عند الغربيين أكثر من أبناء جلدته العرب .

وكذلك ابن البناء العددي ، الذي له فى الحساب والجبر والفلك ، مؤلفات لبثت عهوداً طويلة ، مما يُعتمد عليه في دراسة هذه العلوم بأوروبة قبل المغرب ، والبلاد العربية كافةً . ومثلها ابن الياسمين ، والجادري ، ويوسف ابن شمعون ، واللجائي ، والجزنائي ، والبعقيلي وأبو القاسم الوزير ، والغول الفشتالي وكثيرون غيرهم من الأطباء والنباتيين والمهندسين والفلكيين ..

أما في علوم الفقه والحديث وغيرهما ، من أصول الثقافة الاسلامية ، فان أحداً من أصحاب المؤلفات في طبقات علماء الاسلام ، لم يمكنه أن ينسى جهود أمثال دراس بن اسماعيل ، وأبي عمران الفاسي ، وأبي محمد

الأصيلي ، والقاضي عياض ، وابن الحاج العبدري ، وابن رشيد الفهري ، وأبي الحسن الصغير ، وابن الشاط ، وزروق ، وابن غازي ، وغيرهم كثير .

وفي علوم العربية نبغ أبو موسى الجزولي صاحب الكراسة ذات الشهرة الطائرة في علوم النحو ، وابن معطي صاحب أول ألفية في النحو نسج ابن مالك ألفيته على منوالها ، وابن آجروم صاحب المقدمة التي ما لبثت حتى الآن من كتب الدراسة الأولية لعلم النحو في العالم العربي والاسلامي ، والذي أعطى اسمه للقواعد النحوية ذاتها ، فكثيراً ما قيل الآجرومية وعُني بها النحو .

وفي متن اللغة العربية يكفي ذكر اسم مالك بن المرحّل ، وابن الطيب اللغوي الذي صار اسمه مقروناً بالفيروزبادي صاحب القاموس ، والزبيدي شارحه ، ونظائرهما من أساطين المؤلفين في متن اللغة .

أما في التاريخ فقد أعطى المغرب أسماء عديدة برزت من بين المؤلفين في التاريخ العام فضلاً عن تاريخ المغرب ، وناهيك بالمراكشي (صاحب المعجب) ، وابن عذارى (صاحب البيان المُغرب) وابن أبي زرع (صاحب القرطاس) ، وأكنسوس ، والزيّاني وغيرهم .

وذكرنا لهذه الأسماء اللامعة في غير الثقافة الأدبيـة خاصة ، إنما هو إشارة إلى تلك المساهمة التي ألمنا اليها من أبناء المغرب في الحياة الفكرية العربية عامة ، على أن الأدب بمدلوله العام ، يتناول جميع فروع المعرفة وسائر ضروب التفكير ، فاذا كان المغرب يتوفر على رجال من هذا الطراز في العلم العام ، فما بالك بمن لم يبلغ مرتبتهم ولم تجاوز شهرتهم حدود بلادهم .

أما في الكتابة والشعر والفنون الأدبية بوجه خاص ، فقد نبغ من أبناء المغرب في ذلك ، الشاعر ابن حبّوس ، والكاتب أبو جعفر بن عطية ، وأبو العباس الجراوي صاحب كتاب « الحماسة المغربية » الذي

يتحدث عنه ابن خلكان ، في « وفيات الأعيان » ويقول : انه عند المغاربة يقوم مقام « حماسة أبي تمام » .

ونبغ من الشعراء الأمراء ، أبو الربيع سليمان المُوَحّدي ، له ديوان شعر مخطوط يوجد في مكتبة « الأسكوريال » وفي غيرها من المكتبات المغربية ، كذلك نبغ من الشعراء ، ابن عبدون المكناسي ، وميمون الخطّابي ، ومالك بن المرحّل ، الذي يعد أكبر شعراء المغرب ، وله مؤلفات أدبية كثيرة ، وأبو العباس العَزَفي ، وأبو فارس الطزوزي ، والجزنائي ، وابن جابر المكناسي ، وعبد العزيز الفشتالي ، الكاتب الشاعر المؤرخ ، وابن زاكور ومنتخب ديوانه مطبوع ، واليوسي وديوانه مطبوع كذلك ، وابن الطيّب العلمي صاحب كتاب « الأنيس المطرب » على نسق « قلائد العقيان » ، وابن الونان صاحب قصيدة « الشمقمقية » في الأدب وهي مطبوعة وغيرهم .

هذا نبأ الحركة الأدبية في المغرب عبر التاريخ ، وإذا أريد استيفاء الخبر عن ذلك ، فليرجع إلى كتاب (النبوغ المغربي في الأدب العربي) الذي أرخ للحياة الفكرية والحضارة المغربية ، من لدن الفتح العربي ، إلى بداية القرن الحالي .

وأما في الفترة الراهنة ، وهي ما نعبر عنه بالعصر الحديث ، فان الأدب أخذ يتطور شكلاً وموضوعاً ، أسوة بما حدث في الشرق العربي ، فلم يعد قاصراً على القصيدة الشعرية ، والرسالة النثرية ، أو المقامة والخطبة ، وما إلى ذلك ، بل استُحدثت فيه أشكال عديدة ، وأبواب جديدة ، من أهمها في الشعر ، المسرحية ، وفي النثر ، المقالة ، والأقصوصة ، والقصة ، كما أن الموضوعات التي كان يتناولها الشاعر والناثر لم تبق هي موضوعات المدح ، والغزل ، وما إلى ذلك في الشعر ، والوصف والمطارحات الأدبية ونحوها في النثر ، وإنما اتسع المجال أمام الشاعر

والكاتب ، وأصبح الأديب صاحب رسالة سامية ، ومكانة مرموقة في المجتمع بصفته أحد قادة الفكر ، ورائداً من رواد النهضة في العالم العربي . وهكذا لم يعد الأدب فناً مسخراً لخدمة الرؤساء والملوك ، ولا تزجية للوقت عند من لم ينزل بأدبه لمستوى الشعراء المادحين ، والكتاب المتكسبين ، بل صار دعوة ومذهباً ، وتعبيراً صادقاً عن الحياة والواقع الاجتماعي .

ومن الحق القول بأن تطور مفهوم الأدب عندنا إنما حصل بتأثر النهضة الأدبية التي قامت في الشرق العربي ، في بداية هذا القرن ، إذ أنه قبل أن يتصل أبناء المغرب ، بالثقافة الغربية ، ويطلعوا عن طريق المدرسة الفرنسية على المذاهب الأدبية الحديثة ، كانت الطليعة الأولى من أدباء المغرب ، تتصل عن طريق الصحافة العربية ، والمطبوعات الصادرة في البلاد العربية ، وخاصة منها مصر ، بالإنتاج الأدبي الجديد ، لأعلام النهضة في العالم العربي ، وتتأثر به وتحاول النسج على منواله ، وكان من هؤلاء من له آثار طيبة في هذا الميدان ، كالشاعر المرحوم محمد السليماني ، والأديب الكبير احمد بن المواز ، والكاتب المؤرخ محمد برجندار ، وسواهم من طلائع النهضة الأدبية المتوفين ، ومن الأحياء أحمد النميش ، ومحمد الجزولي ، ومحمد كنون ، ومحمد بن اليمني الناصري ، وهو أخصبهم قريحة وأكثرهم إنتاجاً .

وكما كان الحال في الشرق العربي ، أول النهضة الحديثة ، فان الشعر السياسي الوطني هو أول ما ظهر من ألوان التجديد في موضوعات الأدب ، وذلك أن طائفة من شباب الجيل الناشىء ، في عهد الحماية ، لما رأوا البلاد ترزح تحت نير الحكم الأجنبي ، أخذتهم العزة الوطنية ، والحمية العربية فصاروا يتغنون بشعر كله ثورة على الواقع الأليم ، ويدعون إلى مقاومة التدخل الأجنبي ، وتذكير الشعب بمجده وتاريخه العظيمين ، مما أدى إلى إذكاء الوعي القومي في نفوس الجماهير الشعبية ، وشنها غارة شعواء على

الاستعمار وأعوانه حتى تخلصت البلاد من براثنه ، وانتفضت انتفاضتها الخالدة ، التي أعادت إلى المغرب حريته واستقلاله .

ونذكر في طليعة هذه الطائفة من الشعراء الوطنيين : علال الفاسي ، والمختار السوسي ، والمكي الناصري ، والشهيد محمد القري ، ثم تلتها طائفة أخرى ، قالت الشعر الوطني والاجتماعي ، ولم تقصر في ميادين الشعر الأخرى ، ولا سيما الشعر العاطفي ، وهذه أمثال عبد الرحمن حجي ، وعبد القادر حسن ، الذي كان أول شاعر مغربي حديث ، طبع له ديوان ، ومحمد مكوار ، الذي طبع له هو الآخر ديوان شعر ، وعبد المالك البلغيثي ، وله أيضاً ديوان مطبوع ، وعبد القادر المقدم ، وله كذلك ديوان مطبوع ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم بن ثابت ، ومحمد الحلوي ، وعبد الغني سكيرج ، وإدريس الجاي ، وعبد الوهاب بن منصور ، وأبو بكر اللمتوني ، وناصر الكتاني ، وحماد العراقي ، وأحمد البقالي ، وعبد السلام العلوي ، وإبراهيم الالغي ، وعبد الرحمن الدكالي ، ومحمد الصقلي ، وإدريس العلمي ، وغيرهم ممن لا أستطيع احصاءهم ها هنا لضيق المجال ، وإن كان الأمر الذي لا شك فيه ، أن منتخبات من أشعارهم تؤلف مجموعة ضخمة من الشعر الحديث في المغرب الجديد . على أن النثر في هذا العهد ، كان أعظم مادة من الشعر ، والإنتاج فيه أوسع بكثير من الإنتاج الشعري . وقد رافق النثر وتطوره ظهور الصحافة وتطورها ، فظهرت في الأول المقالة الاجتماعية ، ثم السياسية ، وبتأسيس الصحافة الأدبية ، ظهرت البحوث التاريخية واللغوية ، والأقصوصة والقصة ، ثم ظهرت المؤلفات في الموضوعات المختلفة . ومن المجلات التي كان لها انتشار وتأثير في توجيه الحياة الفكرية : مجلة « السلام » ، و « رسالة المغرب » ، و « الثقافة المغربية » ، و « المغرب الجديد » ، و « لسان الدين » ، و « الارشاد الديني » ، و « الانوار » ، و « الأنيس » ، و « المعرفة » ، وأخيراً مجلة « دعوة الحق » و « رسالة الأديب » .

ومن كتاب هذه المجلات السابقين واللاحقين الأساتذة : محمد بن الحسن الوزاني ، ومحمد داود ، ومحمد بنونة ، ومحمد الطنجي ، وعبد الخالق الطريس ،

والمكي الناصري ، وعلال الفاسي ، وعبد العزيز بن إدريس ، وسعيد حيجي ، وإدريس الكتاني ، وعبد الرحمن الفاسي ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم غلاب ، وعبد الله إبراهيم ، ومحمد القباج ، ومحمد أبا حنيني ، ومحمد المنوني ، والتهامي الوزاني ، وعبد الوهاب بن منصور ، وإبراهيم الكتاني ، وعبد الهادي التازي ، ومحمد التطواني ، ومحمد عزيمان ، ومحمد العربي الخطابي ، والمهدي بنونة ، ومحمد الحبابي ، وعلال الجامعي ، وحسن السائح ، ومحمد الصباغ ، وإدريس بن جلون ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الهادي بو طالب ، وعبد القادر زمامة ، ومحمد بن الحبيب ، وقاسم الزهيري ، وعبد القادر الصحراوي ، ومحمد بن تاويت ، وأحمد زياد ، وعبد اللطيف الخطيب ، وغيرهم ، وغيرهم ، ممن لم تحضرني أسماؤهم الآن ، وقد امتاز على الخصوص بكتابة المقالة السياسية : عبد الخالق الطريس ، ومحمد الوزاني ، وعلال الفاسي ، والمكي الناصري ، وقاسم الزهيري ، وعبد الهادي بو طالب ؛ وبكتابة الأبحاث الأدبية والتاريخية : محمد بن تاويت ، ومحمد الفاسي ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الوهاب ابن منصور ، ومحمد القباج ، ومحمد المنوني ، ومحمد التطواني ، وعبد القادر زمامة ؛ وبكتابة المقالة الاجتماعية : محمد بنونة ، والتهامي الوزاني ، وإدريس الكتاني ، وعبد الكبير الفاسي ؛ وبكتابة القصة : عبد المجيد بن جلون ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الرحمن الفاسي ؛ وبالكتابة على الطريقة الرمزية : محمد الصباغ ؛ وبالترجمة عن الأدب الاسباني على الخصوص : عبد اللطيف الخطيب ، وامتاز من هؤلاء جميعاً بكثرة الانتاج والتأليف ، عبد العزيز بن عبد الله ، وعلال الفاسي ، ومحمد داود ، ومحمد المنوني ، ومحمد المختار السوسي ، والتهامي الوزاني ، وعبد المجيد بن جلون ، ومحمد الصباغ ، وعبد الكريم غلاب .

ولم يظهر حتى الآن أديب ذو نزعة خاصة ، ولا أدب ينتمي لمذهب من المذاهب الأدبية المعروفة .

———

عبد الله كنون

أسلوب الكندي

أنبتت بغداد، خلال فترات طويلة من عمر الزمن، صفوة مختارة من الأعلام كانوا مصابيح نيّرة للعقل البشري، وما زال انتاجهم الفكري: شعراً ونثراً، علماً وفناً، حكمةً وفلسفةً، يفيض بالقوة والابداع، على الرغم من مرور نيّف وعشرة قرون على تدبيج تلك الروائع.

وكتبنا القديمة تزخر بالآيات البيّنات التي كتبها مفكرو العراق وأدباؤه في العصر العباسي، وهي تؤلف بمجموعها دعائم التراث الفكري الذي أعطى الانسانية ثمرات يانعة من أطيب الثمرات.

ولا مجال لتعداد الكتب والرسائل والموضوعات، ولا أسماء الكتّاب والشعراء والمؤرخين والفلاسفة والحكماء، فكل واحد منهم دنيا مستقلة من عبقرية الفكر، حتى ليفخر انسان هذا العصر، مهما كانت ثقافته وجنسيته، بذلك التراث الذي تركه مفكرو العصر العباسي ومدارسه الفكرية بشتى ألوانها ونزعاتها واتجاهاتها والتي حظيت حظوة منقطعة النظير برعاية غير واحد من الخلفاء.

* * *

من أولئك المصابيح الهداة الفيلسوف العربي يعقوب بن اسحاق الكندي[1] الذي

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي، الملقب «فيلسوف العرب» كان شريف الأصل، عريق النسب، وكان أبوه اسحاق أميراً على الكوفة للمهدي «١٥٩ – ١٦٩ هـ = ٧٧٥ – ٧٨٥ م»، والرشيد «١٧٠ – ١٩٤ هـ = ٧٨٦ – ٨٠٩ م». وُلد في البصرة ونشأ، ثم أتى الى بغداد، واتصل بالمأمون «١٩٨ – ٢١٨ هـ»، وأدّب محمد بن المعتصم. وكان عظيم المنزلة عندهم، أما المتوكل فقد نقم عليه وضربه وأبعده.

أقدم، في أوائل عصر النهضة ، على نقل كل ما يلقح الفكر العربي من تراث اليونان العلمي ، فخاض معركة الترجمة بروح مليئة بحب العلم ، في فترة كانت الترجمة ، ولا سيا ترجمة كتب العلوم والفلسفة من الصعوبة بمكان عظيم ، بل كانت أعصى ما يواجهه المفكر العربي الذي يتصدّى لحمل أمانة هذه الرسالة الكبرى .

وقد اتفق جميع من ترجم لهذا الفيلسوف العربي الذي دبّجت يراعته عشرات الكتب والرسائل في شتى انماط المعرفة — اتفقوا جميعهم قدماء ومحدثين ، عرباً وأجانب منهم المستشرقون ، على أنه من أفذاذ المفكرين .

ولا علينا ، قبل الإلماع إلى آراء من ترجم له ، وإلى أسلوبه ، أن نمرّ مروراً سريعاً بنشأته ...

فقد توفي أبوه وهو طفل ، فكفلته أمه وكانت ، على ما يظهر ، بعيدة النظر وعلى جانب عظيم من الذكاء ، فلم تشأ ، وهو ربيب نعمة وابن مجد وسؤدد ورئاسة ، وللعلماء مكانتهم المفضلة عند الخلفاء ـ لم تشأ أن يعيش ابنها إمعةً من الإمعات ، فوجّهته نحو العلم ، ولا سيا ، بعد أن لمست فيه حدة الذكاء وبشائر الألمعية والموهبة المشمّة .

وسار الطفل ، في هذه الطريق الوعرة ، يعبّ الكثير من علوم ذلك العصر ، حتى إذا شارف فجر الشباب مال إلى تعلم أكثر من لغة واحدة .

وكانت السريانية واليونانية لغتي الثقافة الرفيعة في ذلك العصر ، كما هو شأن اللغتين الإفرنسية والإنكليزية في أوائل عصرنا هذا ، فانكبّ يتعلمها باعتبارهما وسيلة العلماء لنقل آراء أساطين الإغريق ، وما زال مكبّاً على تعلمهما حتى تمكن منهما ، وعرف بين معاصريه بأنه في طليعة حذاق الترجمة ، وأصبح اسمه يقرن إلى اسم حنين بن اسحاق ومَنْ هم في منزلته الرفيعة من التراجمة .

ففي كتاب « طبقات الأطباء » نقلاً عن أبي معشر قوله :

« حذاق الترجمة في الإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن فرخان الطبري ... »

* * *

اتقان الكندي أكثر من لغة واحدة حفزه إلى أن يلم إلماماً واسعاً بمعارف عصره ، فاجتذبته آفاق العلم إلى رحابها ، وكان لا بد له من الغوص في لجج محيطاتها ، وإذا به إزاء عوالم مجهولة تضيء الفكر بشتى ألوان المعرفة . وحين نهل من تلك الينابيع الصافية ، وتلمس جمال تلك الآفاق العلوية التي تنعم بها غير أمته العربية ، رأى أن يعكف على الترجمة ، فترجم بعض الكتب ، ولخص بعضها ، وقرأ ما ترجم غيره ، ثم ألف عشرات الرسائل . وبذلك استطاع أن ينفع أمته بما تنعم به غيرها من شتى ألوان الثقافات .

يقول الدكتور ماكس مايرهوف في بحثه القيم عن « تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب » :

« .. كان أبو يوسف بن إسحاق الكندي المسمى فيلسوف العرب — كان حقاً ، بحسب ما نعرفه ، أول مسلم أتقن علوم اليونان ، إلى حد يدعو إلى الدهشة » .

« .. وكتب معتمداً في الغالب على التراجم السريانية لعلوم الأوائل ، قرابة ثلثمائة كتاب من تأليفه هو : في الطب والفلسفة والأرسططاليسة ، والفيثاغورية المحدثة والأفلاطونية المحدثة ، وفي الرياضيات والبصريات ، وفي الفلك والآثار العلوية ، والموسيقى والسياسة المدنية والأخلاق وغيرها ، وعن هذا الطريق ساعد على أن يفتح للعرب الطريق إلى علوم الأوائل ، كما هي الحال في التراجم [1] .

(١) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية : دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها وترجمها الدكتور عبد الرحمن بدوي ص ٥٩ — ٦٠ .

ووصفه ابن النديم في الفهرست[1] بقوله : « فاضل دهره ، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ... »

وأشار صاحب كتاب « أخبار الحكماء[2] » إلى ثقافته العامة بقوله : « كان كثير الاطلاع واشتهر بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ... »

ويقول سليمان بن حسان وهو ابن جلجل الأندلسي : « إن الكندي كان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم ، وقيل إنه كان يملك جانباً من علوم الإغريق والفرس ، ويعرف حكمة الهند » .

واعتبره المستشرق ماسينيون ، إمام أول مذهب فلسفي إسلامي في بغداد ، وله أبحاث طريفة ، ثم اليه يرجع الفضل بعد ذلك في تحرير جملة من التراجم العربية لمصنفات يونانية في الفلسفة[3] » .

* * *

هذا الفيلسوف العربي العلمي (الأنسيكلوبيدي) الثقافة أعطى مواهبه لشتى أنماط المعرفة فترجم عنها وكتب فيها وغاص في لججها وترك حشداً كبيراً من الكتب والرسائل لم يصل إلينا منها غير النزر اليسير — هذه الرسائل والمؤلفات بأي أسلوب كتبت ؟

هل تتميز بالسهولة والوضوح والإشراق ؟

هل واتته لغته وهو يترجم عن السريانية واليونانية ، ولا سيما حين غاص في بحوث الطب والفلك ومعضلات الفلسفة ؟

(١) ص ٢٥٥ .
(٢) ص ٤٦ .
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية : مصر ج ٥ ص ٦ .

والترجمة من لغة إلى لغة شروط قاسية ، ولا سيا إذا كانت تتناول علماً وفناً وفلسفة .

ففي عصرنا هذا ، بالرغم من تطورنا الفكري ، وبالرغم من وجود تراجمة أفذاذ لا يقل مستواهم الفكري عن المؤلفين الذين ينقلون آثارهم ، وبالرغم من الهيئات العلمية التي يتولى بعض أفرادها نقل لغة العلم إلى لغتنا ، وتعريب الكثير من المصطلحات العلمية والفنية ، وبالرغم من حرص المجامع العلمية التي تظهر التشدد فيا إذا شذ بعض المترجمين عن روح اللغة ، وبالرغم من أن الترجمة عن اللغات الأجنبية قطعت شوطاً بليغ الأثر في تطورنا الفكري فما زال الخلاف مستحكماً حول الكثير من الألفاظ والمصطلحات العلمية والفنية والنفسية والفلسفية وغيرها وغيرها ... وهذا الذي حدا بمجمع اللغة العربية في مصر ، (وهو يضم جهابذة علماء العرب والمستشرقين) على أن يشكل عدة لجان من العلماء المختصين « لوضع مصطلحات عربية في لفظها وفي معناها تحل محل المصطلحات الأجنبية » ومنهجه ، في وضع هذه المصطلحات « التنقيب عنها أولاً في كتب اللغة والعلم القديمة ، فإذا وجدها اعتمدها ، وإذا لم يجدها ، لجأ إلى الاشتقاق أو المجاز ، أو النسب أو التصغير ، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية حتى تكون ثروة اللغة مستمدة من أصولها ومواردها ، فتستغني بها عن سواها ، وتستطيع أن تثبت أمام جيوش الألفاظ الاجنبية التي تحاول أن تغزوها لتحل محلها [١] » .

هذا ما تحاوله الآن ، وبالرغم من كل ذلك فما تزال وجهات النظر مختلفة في الكثير من الألفاظ والمصطلحات العلمية التي ننقلها عن لغات الغرب إلى لغتنا .

وبديهي ، والعرب في بدء اتصالهم بغيرهم من الأمم التي سبقتهم في ميادين الفكر الحضاري والتأليف العلمي والفلسفي — بديهي ألا تتمتع الترجمات ،

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية : مصر ج ٥ ص ٦ .

ولا سيما إذا كانت خارجة عن نطاق المنثور والمنظوم من روائع الأدب — بديهي الا تتمتع هذه الألوان من مائدة الفكر بوضوح الأسلوب وسهولته ، وبصفائه وإشراقه ، بل بالدقة اللازمة لصوغ الفكرة وصقلها كما كتبت بلغتها الأصلية .

* * *

لا أريد في هذه التوطئة أن احكم حكماً قاسياً على أسلوب الكندي الذي طعن فيه بعض معاصريه دون أن يلتمسوا له الأعذار التي تُلتمس لمن يتصدى لترجمة شتى أنماط الفنون والعلوم ، ولا سيما والكندي لم يقصر جهده على الترجمة فحسب بل ألف وصنف وكان من المبرّزين .

* * *

ففي كتاب « نزهة الأرواح » لشمس الدين الشهرزوري :

« ذكر أبو سليمان السجزي : أنه اجتمع هو وجماعة من الحكماء عند الملك أبي جعفر بن بويه بسجستان ، فجرى حديث فلاسفة الإسلام ، فقال الملك : ما وجدنا فيهم ، على كثرتهم ، من يقوم في أنفسنا مقام سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس .

فقيل له : ولا الكندي ..

قال : ولا الكندي .. فان الكندي على غزارته ، وجودة استنباطه رديء اللفظ ، قليل الحلاوة ، متوسط السيره ، كثير الغارة على حكمة الفلاسفة .. » (١)

---

(١) عن نسخة مصورة بمكتبة الجامعة المصرية ص ١٧٥ .

هذا الرأي الذي أطلقه الملك البويهي تناقله غير واحد ممن عرضوا إلى حياة الكندي وأسلوبه وقد انتهوا ، إلى ما انتهى إليه ، عدا ، مؤلف معاصر عني عناية كبرى بنشر بعض كتبه ورسائله وتحليل الغامض من آرائه وفلسفته ، أريد به الدكتور عبد الهادي أبو ريده الذي شجب هذا الرأي بقوله :

« ... لا شك أن في كلام هذا الأمير تحاملاً كبيراً ، لعله ناشئ من وجه ما ، عن أن الأمير البويهي أعجمي اللسان ، ثم هو ، بعد هذا ، ليس بالفيلسوف الذي يتذوق الأسلوب الفلسفي ...

« ولا يمكن الحكم على أسلوب كاتب إلا مع مراعاة موضوع الكتابة ، وطبيعة الأسلوب الذي يلائمه ، والاصطلاح الذي لا بد ان يجري عليه الكاتب في ذلك . فليس أسلوب الأديب الذي يصف المشاعر الإنسانية كأسلوب عالم الطبيعة الذي يتكلم عن عالم المادة وأحواله وعلاقاته ، ولا هو كأسلوب العالم المنطقي أو الرياضي الذي يصوغ قياساً ، أو يقيم برهاناً ، أو ينشئ استدلالاً بوجه عام ، ولا هو كأسلوب من يعرض الفلسفة ، ويقيم الدليل على قضية فلسفية ... » [1]

وكما اتهمه الأعاجم برداءة اللفظ لرداءة أفهامهم وجد من اتهمه بجهل أبسط قواعد اللغة العربية .

روى عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : اني لأجد في كلام العرب حشوا .

فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟

فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون إن عبد الله قائم ... ثم يقولون : إن عبد الله لقائم ... والألفاظ متكررة والمعنى واحد .

---

(١) رسائل الكندي الفلسفية ص ٢٢ .

فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ . فقولهم : عبد الله قائم ، إخبار عن قيامه ، وقولهم : إن عبد الله قائم ، جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : إن عبد لقائم : جواب عن إنكار منكر قيامه . فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني ...

قال : فما أحار المتفلسف جواباً !..

لا ريب أن أحد خصوم الكندي قد اختلق هذه القصة ، وقد كان له حسّاد وخصوم كثيرون ، حسدوه لمقامه الرفيع عند الخلفاء من جهة ، ولنزعاته الفلسفية المتحررة التي كانت تعتبر عندهم هرطقة وزندقة من جهة أخرى [1]، ولهذا ، أو لغير ذلك من العوامل ، كان يرمى بالكثير من المثالب ومنها هذا المأخذ الذي ينقضه تبحره بعلوم العربية ، إذ ليس في مصنفاته ما يدل على جهله اللغة لدرجة تفوته فيها مثل هذه البديهيات ولا سيما ، وقد كان ، كما تشير الروايات ، من نقاد الأدب والشعر ، وقصة نقده لأبي تمام حين

(١) كان ثمة عداوة فكرية بين الكندي وبعض رجال الدين الذين اتهموه بالإلحاد كما اتهمهم هو بالاتجار بالدين وبتأويل الفلسفة تأويلاً سيئاً ، وارجع ذلك الى « ضيق في فطنتهم عن أساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة في الرأي والاجتهاد في الانفاع العامة الشاملة » ثم « لدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمة ، والحاجب بسدف سجوفه أبصار فكرهم عن نور الحق » . وقد روى المسعودي في مروج الذهب قصيدة لأحد الشعراء اتهم فيها الكنديّ بالانتساب الى اليونانيين ودس آراء للملاحدة من الفلاسفة على الإسلام جاء فيها :

أبا يوسف اني نظرت فلم أجد ... على الفحص رأياً صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ ... بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عندا
أتقرن إلحاداً بدين محمد ... لقد جئت فينا يا أخا كندة إدّا
وتخلط يوناناً بقحطان ضلة ... لعمري لقد باعدت بينهما جدا

أنشد احمد بن المعتصم قصيدته السينية مشهورة [١] .

وشك الأستاذ أبو ريدة أيضاً بهذه القصة فقال : « ولا يعقل أن الكندي العربي الصميم الذي أقام بالبصرة حيث وجد نحاة كبار ، وتأدب ببغداد ، ودرس المنطق ، يفوته إدراك الفرق في المعنى بين هذه العبارات ، ولا بد أن يكون في هذه الرواية خطأ ، خصوصاً لأن العالم اللغوي المذكور توفي بعد الكندي بأربعين عاماً ، أو أن يكون المقصود كندياً آخر ... ذلك لأن الكندي فيلسوف العرب يذكر في رسائله ما يدل على علمه باللغة ، فهو مثلاً يشترط فيمن يفسر آيات القرآن تفسيراً فلسفياً أن يكون علياً بواقع القرآن حقيقة ومجازاً ، هذا إلى أنه يعطينا مثالاً لتفسير القرآن يدل ، إلى جانب تحليل الأصول الفكرية ، على نفاذ في فهم المعنى اللغوي ، كما أنه يذكر شواهد من الشعر مبيناً ما فيها من ضروب المجاز » [٢] .

* * *

(١) في كتاب « سرح العيون » لابن نباتة المصري : أنه كان حاضراً عند أحمد بن المعتصم وقد دخل أبو تمام ، فأنشده قصيدته السينية ، فلما بلغ الى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال الكندي : ما صنعت شيئاً .

قال : كيف ؟

قال : ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب ، وأيضاً ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ، ألا ترى الى قول العكوك في أبي دلف ؟ :

رجل أبر على شجاعة عامر   بأسا وغبر في محيا حاتم

فأطرق أبو تمام وأنشد :

لا تنكروا ضربي له من دونه   مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره   مثلاً من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة فتعجب منه ، ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك . فقال الكندي : وا"وه فانه قصير العمر ، لأن ذهنه ينحت من قلبه ، فكان كما قال .. »

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

ونعود إلى موضوع أسلوبه على ضوء معالجة بعض الباحثين لهذه الناحية :

فالواقع ، أن غموض أسلوب الكندي أو وضوحه شغلا أكثر من مفكر واحد ممن تصدّوا لدراسة كتابه ورسائله ، وكان في طليعة الذين بحثوا هذا الموضوع الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق مدرس الفلسفة الإسلامية في جامعة القاهرة وهو كما نعلم أديب كبير ، حسن الترسل ، جزل العبارة ، مشرق الأسلوب يقول :

« ... والذي يلاحظ في أسلوب الكندي ، اعتماداً على المصادر الضئيلة التي وصلت إلينا من مؤلفاته : أن فيه غموضاً يأتي بعضه من أن الألفاظ الاصطلاحية لم تكن استقرت في نصابها وتحددت معانيها ..

ويقول : وقد يكون الغموض من عدم وضوح المعنى في نفسه ، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ جلسن في كلامه على نظرية العقل عند الكندي حسبما ورد في رسالته « العقل » الموجودة باللاتينية حيث يقول : « المعاني ضعيفة كأن الكندي كان يكابد في امتلاك ناصيتها عناء »[1] .

والواقع ، أن الأصول التي كان يرجع الكندي إليها مترجمة كانت إلى العربية أو غيرها ، أو موجودة في لغاتها الأصلية لم تكن تخلو من تحريف ، ومن غموض ، وكان طبيعياً أن يجد الكندي عناء في استخلاص معانٍ منها مستقيمة في نظر العقل ، منتظمة النسق .

وكان جهد الكندي في استخلاص هذه المعاني ، مجتمعاً إلى جهده في إبرازها في لغة لم تذلل للأبحاث العلمية ، يظهر في أسلوب الكندي ، فيضعف من روعة بيانه حين يقاس بأساليب البلغاء من أدباء العربية في ذلك العهد ،

(1) Gilson (ET) Archives d l'histoire ee litterouire de moyen age (anné 1929 - 1930) Paris

ويضعف من وضوح معانيه أيضاً مع ميل الكندي للإيجاز ، والاقتصار من الألفاظ على ما يضبط المعنى ويمثله في الذهن مستقيماً .

والظاهر : أن الغموض كان غالباً على أساليب المشتغلين بالبحوث العلمية في عصر الكندي لأسباب مختلفة يشير إلى بعضها الجاحظ في كتاب الحيوان . . »[1]

كأني بالأستاذ مصطفى عبد الرازق قد أقرّ بغموض أسلوب الكندي بعد أن التمس له عدة أسباب أهمها :

أ — أن الألفاظ الاصطلاحية الفلسفية لم تكن استقرت في نصابها وتحددت معانيها .

ب — الغموض في نفس المعاني التي نقلت عنها .

جـ — كون العربية لم تذلل للأبحاث العلمية .

د — حرص الكندي على ضبط المعنى وتمثيله في الذهن مستقيماً .

وقد عرض الدكتور أحمد فؤاد الأهواني إلى هذا الموضوع فقال :

« ... وقد شاع عن الكندي ضعف الأسلوب ، والنزول عن مستوى الأدباء .. وكيف نريد من الكندي حين يؤلف في الهندسة وعلم الهيئة ، وينقل كتب المنطق والفلسفة الأولى أن يصوغها في أسلوب الجاحظ ...

« على أنك تقع في بعض الأحيان على عبارات يبدو فيها الترسل فيرتفع إلى مقام البلغاء ... أمّا الغالب عليه فالغموض والتواء التعبير ومجافاة روح العربية ، ومرجع هذا كله إلى طول النظر في الكتب اليونانية والسريانية مع صعوبة النقل ووعورة الموضوعات ، واصطناع الألفاظ الجديدة للتعبير عن نظائرها في تلك اللغات .

وكان يستحدث في اللسان العربي ألفاظاً جديدة تعبر عن المعاني الفلسفية وليس

---

(١) مجلة كلية الآداب : الجامعة المصرية ج ٢ مجلد ١ سنة ١٩٣٣ ص ١٢٨ .

هذا بالعمل اليسير (١) » وكذلك عرض الأستاذ أبو ريدة إلى نفس الموضوع فاتجه ، بعد أن درس ما ظفرت به المكتبة العربية من كتبه ورسائله ، اتجاهاً يخالف رأي الدكتور الأهواني ورأي أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق . ومما ذكره بعد أن وطأ لهذه الرسالات بمقدمات وافية قوله :

« .. لا شك أن الكندي كان راسخ القدم في علم اللغة ، فنحن نجد أسلوبه قوياً من حيث استعمال الصيغ الاشتقاقية اللغوية التي يدهش لها القارئ الحديث ، فاذا تصفح المعاجم وجد أنها صيغ صحيحة ، وقد اضطررنا أن نشرح كثيراً من الألفاظ في تعليقنا على رسائله .

« وأسلوب الكندي ، بعد هذا ، طويل النفس فيه بناء للفكرة والاستدلال ، بحيث قد تبلغ الجملة الواحدة أسطراً عديدة ، وبحيث لا يفهمها إلا من كانت له دربة على متابعة سير الاستدلال المنطقي الفلسفي ، وأن طول الجمل ، وما في ثناياها من فواصل اعتراضية قد كان من جملة الأسباب التي أوقعت المترجمين لرسائله إلى اللغة اللاتينية في الأخطاء .. إذ أنهم وقفوا حيث لا يصح الوقوف ، وألحقوا بعض جمل الصلة بما لا يصح أن تلحق به ... على ما بيناه في موضعه من رسالة « في العقل » ورسالة « في ماهية النوم والرؤيا » وهذا كله يظهر في رسائله التي نقدم لها ، فهو لا يحتاج إلى ذكر أمثلة ، ولا يخلو عرض الكندي لأفكاره من وثبات بلاغية صادرة عن قوة الإحساس ، وعن الحماس للفكرة التي يدافع عنها ، كما لا يخلو أحياناً من السجع أو من ضروب التمثيل والمجاز (٢) » ..

* * *

(١) كتاب الكندي الى المعتصم للاهواني ص ٣٤ .
(٢) رسائل الكندي الفلسفية ص ٣٤ .

لقد تعمدت من بسط هذه النصوص لأساتذة أعلام معنيين بالفلسفة الإسلامية وبدراسة فلسفة الكندي ، وعلى جانب مرموق من النزعة الأدبية البليغة ، تعمدت أن أشير إلى آرائهم في أسلوبه ، وكان الأستاذ أبو ريده أدق شرحاً للموضوع حين انتهى إلى وصف أسلوبه بأنه « جزل رصين ، قوي الألفاظ ، متين بناء الجمل ، موصول ما بينها وصلاً منطقياً ، وهو لا يخلو من سلاسة يستلذها الأديب الرزين الذي لا يرجح عنده رنين الألفاظ ، ولا العبارات التي تحرك الخيال على كمال بناء المعاني التي هي مجال القوة الفكرية .

ولا شك أن أسلوب الكندي ، من هذا الوجه متأثر إلى حد كبير بطبيعة الدراسة الفلسفية »[1] .

وهذا ما أشرنا إليه في صدر كلامنا ، حين قلنا إن معالجة موضوع أدبي بحت يختلف كل الاختلاف عن الموضوع العلمي أو الموضوع الفلسفي .

فالكندي وقد حذق اليونانية والسريانية وكان كما وصفه القفطي واسع الاطلاع على جميع العلوم ان هذا الفيلسوف العربي لم يجعل الترجمة ديدنه ، بل نقل بعض الكتب ، ثم قرأ علوم وفلسفة ذياك العصر والعصور التي تقدمته ، فهضم أكثرها وفلسف بعضها ، وحين ألف وصنف لم يعمد إلى ترجمة النصوص بقدر ما اعتمد على إدراكه وفهمه لها رغم زحورة سيناها وصمناها ، فكان بحق ذا ذهن متفتح مشع طاف مختلف الآفاق ، ويظهر أن اهتمامه بالمضمون كان أكثر من اهتمامه بالشكل ، أي إنه اهتم بفك الرموز والطلاسم وكتابتها بلغة سهلة مبسطة لتكون في متناول العقل العربي الذي أقبل بحب من تلك الينابيع الفياضة بلهف وشوق فكان يسوغ بعضها ، ويضيق ببعضها الآخر ، كل انسان بحسب ميوله وثقافته .

---

(١) نفس النص ص ٢٤ .

وبديهي أن الذين تجتذبهم روائع الأدب مثلاً غير الذين تجتذبهم المعادلات الجبرية وألغاز العلوم الطبيعية والفلكية .

فهل علينا ، في هذه الحالة ، أن نلتمس إشراق الأسلوب عند العالم كما نلتمسه عند الأديب ؟

وإذا لم نجد عنده سحر الكلمة واشراقها فهل نصف أسلوبه بالالتواء والغموض ؟ أبداً ، فقد كان الكندي بالنسبة إلى معاصريه ، وإلى من اشتغلوا بالعلوم والفلسفة ، واضحاً في بسط الكثير من الآراء والنظريات التي عرض لها .

وما علينا أن نقف وقفات قصيرة مع نبذ من الكلمات التي تركها لنا لنرى أنه كان كثير الدقة في عرض أفكاره في سهولة ويسر لا يعتورها الغموض ، ولا سيما في الآراء الفلسفية التي لخصها عن فلاسفة الاغريق وأضفى عليها من علمه وأدبه ما جعلها سائغة للفكر العربي .

ففي رسالة النفس التي لخصها لأحد تلامذته عن أرسطو وأفلاطون وسائر الفلاسفة قوله :

« إن النفس بسيطة ، ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، وجوهرها من جوهر الباري عز وجل ، كقياس ضوء الشمس من الشمس ...

« وقد بين — يريد أرسطو — أن هذه النفس منفردة عن هذا الجسم ، مباينة له ، وأن جوهرها جوهر إلهي روحاني بما يرى من شرف طباعها ، ومضادتها لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب .

« وذلك أن القوة الغضبية قد تتحرك على الإنسان في بعض الأوقات ، فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم ، فتضادها هذه النفس ، وتمنع الغضب من أن يفعل فعله ، أو أن يرتكب الغيظ ، وترميه وتضبطه كما يضبط الفارس الفرس إذا هم أن يجمح به أو يرميه .

« وهذا دليل بين على أن القوة التي يغضب بها الانسان غير هذه النفس التي تمنع الغضب أن يجريَ الى ما يهواه ... لأن المانع لا محالة غير الممنوع ، ولأنه لا يكون شيءٌ واحد يضادّ نفسه .

« وأما القوة الشهوانية فقد تتوق في بعض الأوقات الى بعض الشهوات ، فتفكر النفس العقلية في ذلك أنه خطأ ، وأنه يؤدي الى حالة ردية فتمنعها عن ذلك وتضادها ، وهذا دليل على أن كل واحدة منهما غير الأخرى ... »

* * *

وفي مناقشته لآراء فلاسفة الاغريق من أفلاطون الى أفسقورس الى أرسطاليس ينتهي ، الى أنه لا مجال لبلوغ النفس أرقى المراتب الا بتطهيرها من الأدناس فيقول :

« ان الانسان اذا تطهر من الأدناس صارت نفسه حينئذ صقيلة ، تصلح وتقدر أن تعلم الخفيات من الغيوب ، وقوة هذه النفس قريبة الشبه بقوة الإله تعالى شأنه ، اذا هي تجرّدت عن البدن وفارقته وصارت في عالمها الذي هو عالم الربوبية ... »

ثم يخاطب أولئك الذين يجهلون حقائق الحياة ويهملون علوية النفس بقوله :

« فقل للباكين ممن طبعه أن يبكي من الأشياء المحزنة : ينبغي أن يبكي ، ويكثر البكاء على من يهمل نفسه وينهكها من ارتكاب الشهوات الحقيرة الخسيسة الدنية المموهة ، التي تكسبه الشرّة ، وتميل بطبعه الى طبائع البهائم ، ويدع أن يتشاغل بالنظر في هذا الأمر الشريف . والتخاص اليه ، ويطهر نفسه حسب طاقته ، فان الطهر الحق هو طهر النفس لا طهر البدن ، فان العالم الحكيم المبرز المتعبد لباريه اذا كان ملطخ البدن بالحمأة ، فهو عند جميع الجهال ، فضلاً عن العلماء ، أفضل وأشرف من الجاهل الملطخ البدن

بالمسك والعنبر ، ومن فضيلة المتعبد لله الذي قد هجر الدنيا ولذاتها الدنية ، أن الجهال كلهم — الا من تحرز منهم بنفسه — يعترف بفضله ويجله ، ويفزع أن يطلع منه على الخطأ ...

« فيا أيها الانسان الجاهل ، ألا تعلم أن مقامك في هذا العالم إنما هو كلمحة ، ثم تصير إلى العالم الحقيقي ، فتبقى فيه أبد الآبدين ، وانما أنت عابر سبيل في هذا الأمر ، ارادة باريك عز وجل ... »

نقلت هذه الفقرات من رسالة في النفس لأشير الى أن قارئه يقع في الكثير مما دبجته يراعته على الكثير من الفقرات والجمل التي تتميز بالسهولة والوضوح . واذ يعلم أن ذهن القارئ العربي في عصره لما يتفتح لتلك العلوم جنح الى الدقة والسهولة دون أن يخضع كلامه لأنماط الجناس والترصيع التي كانت أشبه بالوشي والتفويف لأنماط من البلاغة العربية .

ومهمة المترجم أو المؤلف الذي يتصدى لنقل أية فكرة من غير لغته أن ينقلها صحيحة واضحة . وهذا ما قام به الكندي الذي لعب أكبر دور في تاريخ الفكر العربي في تلك الفترة حين نصب نفسه أداة لنقل شتى أنماط المعرفة فكان له ما أراد ، وكان من الأوائل الذين استهوتهم فلسفة اليونان وعلومهم فألف فيها وصنف حتى اعتبر فيلسوف العرب بحق . « ولسنا بحاجة الى كثير شرح لنبين خطر الفلسفة منذ فتوح الإسكندر ، وأنها فلسفة الغرب منذ استولى الرومان على بلاد اليونان في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد ، فعرفوا نبوغ المغلوبين ، وأخذوا عنهم أسباب الحضارة المادية والعقلية ومنها الفلسفة ، واصطنع المفكرون المسيحيون هذه الفلسفة ، ثم اصطنعها المفكرون المسلمون ، ودخلت المدارس في الشرق والغرب فكونت العقول وهيمنت على وضع العلوم [1] » .

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم — المقدمة — .

وأدرك الكندي أثرها في تاريخ الفكر ، فجعل وكده أن لا يحرم العقل العربي من اشعاعها فنقل أصفى ألوانها وخاض في بحور شتى من العلوم فكان بحق معلمي (انسيكلوبيدي) التفكير . « أراد لأمته وهي في فجر نهضتها العلمية ألاّ تكون متخلفة عن غيرها من الأمم فحقق الكثير من الأمنيات وترك للفكر العربي تراثاً خالداً ما زال موضع دراسة وتحقيق المفكرين والعلماء في الشرق وفي الغرب .

ونختم كلمتنا فنقول إن أسلوب الكندي وان لم يرتفع الى أساليب البلاغة الاّ أنه تميز بالدقة والسهولة ، ولا يُطلب من العالم الذي ينقل الينا في بدء عصور النهضة أنماطاً من شتى ألوان العلوم الا أن يكون أميناً في الترجمة وأن ينقل الآراء والفكر بدقة وسهولة ووضوح ، وهذا ما حاوله الكندي في شتى رسائله وكتبه .

سامي الكيالي

استدراك وتعليق

ونظرة إلى تاريخ بني العباس

- ٨ -

القاهر بالله (١) :

مولده سنة ٢٦٨ — خلافته ٣٢٠ (٦٣٢ م) — خلعه سنة ٣٢٢ (٦٣٤ م) .

من شعره ، وقد سملوا المتقي لله : إبراهيم ، وكان هو قد سُمِل قبلَه :

صِرتُ وإبراهيمَ شيخَي عمىً لا بُدَّ للشيخين من مَصْدَر
ما دام (توزونُ) له إمرةٌ مُطاعةٌ فالمِيلُ في المِجمَر

---

(١) هو أبو منصور بن محمد بن المعتضد . أمه أم ولد اسمها (فِتنة) . كان أهوجَ ، سفّاكاً للدّماء قبيحَ السيرة ، كثيرَ التلون والاستحالة ، مُدمنَ الخمر . ولولا حاجبه سَلامه ، لأهلك الحَرث والنسل . كان صنعَ حَربة يحملها ، فلا يطرحها حتى يقتل بها إنساناً .

لما قُتل المقتدر ، أحضر هو ، ومحمدُ بن المكتفي بن المعتضد ، فسألوا ابن المكتفي أن يتولى الأمر . فقال : لا حاجة لي في ذلك ، وعمي هذا أحقُّ به ، وكُلِّم القاهر فأجاب .

وكان مؤنس الخادم ، يرى أن يُنصّب أبو العباس بن المقتدر بعد أبيه ، قال : « إنه تربيتي وهو عاقل ، وفيه دين وكرم ، ووفاء بما —

ـــ يقول . فاذا صارت إليه الخلافة سمحت نفسُ جدّته : والدةُ المقتدر ، وإخوته وغلمان أبيه ببذل الأموال » . فخالفه النوبختي وقال : « استرحنا بعد الكد والتعب من خليفة له أمّ وخالةٌ وخدم يدبرونه ، فنعود إلى تلك الحالة ! والله لا نرضى إلاّ برجل كامل يدبر نفسه ، ويُدبرنا . »

تشاغل القاهر بالبحث عن استتر من أولاد المقتدر وحرمه ، وبمصادرتهم . وبمناظرة ، والدة المقتدر ، وكانت مريضة ، وزاد في مرضها ما بلغها عما لقيه ابنُها المقتدرُ من تعذيب وتشهير ، فامتنعت عن المأكول والمشروب ، حتى كادت تهلك ، فوعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيراً من الخُبز والملح . ثم أحضرها القاهر عنده ، وسألها عن مالها ، فاعترفت له بما عندها من المَصوغ والثياب ، ولم تعترف بشيء من المال والجوهر . فضربها أشد ما يكون من الضرب ، وعلّقها برجلها ، وضرب المواضع الغامضة من بدنها ، وأخرجها لتشهد على نفسها القضاةَ ، والعدولَ بأنها قد حلت أرقانها ، ووكلت في بيعها . فامتنعت وقالت : « وقفتها على البر والقُرَب بمكة والمدينة والثغور ، وعلى الضّعفى والمساكين . فلا استحل حلّها ولا بيعها . وأنا أوكل على بيع أملاكي » فحلها هو ، وأشهد على نفسه . فبيعت كلُّها .

وسنة ٣٢١ شغب عليه الجند ، واتفق مؤنس وابن مُقلة وآخرون على خلعه بابن المكتفي .

فتحيّل القاهر عليهم ، إلى أن أمسكهم وقتلهم ، وطيّن على ابن المكتفي حائطين ، واختفى ابن مقلة ، فأحرقت دارُه ونُهبت دور المُخالفين . ثم أطلق أرزاق الجند ، فسكتوا . واستقام الأمر للقاهر ، وعظُم في القلوب ، وزيد في ألقابه ، المُنتقمْ من أعداء دين الله . ونقش ذلك على السكة .

— وأمر بتحريم القيان والخمر ، وقبض على المغنين ، ونفى المخانيث ، وكسر آلات اللهو ، وأمر ببيع المغنيات من الجواري على أنهن سَوَاذج . وكان مع ذلك لا يصحو من السُّكر ، ولا يفتر عن سماع الغناء ..

وفي سنة ٣٢٢ ظهرت الديلم . واستولوا على البـلاد ، وخرجت خراسان وفارس عن حكم الخلافة .

وفيها قتلَ القاهرُ إسحاقَ بنَ إسماعيل النوبختي ، وهو الذي كان أشار بخلافة القاهر ، ألقاه على رأسه في بئر وطمّت . وذنبُه : أنه زايد القاهرَ قبل الخلافة في جارية واشتراها ، فحقدَها عليه .

وفيها تحركت الجند عليه ، ذلك : أن ابن مُقلة كان في اختفائه يجتمع بالقواد ليلاً ، — تارة في زي أعمى ، وتارة في زي مُكَدٍ ، وتارة في زي امرأة — يوحشهم منه ، ويغريهم به ، ويقول لهم : إنه بنى لكم المطامير ليحبسكم ، وغيرَ ذلك . ويصانع المنجمين على أن يُخوّفوا القواد بما يبيّته لهم القاهر من شر ، وما يُضمره لهم من غدر — ودخلوا عليه بالسيوف فهرب ، فأدركوه وقبضوا عليه . وبايعوا أبا العباس محمدَ بنَ المقتدر . ولقبوه : الراضي بالله .

قال علي بن محمد الخراساني : أحضرني القاهر يوماً ، والحربة بين يديه .

فقال : أسألك عن خلفاء بني العباس : عن أخلاقهم وشيمهم ؟

قلت : أمّا السفّاح ، فكان مُسارعاً إلى سفك الدماء ، واتّبعه عُماله على مثل ذلك . وكان مع ذلك سمحاً وَصولاً بالمال .

قال : فالمنصور ؟ قلت : كان أولَ من أوقع الفرقة بين وَلَد العباس ، وولد أبي طالب . وكانوا قبلها مُتفقين . وهو أولُ خليفةٍ قرّب المنجمين ، وأول خليفة تُرجمت له الكتب السريانية والأعجمية . ككتاب كليلة ودمنة —

— وكتاب اقليدس ، وكتب اليونان . فنظر الناس فيها ، وتعلقوا بها . فلما رأى ذلك محمد بن إسحاق ، جمع المغازي والسِيَر . والمنصور أولُ من استعمل مواليَه ، وقدّمهم على العرب .

قال : فالمَهدي ؟ قلت : كان جواداً عادلاً مُنصِفاً ، ردّ ما أخذه أبوه من الناس غَصباً ، وبالغ في إتلاف الزنادقة . وبنى المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، والمسجد الأقصى .

قال : فالهادي ؟ قلت : كان جباراً متكبراً ، فسلك عمالُه طريقَه ، على قِصَر أيامه .

قال : فالرشيد ؟ قلت : كان مواظباً على الغزو والحج ، عمّر القصور والبِرَك في طريق مكة ، وبنى الثغور . كأَذَنَة ، وطَرسوس ، والمِصِّيصَة ، ومَرْعَش . وعمّ الناسَ إحسانُه . وكان في أيامه البرامكة وما اشتهر من كرمهم . وهو أولُ خليفة من بني العباس لعِب الصوالجة ، ورمى النُشّاب : في البُرْجاس ، ولعب بالشِطْرَنج .

قال : فالأمينُ ؟ قلت : كان جواداً ، إلا أنه انهمك في لذاته ففسَدت الأمور .

قال : فالمأمونُ ؟ قلت : غلب عليه النجومُ والفلسفةُ . وكان حليماً جواداً .

قال : فالمعتصمُ ؟ قلت : سلك طريقَه ، وغلب عليه حبُّ الفُروسية ، والتشبهُ بملوك الأعاجم واشتغل بالغزو والفتوح .

قال : فالواثقُ ؟ قلت سلك طريقة أبيه .

قال : فالمتوكل ؟ قلت : خالف ما كان عليه المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، من الاعتقادات . ونهى عن الجَدَل والمناظرات والأهواء ، —

— وعاقب عليها. وأمر بقراءة الحديث وسماعه، ونهى عن القول بخلق القرآن. فأحبه الناس.

ثم سأل عن باقي الخلفاء، وأنا أجيبه بما فيهم. فقال لي: سمعتُ كلامك، وكأني أشاهد القوم.

ولما أرادوا خلعه، بعثوا إليه بالوزير والقضاة، يدعونه إلى خلع نفسه، فأبى. وقال لهم: إن لي في أعناقكم وأعناق الناس بيعةً، ولست أبرئكم ولا أحلكم منها. فقال الوزير: يُخلع ولا نفكر فيه؛ فأعماله مشهورة. ثم سملوا عينيه بمسمار محمي، حتى سالتا على خديه.

قال المسعودي: أخذ القاهر من مؤنس وأصحابه مالاً كثيراً، فلما خُلع وسُمل، طولب بها فأنكر. فعُذّب بأنواع العذاب. فلم يقرّ بشيء. فأخذه الراضي، وقرّبه وأدناه، وقال له: ترى مطالبة الجند بالمال، وليس عندي شيء. والذي عندك، فليس بنافع لك، فاعترفْ به.

قال: أما إذا فعلتَ هذا، فالمالُ مدفونٌ في البُستان. وكان قد أنشأ بستانًا فيه أصناف الشجر، حُملت إليه من البلاد، وزخرفَه، وبنى فيه قصراً. وكان الراضي مغرماً بالبستان والقصر. فقال: وفي أيّ مكانٍ المالُ منه؟ فقال: أنا مكفوف، لا أهتدي إلى المكان. فاحفرْ البستان تجدْهُ. فحفر الراضي البستان، وأساساتِ القصر، وقلع الشجر، فلم يجدْ شيئاً. فقال له: وأينَ المال؟ فقال: وهل عندي مال! وإنما كانت حسرتي في جلوسك في البستان، وتنعّمك به، فأردت أن أفجعك فيه. فندم الراضي، وحبسه إلى سنة ٣٣٣. ثم أطلقوه وأهملوه. فوقف يوماً بجامع المنصور بين الصفوف، وعليه مبطّنة بيضاء. فقال: تصدقوا علي! فأنا من عرفتم. وذلك في أيام المستكفي، ليُشنّع عليه، فمُنع من الخروج إلى أن مات.

الراضي بالله (١) :

مولده سنة ٢٩٧ — خلافته سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م) — وفاته سنة ٣٢٩ (٩٤٠ م) .

(١) هو أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل . أمه أم ولد اسمها (ظلوم) بويع له يوم خليع القاهر ، وكان سجيناً . منذ سجنه القاهر ، فأخرجوه وأجلسوه على سريره . وبايعه القواد والناس ، ولقبوه بـ « الراضي بالله » وأراد علي بن عيسى على الوزارة ، فامتنع لكبره وعجزه وضعفه ، وأشار بابن مقلة . وقال للراضي : أن الوقت لا يحتمل أخلاق علي ، وابن مقلة أليق بالوقت . فاستوزره .

وأمر ابن مقلة أن يكتب كتاب فيه مثالب القاهر ويقرأ على الناس .

وفي هذا العام : ٣٢٢ قتل مرداويج : مقدم الديلم ، وكان قد عظم أمره ، وزاد جوره ، وظلمه . وغضب يوماً على الغلمان الأتراك ، فأمر أن تحط السروج عن الدواب — وقد كثر صهيلها ولعبها — وأن توضع على ظهور أصحابها الأتراك . وتحدثوا : أنه يريد قصد بغداد ، وأنه مسالم لصاحب المجوس . وكان يقول « أنا أرد دولة العجم ، وأمحق دولة العرب .

ثم اختل الأمر جداً ، فصارت البلاد : بين خارجي قد تغلب عليها . أو عامل لا يحمل للخليفة المال الذي قاطعه عليه . واستبد كل أمير ، وكل قائد بما تحت يده ، ولم يبق للخليفة غير بغداد ، وغير السواد ويد ابن رائق عليه .

وسنة ٣٢٤ تغلب محمد بن رائق : أمير واسط ونواحيها ، وحكم البلاد ، وأبطل رمز الوزارة والدواوين ، وتولى هو وكتابه جميع ذلك . وصارت الأموال تحمل إليه . وبطلت بيوت المال . وبقي الراضي معه صورة .

كان الراضي أديباً شاعراً . دوّن شعره ، خطب كثيراً على المنابر .
قيل وكان آخر خليفة جالس الجلساء ، ووصل الندماء . وكانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه وخدمه وحجابه وأموره ، على ترتيب الخلفاء .

فمن شعره :

يصفرُّ وجهي إذ تأمله طرفي ويحمرُّ وجهه خجلا
حتى كأن الذي بوجنته من دم جسمي إليه قد نُقلا

ونسبها بعضهم الى ابن رائق .

ومن شعر الراضي يرثي أباه المقتدر :

ولو أن حيًا كان قبراً لميت لصيَّرت أحشائي لأعظمه قبرا
ولو أن عُمري كان طوع مشيئتي وساعدني التقدير قاسمته العُمرا
بنفسي ترى ضاجعتَ في تُربة البلى
لقد ضم منك الغيثَ والليثَ والبدرا

وهو شعر جيد في موضوعه ، وأن يقوله خليفة .

ومن شعره :

كل صَفوٍ إلى كدر كل أمرٍ إلى حذر
ومَصير الشباب للمو ت فيه أو الكِبَر
درَّ درُّ المشيبِ من واعظٍ يُنذر البشر
أيها الآملُ الذي تاه في لُجّة الغِرَر

أينَ من كان قبلنا ؟ دَرَس العينُ والأثر
يرد المعادَ مَن عُمرهُ كلُّه خطر
ربِ إني ادخرت عفـــوك أرجوك مدخر
انني مؤمنٌ بما بيّن الوحيُ في السُّوَر
ربِ فاغفرِ خطيئتي (١) أنت يا خيرَ من غفر

المتقي لله (٢) :

مولده سنة ٢٩٧ — خلافته سنة ٣٢٩ (٩٤٠ م) — خلعه سنة ٣٣٣ (٩٤٤ م) .

من شعره وقد سملوا عينيه :

كحلونا وما شكو نا إليهمُ الرَمَد
ثم عاثوا بنا ونحـــن أسود وهم نَقَد
كيف يغتر من أُقيـــمَ وفي دستنا قعد

(١) وفي رواية : « ربّ فاغفر ليَ الخطيئة يا خيرَ من غفر » .

(٢) هو أبو اسحاق : إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل . أمه أَمَة اسمها (خلوب) وقيل (زهرة) . لما مات أخوه الراضي بقي أمر الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدوم أبي عبد الله الكوفي : كاتب (بجكم) من واسط . ثم بُويعَ له . فلم يُغيّر شيئاً ، ولا تسرّى على جاريته التي كانت له . وكان كثيرَ الصوم والتعبد ، لم يشرب نبيذاً قط . وكان يقول : لا أريد نديماً غيرَ المصحف . غير أنه لم يكن

ــ له من الخلافة إلاّ اسمُها . وكانت أيامه منغصةً عليه ، لاضطراب الأتراك .
فلما اشتد الأمر عليه ، كتب إلى الاخشيد : صاحب مصر أن يحضر إليه ، ثم راسل توزن ــ في الصلح ــ وتوزن ، هو الذي كان الخليفة المتقي قد ولاه إمارة الأمراء ، ثم وقعت بينهما الوحشة ــ فأجاب (توزن) إلى الصلح ، وبالغ في الإيمان . وقدم الاخشيد على المتقي وهو بالرّقة ، وقدّم له تحفاً كثيرة ، وتوجع لما ناله من الأتراك . وكان بلغه مصالحةُ الخليفةِ و (توزن) فقال له : يا أميرَ المؤمنين ! أنا عبدُك وابنُ عبدِك ، وقد عرفتَ الأتراكَ وفجورهم وغدرهم . فاللهَ اللهَ في نفسك . سِر معي إلى الشام ومصر ، فهما لك وتأمن على نفسك !.

فقال المتقي : كيف اقيم في زاوية من الدنيا ، واترك العراق متوسطة الدنيا وسُرّتها ، ومستقر الخلافة وينبوعها . فقال الاخشيد : فأقمْ هنا ، وأنا أمدُّك بالأموال والرجال . فلم يقبل . فودعه الاخشيد ورجع إلى بلاده . وسار المتقي إلى بغداد على إيمان (تُوزن) : أمير الأتراك ، بأن لا يغدر به ، وزُيّنت له بغدادُ زينةً ضرب بها المثل . فلما أن وصل إلى السندية على نهر عيسى ، تلقاه (توزن) ، وترَجّل ، وقبّل الأرض ، فأمره المتقي بالركوب ، فلم يفعل ، ومشى بين يديه إلى المخيّم الذي ضربه له . فلما نزلَ قبض عليه وعلى ابن مقلة ، ومن معه ، ثم سمل الخليفة فاذهب عينيه ، فصاح ، وصاح من عنده من الحرَم والخدم ، وارتج المكان ، فأمر (توزن) بضرب الدبادب إخفاءً للأصوات . وعميَ المتقي لله . وأدخل بغداد مسمولَ العينين .. وقد أخذ منه الخاتم والبردة والقضيب .

وأحضر (توزن) عبد الله بن المكتفي ، وبايعه بالخلافة ولقب المستكفي بالله . وبايعه المتقي المسمول ، وأشهد على نفسه بالخلع . ولما ــ

المستكفي بالله (١) :

مولده سنة ٢٩٢ — خلافته سنة ٣٣٣ (٩٤٤ م) — خلعه سنة ٣٣٤ (٩٤٦ م) .

لم يُروَ له شعر .

ـ كحل قال البيتين اللذين ذكرا في ترجمته . وفي خلافته ، سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصور ، وكانت تاج بغداد ، ومأثرة بني العباس . وهي من بناء المنصور . كان ارتفاعها ثمانين ذراعاً ، وتحتها إيوان طوله عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وعليها تمثال فارس بيده رمح . فاذا استقبل بوجهه جهةً ، عُلِم أن خارجيًّا يظهر من تلك الجهة . سقط رأس هذه القبة في ليلة ذات مطر ورعد .

(١) أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد . أمه أم ولد اسمها (أملح الناس) في أيامه عظُم شأن بني بويه . دخل أحمد بن بويه دار الخلافة ، ووقف بين يدي الخليفة فخلع عليه ، ولقبه : معز الدولة . ولقب أخاه علياً : عماد الدولة ، وأخاهما الحسن : ركن الدولة . وضرب ألقابهم على السكة أيضاً .

وقوي أمر معز الدولة ، فحجر على الخليفة ، وقدّر له كل يوم ، برسم النفقة خمسة آلاف درهم . ثم إنه تخيّل منه ، فدخل عليه ، فوقف والناس وقوف على مراتبهم . فتقدم اثنان من الديلم إلى الخليفة فمدّ إليهما يده ، ظنًّا منه أنهما يريدان تقبيلها . فجذباه عن السرير ، حتى طرحاه على الأرض . وجرّاه بعمامته . وهاجم الديلم دارَ الخلافة إلى الحرَم ، فنهبوها ، حتى لم يبق فيها شيء ! ومضى معز الدولة إلى منزله ، وساقوا المستكفي ماشياً إليه ، فسُمِل وخلع . وبايعوا الفضل بن المقتدر . ثم قدّموا ابن عمه المستكفي المسمول ، فسلم عليه بالخلافة وأشهد على نفسه بالخلع .

ــ وكان القاهر لما بلغه سمل المتقي قال : صرنا اثنين ، نحتاج إلى ثالث . ولم يطل الوقت حتى سمل المستكفي فصاروا ثلاثة .

وذكروا في تولية المستكفي رواية لا بأس من إيرادها ، لما فيها من الدلالة على أثر المرأة والمـال ، في كل دولة ، وفي كل أمة ، وفي كل عصر .

قال أبو العباس التميمي الرازي ــ وكان من خواص (توزن) ــ كنت أنا السببَ في البيعة للمستكفي . ذلك أنه دعاني إبراهيم بن الزوبندار الديلمي ــ أيام المتقي ــ فمضيت إليه . فذكر لي أنه تزوج إلى قوم ، وأن امرأة منهم قالت له : إن هذا المتقي قـد عاداكم وعاديتموه ، وكاشفكم . ولا يصفو قلبه لكم . وها هنا رجل من أولاد الخلفاء ، من ولد المكتفي . وذكرت : أدبَه وعقلَه ودينَه . تنصبونه خليفة ، فيكون صنيعتكم وغرسكم . ويدلكم على أموال جليلة لا يعرفها غيره وتستريحون من الخوف والحِراسة ، . ثم قال : فعلمت أن هـذا أمرٌ لا يتمُّ إلاَّ بك ، فدعوتك له .

قلت : أريد أن أسمع كلام المرأة فجاءني بها . فرأيت امرأة عاقلة جزلةً . فذكرَتْ لي نحواً من ذلك . فقلت : لا بد أن ألقى الرجل . فقالت : تعود غداً إلى هنا . فعدت . فوجدت الرجل قد أُخرج من دار ابن طاهر في زي امرأة . فعرّفني بنفسه . وضمن إظهار ثماني مئة ألف دينار ، منها مئة ألف لـ (توزن) وذكر وجوهاً .

وخاطبني خطاب رجل فاهم عاقل . وأتيت (توزن) فأخبرته فوقع كلامي في قلبه . وقال : أريد أن أبصر الرجل . فقلت : لك ذلك على أن يبقى أمرُنا مكتوماً . وكان أن اجتمعنا به . وخاطبه (توزن) وبايعه .

قال أبو العباس : فلما أُتِيَ بالمتقي قلت : لـ (توزن) أنت على ــ

المطيع لله (١) :

مولده سنة ٣٠١ — خلافته سنة ٣٣٤ (٩٤٦ م) — خلعه سنة ٣٦٣ (٩٧٤ م) .

لم يرو عنه شيء من الشعر .

— ذلك العزم ؟ قال : نعم ! قلت : فاعمله الساعة ! فإنه ان دخل الدار بعُد عليك مرامُه . فوكّل به وسمّله . وجرى ماجرى . وبويع المستكفي بالخلافة .

وصارت تلك المرأة قهرمانة المستكفي ، وسمّت نفسها (علّم) ، وغلبت على أمره كله . فلما تمّ على المستكفي ما تمّ ، قطعوا لسانها .

(١) هو أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد . أمه أم ولد اسمها (شُعلة) لم يكن له شيء من الأمر إلا الخُطبة . كان يطلب الخلافة ، فلما وليها المستكفي خافه فاستتر منه . وطلبه المستكفي أشد الطلب فلم يظفر به . فلما قدم معز الدولة بغداد ، قيل : إنه انتقل إليه ، واختبأ عنده ، وأغراه بالمستكفي ، حتى قبض عليه وسمله وخلعه ؛ على ما ذكرنا .

وفي أيام المطيع ازداد أمر الخلافة إدباراً . كان لها بعضُ الحُرمة ، فزال ذلك كلُه ، ولم يبق للخليفة أيام معز الدولة وزيرٌ ، وإنما هو كاتب كان يدير إقطاعه وإخراجاته . وصارت الوزارة لمعز الدولة ، يستوزر لنفسه من يريد . وقرر للخليفة نفقةً كل يوم مئة دينار . وصيّره ألعوبة في يديه . خرج به لقتال ابن حمدان ، ثم عاد به وهو معه كالأسير .

ويقول ابن الاثير : كان من أعظم الأسباب في ذلك : أن الديلم كانوا يغالون في التشيع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة . حتى بلغني : أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين ، والبيعة لرجل من العلويين . فكلُّهم أشار بذلك ، إلا رجلاً —

الطائع (١) :

مولده سنة ٣١٧ — خلافته سنة ٣٦٣ (٩٧٤ م) — خلعه سنة ٣٨١ (٩٩١ م) .

ما رويَ له شعر .

(له بقية) عارف النكدي

— قال له : ليس هذا برأي . إنك اليومَ مع رجل تعتقد أنت وأصحابُك أنه ليس من أهل الخلافة ، فلو أمرتهم بقتله ، لقتلوه مستحلين دمه ، فلو صارت الخلافة إلى علوي تعتقد أنت وأصحابُك صِحة خلافته ، وأمرهم بقتلك لفعلوه . فاعرض عن ذلك .

وزاد بختيار بن المعز في التشدد على المطيع ، حتى باع قماشه ، وطالت لاستسلامه وخنوعه أيامُه تسعاً وعشرين سنة ، فكثرت فيها النكبات من : زلازل ، وحرائق ، وغلاء ، ومجاعات ، فأكلت الجيف . ومات الناس على الطرقات ، وأكلتِ الكلاب لحومَهم . وبيعت العَقّارات بالرُّغفان . وشويت الصغار والمساكين . وجاء جَراد طبق الأرض . وملكت القرامطة ثم العبيديون دمشق .

(١) هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع . أمه أم ولَد اسمها (هزار) مضت الخلافة أيامَه في ضَعفِها وذُلّها إلى منزلة مضحكة . يتصرف بها السلطان كيف أراد . غضِب عضد الدولة على الخليفة فقطع الخطبة له . بُرهة من الزمن ، ولم يكن للخليفة من الخلافة غيرُها . ولما ظهر عضد الدولة على عز الدولة وقتله — خلع الطائع عليه خلع السلطنة ، وتوّجَه بتاج مجوهر ، وطوّقه ، وسوّره ، وقلّده سيفاً ، وعقد له لواءين بيده ، —

ـــ أحدُهما مفضض ، على رسم الأمراء ، والآخر مُذهّب على رسم ولاة العهد . ولم يُعتقد هذا لهواء الثاني أميره ، قبله . وكُتب له عهداً ، وقُرىء بحضرته . ولم تجرِ العادة بذلك . فقد كان يُدفع العهدُ إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين . فاذا أخذوه . قال أمير المؤمنين : هــذا عهدي إليك فاعمل به .

ثم كان من الطائع بعد ذلك : أن أمر أن تُضرب الدبابات على باب عَضُد الدولة ، في الصبح والمغرب والعشاء ، وأن يُخطب له على منابر الحضرة . وسأل عضدُ الدولة الطائعَ أن يزيد في ألقابه : تاج المِلّة ، ويُجدّد الخِلَع عليه ، ويُلبسه التاج ، فأجابه إلى ذلك كله . وضُربت ستارة بعث بها عضُد الدولة ، لتكون حجاباً للطائع ، فلا تقع عليه عينُ أحدٍ من الجُند قبله . ودخل الأتراك والديلم ، ووقف الأشراف وأصحابُ المراتب من الجانبين ، ثم أُذِن لعضد الدولة فدخل ، ثم رُفعت الستارة ، وقبّل عضد الدولة الأرضَ ، فارتاع زيادُ القائد ، وقال لعضد الدولة : ما هذا أيها الملك ؟ أهذا هو الله !... قال عضد الدولة : هذا خليفة الله في الأرض ! ثم استمر يمشي ويقبّل الأرض سبع مرات .

فالتفت الخليفة إلى خالص الخادم وقال له : إستدنِه ، فصعد عضُد الدولة ، فقبّل الأرض مرتين . فقال له : أدنُ إلي ! فدنا ، وقبّل رجله ، فثنى الطائع يمنَه عليه ، وأمره أن يجلس على كرسي ، فقبّلها وجلس بعد أن كرّر ذلك عليه ، وهو يستعفي إلى أن قال له أقسمت عليك لتجلس . ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض إليك ، ما وكّل الله إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها ، وتدبيرها في جميع جهاتها سوى ـــ

— خاصتي وأسبابي . فتولَّ ذلك ! فقال : يُعينني الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين . ثم أفاض عليه الخِلَع .

وهذا المشهد المضحك ، الذي عقِبته هذه الولاية العظمى ، كان بعدها أن عضد الدولة يوم جاء بغداد قادماً من همَذان ، بعث رسوله يطلب إلى الطائع أن يتلقاه ، فما وسِعَه التأخر .

ولما أنزلوا الطائع عن سريره — ما أغنى عنه ذله ولا خضوعه — ، جعل يسترجع ويستغيث ، فلا يُلتفَت إليه ، وأخذوا ما في داره من الذخائر . ونهب الناسُ بعضهم بعضاً . وكان من جملتهم الشريف الرضي ، فبادر بالخروج فسليم . وقال أبياتاً :

من بعد ما كان ربُّ الملك مبتسماً إليَّ أدنوه في النجوى ويدنيني
أمسيتُ أرحم من قد كنتُ أغبطُه لقد تقارب بين العِز والهُون
ومنظر كان بالسراء يُضحكني يا قربَ ما عاد بالضراء يُبكيني
هَيهاتَ أغترُّ بالسلطان ثانيةً قد ضلَّ ولاّجُ أبواب السلاطين

* * *

نادرة : وكأن العامة ، سمعت بقصة زياد : قائد عضد الدولة ، وما كان منه مع الخليفة الطائع فحولتها إلى هرون الرشيد ووزيره جعفر . فزعمت أن الرشيد قال لوزيره يوماً : آتني برجل لا يعرف الكُنافة نسخر به .

قال : يا أمير المؤمنين ! أو بقي في الناس من لا يعرف الكنافة . قال الرشيد : لا بدّ مما قلتُ ، وجعل جعفر يسعى في طِلبة الخليفة . إلى أن وقع أصحابه على أعرابي أشعث أغبر ، لا يُدرى أي البوادي قذفت به . فجاؤا به إليه . وقدَّمت له الكنافة ، فأخذ ينهمُ فيها . فلما أن فرغ —

قالوا له : أتدري ما أكلت ؟ قال : يقولون : أن الحمّام نعيم الدنيا ، فلا شك أن هذا الحمام .

فلما كان من الغد ، جاؤا به إلى مجلس الخليفة ، فأخذته رهبة الملك وجلالته ، فالتفت إلى الرشيد فقال : السلام عليك يا ربنا ! ثم الى جعفر فقال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم الى من في المجلس : فقال : السلام عليكم أيها الملائكة السلام عليكم أيها الأنبياء .

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ! أردت رجلًا لا يعرف الكنافة ، فأتيتك بمن لا يعرف الله ، ولا رسوله ، ولا ملائكته ، ولا أنبياءه . . .

وكأن هذه الأحدوثة أو (الحدوتة) من تلك .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ٢ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٦٧٦	مُوَلِّد حائلة الذُّكور (جسم أو مادة)	Androgène (substance)	676
٦٧٧	مِذْكار مولد الذُّكور	androgène	677

وأقر مجمع اللغة مُنشط المذكورة . ففي اللفظة الأولى لا أرى صلة ملزمة لترجمة اللفظة بحائلة الذكور بل تطلق على كل مادة منشطة الذكورة . أما اللفظة الثانية فهي صفة لا اسم وترجمتها المنشطة المذكورة . ومن الخطأ استعمال لفظة مِذْكار في هذا المعنى (١) .

(١) في اللسان : وأذكرت المرأة وغيرها فهي مُذْكِر ولدت ذكراً وامرأة مُذْكِر ولدت ذكراً فاذا كان ذلك لها عادة فهي مِذْكارٌ وكذلك الرجل أيضاً مِذْكار .

٦٧٩ فاقة دم ، فقر دم ، 679 Anémie ;oligémie ; oligaemie
نقص دم . olighémie ; spanémie

وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بأنيمية . وترجمة الألفاظ الأخرى نقص الدم أو قلته .

٦٩٦ فقدان حس مؤلم 696 Anesthésie douloureuse

وأقر مجمع اللغة خدار مؤلم

٧١٧ أمدّم سالخة 717 Anévrisme disséquant

وأقر مجمع اللغة الأنورسما المشرّحة ، وأراها أفضل من السالخة (1) التي تدل على عملها السطحي .

بينما المراد من اللفظة الأنورسما التي تفرق بين طبقات النسج .

٧٦٣ لا مائي ، بلا ماء (حمض) 763 Anhydride

٧٦٤ بلا ماء حمض 764 Anhydride d'acide

وأقر مجمع اللغة لفظة لا مائي في الأولى (الانكليزية Anhydrous) .
وعرب الثانية بأندريد مع تعريفها بأنها المادة التي تتخلف عن فصل عناصر الماء من مادة ما .

٨١٦ بَرْغَش ، بعوض خبيث 816 Anophèles

وأقر مجمع اللغة بعوضة الأجمة .

٨١٧ غير نظامي ، شاذ ، معيب 817 Anormal, le ; vicieux, euse

وأقر مجمع اللغة لا سوي للفظة الأولى .

٨١٩ عدم تأكسد الدم 819 Anox(h)émie, anoxyémie, anoxie

(١) في اللسان : السلخ كشط الإهاب عن ذيه . سلخ الإهاب يسلخه ويسلخه سلخاً كشطه .

وأقر مجمع اللغة أنوكسيا ، وسبق لي أن أبنت ملاحظاتي عن هذه اللفظة (1) .

٨٢٧ خنث . ميل إلى الأمام — 827 Antéflexion

وأقر مجمع اللغة انحناء إلى الأمام (2) .

٨٢٨ نخامي أمامي — 828 Antéhypophysaire

٨٢٩ الفص الأمامي (للغدة النخامية) — 829 Antéhypophyse, lobe antérieur de l'hypophyse

ودرجت على ترجمة اللفظة الثانية بمقدّم النخامية واللفظة الأولى هي النسبة إليها (مقدّمي نخامي) تمييزاً لها من مؤخر النخامية الذي يمثل الفص الخلفي للغدة المذكورة .

٨٣٠ قَرْن (في الحشرات) — 830 Antenne

قَرْن لامس وزباني كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

وكما أقرها مجمع اللغة أيضاً .

٨٣٩ تفحّم الرئة ، تَتَرُّب الرئة التفحمي — 839 Anthracose, pneumoconiose Anthracosique

وأقر مجمع اللغة الأنثراسية بالتعريب والسُّحار الفحمي (3) .

٨٤٣ ضاد عن الحياة ، مُسَرْدِر — 843 Antibiotique

وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بأنتيبيوتي ومضاد الحيويات (4) .

---

(١) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) لقد سبق لي أن أبديت ملاحظتي على كلمة خنث (الصفحة ٤٧١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة) .

(٣) ولفظة السُّحار مشتقة من السَّحَر . فقد جاء في القاموس المحيط السَّحر ويحرك وبضم الرئة .

(٤) ودرجت على ترجمة اللفظة بمانع التعايش وضاد التعايش (Symbiose) (الصفحة ٤٧٢ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة) .

847 Anticoagulants ضد الخثرات ٨٤٧

وأقر مجمع اللغة مانع التخثر وسبق لي أن ترجمت اللفظة بمضادات التخثر [١] .

850 Anticorps أضداد ، أجسام ضدّية ٨٥٠

وأقر مجمع اللغة أجسام مضادة (للحيويات) .

856 Antigène مكوّنة الضد ٨٥٦

مولد المضاد كما أقرها مجمع اللغة العربية .

861 Antimoine إثمد (انتيموان) ٨٦١

وأقر مجمع اللغة التعريب بالأنتيمون [٢] .

868 Antipéristaltisme عكس الحركات الإلتوائيّة ، حركة إلتوائية مضادة ٨٦٨

وأرجح حركة التحوّي المعاكسة وقد ترجمت اللجنة لفظة (Péristaltisme) بالتحوّي (اللفظة ٢٠٠٧) .

881 Antitoxine ضد الذيفان ٨٨١

وأقر مجمع اللغة ضد التكسين [٣] .

886 Antre غار ٨٨٦

وأقر مجمع اللغة جيب .

888 Anurie زُرام ٨٨٨

سبق لي أن فضلت ترجمة اللفظة بانقطاع البول [٤] . أقر مجمع اللغة ترجمة

(١) الصفحة ٤٧٢ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في القاموس المحيط : والإثمِدُ بالكسر حجَرٌ للكحل ، ولا أرى اللفظة تدل على المعدن المذكور .

(٣) الصفحة ٦٥٦ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٤٧٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

اللفظة بالصَّري [١] معرفًا إياها بانقطاع البول وهو وقوف إفرازه ، ولا أرى في لفظة الصَّرى الدلالة المطلوبة [٢] .

٨٩٤ الوتين — 894 Aorte

الوتين والآورطي كما أقره مجمع اللغة .

٩٠٥ فَقْد الهضم — 905 Apepsie

وأرجح لا هضم .

٩٢١ انقطاع النفَس ، وقوف التنفس — 921 Apnée

وأقر مجمع اللغة البُهْر [٣] .

٩٨٤ واردٌ ، مساهمة — 984 Apport, contribution

٩٨٥ وارد الحديد — 985 Apport de fer

٩٨٦ وارد الدم — 986 Apport sanguin

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بالإتيان أو الجَلْب ، واسهام . والثانية جلب الحديد أو الإتيان به والثالثة الوارد الدموي .

٩٨٧ دَمْج ، تَختم — 987 Apposition

وأقر مجمع اللغة التراكب .

١٠٠٨ تشجُّر — 1008 Arborisation

١٠٠٩ تشجُّر رئوي — 1009 Arborisation pulmonaire

---

(١) الصفحة ٤٣٣ من الجزء الرابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية ترجمة للفظة Suspension of urine (anuria)

(٢) جاء في المعجم الوسيط وفي اللسان : صَرِيت الناقة ونحوها تصرَى صرىً حفَّل ضرعها باللبن وصَرِى الماء واللبن طال مكثه فتغير وصَرى الدمع اجتمع في العين ولم يجر .

(٣) في القاموس المحيط البُهْر انقطاع النَّفَس من الإعياء .

وأرجح غُصون في اللفظة الأولى وغصون الرئة في الثانية ، ولم أعثر على لفظة تشجر في المعاجم التي رجعت إليها .

1019 Arcade ١٠١٩ قَوْس ، رُواق

قوس ، طاق ، قنطرة في المعجم العسكري .

1026 Ardoisé, ée ١٠٢٦ أخطَب (اللون)

وأرجح أردوازي . ولم يأتِ في المعجم الأصلي في الترجمتين الانكليزية والألمانية (١) ما يشير إلى النسبة إلى اللون . كما أني لا أرى لفظة أخطب تفي بالدلالة على اللون ان صحت النسبة إليه (٢) .

1033 Arête ١٠٣٣ ضِلْعٌ مجسمة ، حَرْف

والأصح ناتئ أو شوك عظمي (٣) .

1044 Armoise, artémise ١٠٤٤ حَبَق الراعي ، بَرْنجاسَف

أرطماسيا ، أرطاماسيا كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي

1048 Arrêt du cœur, syncope mortelle ١٠٤٨ وُقوف القلب ، غشي مميت

ودرجت ترجمة اللفظة بتوقف القلب وغشي مميت .

1049 Arrêt de développement, aplasie ١٠٤٩ وُقوف النمو ، لا استنساج

وأرجح توقف النمو وأبلازيا تعريباً .

1051 Arrière-faix; délivre; annexes foetales secondaires ١٠٥٤ مَلاكيع . لَواحِق الجنين

(١) الترجمة الانكليزية (slaty, slate - like, schistous) والألمانية (Schieferig) .

(٢) في القاموس المحيط : والخُطبة بالضم لونٌ كَدِرٌ مُشْرَبٌ حُمرة في صُفرة أو غُبْرة ترهقها خُضرة .

(٣) معجم بلاكستون في شرح لفظة (Spine) .

وأقر مجمع اللغة السُخْد وأغشيته في ترجمة لفظة (After, brith) وجاء في شرح اللفظة الذي تسميه العامة الخلاص [1] . وأرى أن لفظة ملاكيع تفي بالمعنى نفسه [2] .

1134 Arthropodes مَفصليات الأرْجل ١١٣٤

1162 Ascaride lombricoïde صَفَر ، حيّة البطن ١١٦٢

وأقر مجمع اللغة أخيراً الصَفَري الخراطيني بعد أن سبق له أن أقر لفظة اسكارس لمبريكوئيد [3] .

1163 Ascendance قَرابة الأسلاف ١١٦٣

وأفضل السَّلَف .

1181 Asphyxie blanche اختناق أبيض ١١٨١

وأقر مجمع اللغة الاختناق الشاحب .

1190 Assimilation, anabolisme تَمثّل ، تَطوُّر صاعدٌ ١١٩٠

تَطوُّرُ تركيب

وأقر مجمع اللغة التمثيل ، والابتناء .

1196 Assommer قَتَل بدَبُوس ١١٩٦

ولعلّ قَعَصَ أو الإقعاص أفضل [4] .

1197 Assoupir, endormir هَوَّمَ ، هَمَدَ ، نَوَّم ١١٩٧

---

(١) الصفحة ٤٤٢ من الجزء الرابع عشر من مجلة المجمع اللغوي .

(٢) في اللسان : والملاكيع ما خرج مع السَّلَى من البطن من سُخْد وماء وغيرها .

(٣) الصفحة ٦٢٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) جاء في اللسان : القَعْص والقَعَص القَتْل المُعجّل والقَعَص الموت الوَحِيّ ، يقال، مات فلان قعصاً إذا أصابته ضَرْبة أو رَمْية فمات مكانه ، والإقعاصُ أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه . وضربه فأقعصه أي قتله مكانه .

١١٩٧ هوّم ، همد ، أغفى — Assoupir (s') 1197

١١٩٨ مهوّم ، مهتمد ، منوّم — Assoupissant, ante 1198

١١٩٩ غفو ، سِنَة — Assoupissement ; sommeil léger 1199

وأرجح في ترجمة اللفظة الأولى هوّم ونوّم . أما همد وهمّد ومهتمد فلا أراها تفي بالمراد [١] ، وأفضل في ترجمة اللفظة الثالثة منوّم ومرقد وفي الرابعة إغفاءة [٢] وغفوة .

١٢٠٦ نجم ، نجم فرد — Aster, monaster 1206

وأرجح المرحلة النجمية ، ومرحلة النجم الضخم أو الأم . لأن ما يعنى بهذه اللفظة هو الإشعاع النجمي البادي في الخلية إبان الانقسام الفتيلي أو التخيط (Mitose) .

١٢٠٧ نهك ، نقه — Asthénie 1207

وأقر مجمع اللغة الوهن . وهي اللفظة الشائعة في كلية الطب من جامعة من القديم .

١٢١٠ حسر تكيفي أو ضعف البصر التكيفي — Asthénopie ou kopiopie Accomodative 1210

وأرجح حسر تكيفي أو إرهاق البصر التكيفي .

١٢١١ ضعف الأحداق (ضعف العضلة المستقيمة الأنسية) . — Asthénopie musculaire 1211

وأرجح الحسر العضلي .

---

(١) في اللسان : الهمدة السكتة ، همدت أصواتهم أي سكنت ، همد يهمد همودا فهو هامد وهمد وهميد مات إلى أن قال والهمود الموت كما همدت ثمود .

(٢) في تاج العروس : الغفوة النومة الخفيفة وقد جاء في الحديث والاغفاءة الصبح لومنه .

1214 Asthme(bronchique) ١٢١٤ رَبْوٌ (قصبي)

وأقر مجمع اللغة النَّسَمَة [1] والرَّبو ٠

1224 Astragale ١٢٢٤ كَعْبَة

وأقر مجمع اللغة المُخَلْخَل ، وعرفه بأنه أعلى عظام القدم ويتمفصل مع عظمي الظنبوب والشظية ليكوّن مفصل الكرسوع ٠ أما لفظة كَعْبَة فلها معنى آخر [2] ٠

1225 Astringent, ente ١٢٢٥ عَفِص ، قابض

1226 Astringents ١٢٢٦ عقولات ، معقلات ، قابضات

وأقر مجمع اللغة العَقول [3] ٠ في الأول والعقولات للثانية ٠

1228 Asymétrique ١٢٢٨ لا متناظر

وأقر مجمع اللغة لا متماثل ٠

1229 Asynclitisme ١٢٢٩ مجيء جداري

والصحيح ما أقره مجمع اللغة : اللا تزامل ٠ وقد عرف اللفظة بعدم التطابق بين محور الجزء الناتئ من الجنين ومحور الحوض ٠

---

(١) في اللسان : النسيم من الرياح التي تجيء بنفس ضعيف والنَّسَم جمع نَسَمَة وهو النَّفَس والربو . وفي الحديث تنكبوا الغبار فان منه تكون النَّسَمَة ، قيل النَّسَمة هنا الرَّبو ولا يزال صاحب هذه العلة يتنفس نفساً ضعيفاً .

(٢) في اللسان : الكَعْبان العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم عن الجنبين إلى أن قال : وقال العيافي الكَعْب والكَعْبَة الذي يلعب به وجمع الكَعْب كِعاب وجمع الكعبة كَعَب وكَعَبات . وقال والكَعْبَة البيت المربّع وجمعه كِعاب . والكعبة البيت الحرام ٠ أما الخلخل فقد جاء في اللسان أيضاً والمُخَلْخَل موضع الخلخال من الساق ٠

(٣) في اللسان : وعَقَل الدواء بطنه يَعْقِله ويعقُله عقلاً أمسكه وقيل امسكه بعد استطلاقه واسم الدواء العَقول .

١٢٣٠ استرخاء القلب ، قصور لا معاوضة ، وهن قلبي وعائي لا معاوضة القلب الاحتقانية — 1230 Asystolie; insuffisance décompensation; défaillance cardio-vasculaire; décompe-nsation cardiaque congestive.

وأرجح أن تكون ترجمة هذه الألفاظ تباعاً : استرخاء القلب ، قصوره ، انكسار المعاوضة ، النشي[1] القلبي الوعائي أو العرقي ، انكسار معاوضة القلب الاحتقاني .

١٢٣٥ معصود — 1235 Athéromateux, se

١٢٣٦ ورم معصود اكيسة دهنية — 1236 Athérome, kyste sébacé, loupe, tanne

١٢٣٧ تصلب عصيدي — 1237 Athérosclérose

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Athérome) بتعصد ، فتكون ترجمة الالفاظ السالفة : تعصدي ومتعصد ، تعصد ، كيس دهني ، ورم شحمي (وقد أهملته اللجنة) .

١٢٣٨ سغل ، جحن ، إصقاع الولدان المترقي — 1238 Athrepsie; algidité progressive des nouveau-nés

وأرجح أتربسيا وضوى وصقاع الولدان المترقي . وما تعنيه لفظة (Atrepsie) هو اضطراب التغذية الخلقي في الولدان ومنه اصابتهم بالبرودة المترقية بسبب ذلك

---

(١) ليس له لا معاوضة بل اضطراب المعاوضة ، وقد درجت على ترجمة اللفظة بانكسار المعاوضة ، والنشي ترجمة لـ (Défaillance) والأفضل تخصيص لفظة وهن ترجمة لـ (Asthénie) .

كما جاء في مترادف اللفظة في المعجم . مما يؤيد تخصيصها بالولدان [١] .

١٢٤٢ وَهْن 1242 Atonie

وأرجح استرخاء ثم وَهْن بعد أن أقر مجمع اللغة ترجمة (Asthénie) . بوهْن [٢] .

١٢٤٤ سَوْداء ، حُوّة 1244 Atrabile

وأرجح المِرّة السوداء كما جاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Black bile) ويعنى بها في الطب القديم (ولم يعد لها استعمال) المادة التي يتأتى منها المزاج السوداوي . أما الحُوّة فهي تشير إلى لون ولا أرى فيها ما يشير إلى ما تقدم [٣] .

١٢٥٢ ضُمور تَقلّني 1252 Atrophie involutive

والصحيح ضُمور نُكوصي والنسبة في اللفظة الفرنجية هنا إلى (Involution)

---

(١) في اللسان : الضَّوى دقة العظم وقلّة الجسم خِلْقة وقيل الضَّوى الهزال ضَوِيَ ضوىً ، إلى أن قال وغلام ضاويٌّ وكذلك غير الانسان من أنواع الحيوان وما أدري ما أضواه وأضْوى الرجل وُلِدَ له ولد ضاويٌّ وكذلك المرأة . وفي الحديث اغتربوا لا تضوُوا أي تزوجوا في البعاد الأنساب لا في الأقارب لئلا تضوى أولادكم .

أما السَّغَل وإن أفاد المعنى أو ما يدانيه فليس خاصاً بالولدان . فقد جاء في اللسان : السَّغِل الدقيق القوائم الصغير الجثة الضعيف والاسم السَّغَل والسَّغِل والوَغِل السيء الغذاء المضطرب الأعضاء السيء الخُلُق يقال صبي سَغِل بيِّن السَّغَل وسَغِل الفرس سَغَلاً تخدّد لحمه وهُزِل .

وأما لفظة جَحَن فهي تشير إلى سوء الغذاء اطلاقاً دون تخصص بالولدان وبكونه خِلْقياً أيضاً . ففي اللسان : الجَحِنُ السيء الغذاء وقد أجحنته أمه وصبيٌّ جحِنٌ الغذاء وقد جَحِن بالكسر يجحَنُ جَحَناً وأجحنته أساءت غذاءه والجحِن البطيء الشباب .

(٢) الصفحة ٧٦ من هذا العدد .

(٣) في اللسان : الحُوّة سواد إلى الخضرة وقيل حُمْرة تضرب إلى السواد .

التي درجت على ترجمتها بالنكوص [١] . وما يعنى باللفظة هو الضمور البادي في الأعضاء بسائق الشيخوخة والهَرَم بحيث يتراجع حجم الأعضاء عامة ويضطرب بذلك بناؤها . وأكبر الظن أن اللجنة قد توهمت بأن النسبة في (Involutive) تعود الى (Volvulus) أي التفلف المعوي .

أما مجمع اللغة فقد ذكر في مصطلحات علم الجراحة [٢] في ترجمة لفظة (Involution cyst of breast) أكياس أَرْبية بالثدي ، بينما جاءت ترجمة اللفظة ذاتها في الجزء الرابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية [٣] أكياس أوبية بالثدي ولم أعثر على أي تصويب في الكتابين المذكورين يتبين منه صحة إحدى اللفظتين ولعلّ أَرْبية هي الصحيحة [٤] .

١٢٧٠ إعتلان ، مجيء (قِبالة) 1270 Attitude (obs.)

والصحيح وَضْع أو وَضعة [٥] . فقد جاء في تعريف اللفظة في معجم بلاكستون : وضعة البدن والأطراف ، وبالنسبة إلى الحمل (أو الجنين) بعضها ببعض في الرحم (وهو المقصود هنا في علم القبالة أو التوليد) أما اعتلان

---

(١) في اللسان : النُكوص الرجوع وراء وهو القَهْقَرى .

(٢) الصفحة ١٠٥ من المجلد الثاني من مجموعة المصطلحات الطبية والفنية التي أقرها المجمع (يونيو ١٩٦٠) . وجاء في شرح اللفظة وتحدث في التهاب الثدي المزمن .

(٣) الصفحة ٤١٧ من الجزء الرابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية (١٩٦٢) وجاء في شرح اللفظة وتحدث في التهاب الثدي المزمن أيضاً .

(٤) في اللسان : آب إلى الشيء رَجَعَ يؤوب أوْباً وإياباً وأوبةً وأيبة على المُعاقبة وإيبة بالكسر رجع . أما أَرْبي فهو نسبة إلى أَرْب وأَرْبية وليس لكليهما أن يفي بالمعنى المطلوب . فقد جاء في اللسان والأُرْبيّة : اصل الفخذ والأُرْبة بالضم العُقْدة التي لا تَنْحَلُ حتى تُحَلّ حلّاً وقال ثعلب الأُرْبة العقدة ولم يخص بها التي لا تَنْحلّ ، ولا أدري إذا كان المراد من الأُرْبي هو العُقْدي .

(٥) في اللسان : ووَضَعَ الشيء في المكان : أثبته فيه وتقول في الحَجَر والَّلبِن إذا بُني به ضَعْه غير هذه الوَضْعة والوِضْعَة والضِّعَة كله بمعنى .

أو مجيء (وجيئة كما أقرها مجمع اللغة) فينبغي تخصيصها بترجمة (Position
شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ذات الرقم ١٠٨٩٣) فهو يدل على الجزء الذي
يظهر من الحميل أولاً عند خروجه من الرحم .

1271 Attitude, comportement ١٢٧١ استعداد ، قبول

وأرجح سلوك أو تصرف [(١)] ، وترك استعداد ترجمة لـ (Receptivité,
(Aptitude

1277 Attitude stéréotypée ١٢٧٧ وَضْع تَوَتّري

والصحيح وَضْع نَمَطي [(٢)] .

1279 Attitude vicieuse ١٢٧٩ مجيء مَعيب (قبالة) مجيء شاذ
(obs.) présentation anormele

والصحيح وَضْعة معيبة ، جيئة معيبة .

1285 Aubépine, crataegus ١٢٨٥ زَعْرُور

والصحيح زُعرور بالضم كما جاء في لسان العرب وفي معجم الألفاظ الزراعية .

1287 Audi-mutité, aphasie ١٢٨٧ بَكَمٌ ، حُبسة خِلقية ،
congénitale, alalie idiopathique بَكامة ذاتية

وأرجح خَرَس ، خَرَس خِلقي ، اللا نُطق أو فقد النطق التلقائي . فقد
عرفت اللفظة : خَرَس خِلقي لا يصحبه صمم ولا ينجم عن حالة عقلية ويزول

---

(١) لقد جاء في ترجمة اللفظة إلى الانكليزية في المعجم الأصلي (Behaviour . condact)
وقد سبقت ملاحظتي على هذه اللفظة (الصفحة ٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين
في اللفظة ذات الرقم ٢٩٠٣) .

(٢) الصفحة ٥٩٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

مع الزمن [1] . وليس للفظة أن تفي بالمعنى المطلوب [2] .

1292 Augmentation pondérale, croissance pondérale ازدياد الوزن ، تزييد الوزن ١٢٩٢

وأرجح ازدياد الوزن والنماء بالوزن أو وزنًا .

1298 Auride ذَهَبية ١٢٩٨

وأرجح اندفاع أو طَفَح ذهبي . وما تعنيه هذه اللفظة الاندفاعات الجلدية البادية في سياق المعالجة بأملاح الذهب .

1311 Autolyse, autodigestion انحلال ذاتي ، انهضام ذاتي ١٣١١

وأقر مجمع اللغة انحلال تلقائي ، انهضام تلقائي .

1312 Automatisme نامية ١٣١٢

1313 Automatisme de commendement نامية القيادية ١٣١٣

1314 Automatisme de préhension نامية قبضية ١٣١٤

وأرجح أن تكون ترجمة هذه الألفاظ تباعًا : التلقائية الانقيادية والتلقائية الإطباقية كما درجت على ترجمة اللفظة الأخيرة ويعنى بها المنعكس الفيزيولوجي ، الذي يجعل الرضيع يطبق بأصابعه على كل ما لامس راحة يده أو أخمص قدمه ، ويظهر المنعكس المذكور في أورام الفص الجبهي أيضًا .

(١) M. Garnier et V. X J. Delamare : Dictionnaire des Termes Techniques de Médecine

(٢) في اللسان : البَكَمُ الخَرَس مع عِيّ وبَلَه وقيل هو الخَرَس ما كان وقال ثعلب البَكَم أن يولد الانسان لا يَنطق ولا يَسمع ولا يُبصر بَكِم بَكَمًا وبَكامة وهو أبكم وبكيمٌ أي أخرس بيّن الخَرَس إلى أن قال بيْن الأخرس والأبكم فرقٌ في كلام العرب فالأخرس الذي خُلق ولا نُطق له كالبهيمة العجماء والأبكم الذي للسانه نطق ولا يعقل الجواب ولا يحسن وجه الكلام . وجاء في اللسان في لفظة خَرَس : الخَرَس ذهاب الكلام عيًا أو خلقة .

1315 Autoplastie du périnée — ١٣١٥ تصنيع العجان

وأرجح إعادة تكوين العجان أو تقويمه .

1320 Autosérothérapie — ١٣٢٠ استمصال ذاتي

وأرجح المعالجة المصلية الذاتية .

1322 Auto-transfusion — ١٣٢٢ نقل دم ذاتي

لقد أقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (Transfusion) بإصفاق ، فتكون ترجمة اللفظة إصفاق ذاتي . وأرى لفظة نقل الدم أفضل من إصفاق [1] .

1326 Avaler de travers — ١٣٢٦ بلع عكساً

وأرجح بَلْع بلُقَم كبيرة أو مسرعاً ولم يتضح لي كيف يكون البلع عكساً .

1339 Avoine — ١٣٣٩ شُوفان ، عَلَف

خَرْطان ، هرْطان ، خافور ، شوفان في معجم الألفاظ الزراعية للأمير الشهابي

1341 A volonté — ١٣٤١ طِبْق المُراد

وأرجح كما يراد أو على قدر ما يراد .

1342 Avortement — ١٣٤٢ إسقاط

وأقر مجمع اللغة الاجهاض .

1343 Avortement artificiel — ١٣٤٣ إسقاط مُصطَنع

وأقر مجمع اللغة ابتعاث الاجهاض شارحاً اللفظة بإحداثه قصداً .

1344 Avortement complet — ١٣٤٤ اسقاط تام

وأقر مجمع اللغة إجهاض كامل .

(١) في اللسان : وتصفّق الشراب وتصفّقه وأصفقه حوّله من إناء إلى إناء ليصفو .

1345 Avortement criminel ou provoqué إسقاط جنائي أو مُفْتَعَل ١٣٤٥

وأرجح اجهاض جنائي أو مُحْدَث .

1346 Avortement habituel إسقاط مُعتاد ١٣٤٦

وأقر مجمع اللغة الاجهاض المعاود ، شارحاً اللفظة كما يلي : إجهاض متتال متكرر في نفس دور النشوء تقريباً ثلاث مرات متتابعات أو أكثر .

1347 Avortement imminent إسقاط قريب ، ١٣٤٧

menace d'avortement تهديد بالاسقاط

وأقر مجمع اللغة : الاجهاض المنذر وشرح اللفظة كما يلي : وفيه تظهر علامات وأعراض خروج الجنين فيمنع بالعلاج أو يتم الاجهاض .

1349 Avortement spontané إسقاط عَفْوي ١٣٤٩

وأقر مجمع اللغة : الاجهاض التلقائي .

1351 Avorton سِقْط ١٣٥١

وأقر مجمع اللغة الجهيض .

1352 Avulsion, extraction, arrachement, évulsion قَلْع ، إخراج ، نزع ، جَعْف ١٣٥٢

وأقر مجمع اللغة نَتْش ويمكن أن يضاف إليها إخراج وقَلْع .

1362 Axis فائق ، فقرة العنق الثانية ١٣٦٢

وأقر مجمع اللغة : الفائق — المحور وشرح اللفظة بأنها الفقارة العُنقية الثانية .

1363 Axonge, saindoux شحم الخنزير ، شَحْنَزير ١٣٦٣

1364 Axonge benzoiné شحم خنزير مُجوّى ١٣٦٤

والأفضل أن تقتصر ترجمة اللفظة الأولى على شحم الخنزير وأن تكون

اللفظة الثانية شحم الخنزير البانزوئيني أو البانزوآتي (حسب الترجمة الانكليزية) .
وقد اشتقته اللجنة لفظة مجوى من الجاوي ، وبهذه اللفظة في العربية معان أخرى[1] .

1372 Azoté, ée مُنَتْرَج ١٣٧٢

1373 Azotémie تنترج الدم ١٣٧٣

وأرجح آزوتي في اللفظة الأولى والآزوتميا في اللفظة الثانيــة .

B

1377 Babeure مَخيض (شنينة) ١٣٧٧

مخيض ومخوض في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

1405 Bacillémie تعصّون الدم ١٤٠٥

وأرجح التعريب باصليميا .

1408 Bacilles acido-résistants عُصَيّات مقاومة الحَمْض ١٤٠٨

عصيات مستعصية على الحمض

وأقر مجمع اللغة عُصَيّات صامدة للحَمْض .

1413 Bacillus abortus. عُصَيّات مُسْقِطة ١٤١٣

bacille de Beng عُصَيّات بنغ

عصيات مُجهضة كما أقرها المجمع اللغوي .

1416 Bacillus cutis communis عُصيات جلدية عامّة ١٤١٦

وأرجح عصيات جلدية شائعة .

1424 Bactérie راجبية ١٤٢٤

وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بيكتريا .

---

(١) في اللسان وفي الوسيط : جَوِيَ فلانٌ يجوَى جوًى مرض صدره وجَوِيَ ضاق صدره من داء لا يكاد تبين منه لسانه وجَوِيَ تطاول مرضه وجَوِي الله تغيّر وأنتن وجوِى السقاء ونحوه رثى والخ .

1425 Bactériémie تجرثم الدم ١٤٢٥

وأرجح تعريب اللفظة بكتريميا ما دام مجمع اللغة عرب اللفظة السابقة .

1431 Bactériophage مُلتهِم الجراثيم ١٤٣١

وأقر مجمع اللغة ملتهمة البكتريا .

1450 Bain d'eau-mère حمام ماء أصلي ١٤٥٠

والصحيح حمّام بماء الملح الكثيف (١)

1465 Bain du pied, pédilave حمّام القدم ١٤٦٥

وأرجح تغطيس القدم .

1467 Bain de siège حمّام المَقْعَد ١٤٦٧

والصحيح تغطيس المَقْعَدة (٢) .

1471 Bain statique حمّام ساكن ١٤٧١

وأرجح حمّام بالكهرباء الساكنة . لأن المقصود من اللفظة الحمّام الذي يجري باستعمال الكهرباء الساكنة وعلى ذلك جاءت ترجمة اللفظة إلى اللغة الانكليزية في المعجم الأصلي (static bath) و (Franklinization) أي الفرنكلة ويقصد بها الكهرباء الساكنة .

1474 Bain-marie حمّام مَرْيَم أو مائي ١٤٧٤

لا أظن أن لفظة (marie) يقصد بها اسم مَرْيَم ولو كان ذلك لكتب الحرف الأول كبيراً وقد اقتصرت الترجمات الانكليزية والألمانية للمعجم الأصلي على حمّام مائي وأرجح مَغْطس مائي حار أو تغطيس مائي حار أو تغطيس مائي حار وهو المقصود من اللفظة .

(١) معجم بلاكستون في لفظة (Brine bath) .

(٢) في اللسان : والمَقْعَدة السافلة . والمَقْعَد والمَقْعَدة مكان القعود .

1475 Bains médicinaux ١٤٧٥ حمّامات دوائية

وأرجح حمامات طبية لأن النسبة هنا إلى (médicinal) ولو كانت دوائية لوجب في اللفظة الفرنجية أن تكون (médicamenteux) .

1476 Bajoue, V. abajour ١٤٧٦ مَخفَظة الشِّدْق ، انظر خد مدلى

وأرجح المَجَج [1] .

1488 Ballon ١٤٨٨ حَوْجَلة ، حَوْفَلة

وأقر مجمع اللغة نيابة قنينة — قارورة . وشرح اللفظة بقوله أوعية من الزجاج أو نحوه على أشكال شتى . وأرى أن لفظة حَوْفَلة [2] صحيحة الدلالة على معنى لفظة (Ballon) أما القنينة والقارورة والحوجلة فينبغي تخصيصها ترجمة لـ (Bouteille) أو (Facon) .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٣٠١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الحوْجلة والحوْجلّة القارورة فقط . الحوْفلة القارورة الطويلة العُنق تكون مع السّقاء .

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الرواد من البقاع

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي علّم الإنسان سحر البيان ، وعلّم الأعرابَ وصف السحاب ، والصلاة الطيّبة على من بُعث في العرب الأميّين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ؛ ويكونُ لهم وللعالمين في هذه الحياة هدى ورحمةً إلى يوم الدين .

أمّا بعدُ فإني كنت قد وصفت في مجلة مجمعنا العلميّ من ذخائر تربة الملك الظاهر كتاب (وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرُّوّاد من البقاع) من تصنيف أعلم الشعراء وأشعر العلماء وإمام البصريين في زمانه الشيخ الإمام أبي بكــر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ — ٣٢١ هـ) ، وذكرت أن في كتابه هذا ثلاثين حديثاً منها سبع وعشرون في المطر والسحاب ، وثلاثة أحاديث في الرّوّاد ، والحديث الأول في نعت الرسول العربيّ المُبين للسحاب ، وهو في الأمالي والأزمنة والأمكنة للمرزوقي بهذه الرواية الدريديّة عينها .

وليس في أمالي القالي من هــذه الأخبار غير الحديث النبوي وخبرين في السحاب ، وفي الأزمنة والأمكنة ومخصّص ابن سيده وديوان المعاني لأبي هلال وغيرها بعض الأخبار وأكثرها قصار أو أقوال للأعراب في وصف الغيث والسحاب ، وقد جمعت مختارها في ذيل الكتاب لتتم فائدته ، وشرحت ما غفلَ المصنّف أو الناسخ عن شرحه من غريب اللغة .

ومن المعاصرين مَن ذهب إلى أن الهمذانيّ قد وضع مقاماته على غرار ما ورد في الأمالي عن الأعراب في وصف السحاب مما رواه القالي عن شيخه ابن دريد ، وأنه من إنشائه ؟ وكأنهم يرون أن من العسير ارتجال أوصاف السحاب بمثل هذا البيان والاتقان ، على أن الأعراب في مظانهم ، وليس بينهم وبين السماء حجاب ، يكثرون بطبيعتهم وحاجتهم إلى الغيث من التحديق في السماء ، فأمسوا بطول الملاحظة والتجريب يميّزون بين البرق الخُلَّب والبرق الصادق المغيث ، وبين العارض المطر الذي يُترع الغُدران والكهام الذي لا يبلّ القيعان ، ولقد رأيت أيام فراري إلى البادية (١) أن صبيان الأعراب لكثرة ما يسمعون من آبائهم من أوصاف السحب

(١) في الحرب العالمية الأولى من بني جمال السفاح ، وكان معي من شهداء شباب العرب : الجلال البخاريّ والأمير عارف الشهابي وعمر حمد وتوفيق البساط وعبد الغني العريسي وأحمد مريود رحمهم الله .

قد حفظوا عن ظهر قلب تلك العبارات الوصّافة ؛ ومن عرف البوادي والفيافي مثلي وشافــهَ الأعرابَ وسمع ألفاظ صبيانهم لا يَرى ما ينقل ابن دريد عن غلمان الأعراب عسيراً عليهم ولا كثيراً ، ولا يزال الأعراب في زماننا هذا في بوادي الشام ونجد والعراق واليمن وعُمان من أبرع الناس في معرفة أنواع السحاب . وفي المطر منه والكهام ؛ وفي معرفة أشكال البرق الخلب والذي يخلفه الحيا ، والدّيمة التي تحيا بهـــا الأرض شهرين أو أربعة أو نصف عام أو عاماً ، وما يبلغ الماء عمقَ شبر أو شبرين أو ذراعاً ؛ ويعرفون أسماء المطر من الطش والرش والسحّ وأسماء الغمام والقزَع والرّكام .

مخطوطة الظاهرية . — لعلّ هذه النسخة الخطية هي أجلّ نسخة في خزائن الأرض ، فقد ذكر كاتبها الحسين بن عليّ بن محمد بن علي الكاتب أنه كتبها سنة ٥٥٤ للهجرة من مخطوطة منقولة عن نسخة مقروءة على أبي سعيد الحسن بن عبد الله السّيرافي ، وفيها خطّه وخبر قراءتها عليه ، ويظهر من صفحة العنوان أن هذا الكتاب قد وقف على المدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، ثم انتقلت إلى خزانة المدرسة العمرية المشهورة في الصالحية ، ومنها انتقلت قبل أن تبلغها أيدي اللصوص إلى قبة الملك الظاهر .

ومما يدل على جلالة هذه النسخة أن على صفحة العنوان إجازة بخط الإمام عليّ بن عبد الرحيم السُّلَمِيّ الرّقي اللغويّ (٥٠٨ — ٥٧٦ هـ) المعروف بابن العَصّار ، قال الصفديّ في الوافي بالوفيات : إنه انتهت إليه رئاسة معرفـــة اللغة والعربية ، قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي (صاحب المعرّب) ، وتخرّجَ به أمثالُ العكبريّ شارحُ المتنبي ، ويظهر أنه اعتمد في شرح المتنبي على شيخه السلميّ الذي قالوا إنه كان عارفاً بديوان المتنبي علماً ودرايةً وقرأ عليه جمع كبير بالعراق والشام ومصر ، ويظهر أيضاً أنّ صاحب الاجازة السلميّ قرأ هذا الكتاب بهذه النسخة

على شيخه موهوب الجواليقي ، فإن كثيراً من التصحيح والتوضيح في الهوامش مبدوء بعبارة (قال موهوب) وبخطّ وحبر واحد .

وعلاقتي بهذه المخطوطة قديمة العهد ترجع إلى ربيع الحياة ومرحلة طلب العلم ، وتمنيت يومئذ أن أوفق إلى نشرها ، وعاقت عوائق الدهر حتى حملني حبّبها على وصفها وكلّفت بتحقيقها أخيراً ، ولم أفز بصورة من مخطوطة دار الكتب المصريّة ، ولعل تبدل الأحوال بالانفصال كان من الحوائل بيننا وبين معهد المخطوطات بالقاهرة ، ولكني استعنت بخزانة كتب المجمع العلمي وفيها مجموعة (جرزة الحاطب) التي نشرها بليدن المستشرق وليام ريط الانكليزي سنة ١٨٥٩ ، وهي تشتمل من النوادر على كتابين لابن دريد الأول صفة السرج واللجام ، والثاني صفة السحاب والغيث وأخبار الروّاد ، وعلى كتاب تلقيب القوافي لابن كيسان ، وعلى ديوان شعر طهمان بن عمرو الكلابي صنعة أبي سعيد السكري وعلى مقطعات مَراثٍ لبعض العرب رواها ثعلب عن ابن الأعرابيّ ، وكانت هذه النوادر المخطوطة في مكتبة جامعة ليدن ، وقــد اهتممت بكتاب الغيث والسحاب الذي هو طلبة التحقيق ، وتبيّن لي بعد درس هذه النسخة الليدنية أنها منقولة من نسخة تغلب عليها الصحّة وقد أجاد الناشر عمله في تحقيقها ، وبين النسختين الليدنية والدمشقية اختلاف قليل ، تظهر نسختنا معه أنها أصحّ وأسلم ، وكيف لا تكون كذلك وهي منقولة من نسخة مقروءة على الإمام السيرافيّ ولعلّ شرحه لكتاب سيبويه أجلّ شروحه وهو تلميذ ابن دريد ، والظنّ الغالب أنه قرأ هــذا الكتاب على شيخه مع ما قرأه عليه من كتبه ، وعلى هذه النسخة المقروءة عليه خطّه ، وفي هوامشها تعليقات بخطّ موهوب وهو أبو منصور الجواليقي شيخ علي بن عبد الرحيم الرّقي ، وهو من أئمة اللغة في عصره وذكرنا أنه كتب عليها إجازة لتلميذه الرئيس الأجل أحمد ابن محمد بن الضحّاك ، فهو قد قرأ نسختنا هــذه على الإمام الجواليقي وأقرأها لتلميذه ابن الضحّاك ، وفي الصفحة ١٨ من نسختنا ما يدل على

أنها قوبلت بنسخة الكندي ، ولذلك كله كانت نسخة الظاهرية ولله الحمد لا تحتاج الى معارضة فهي من أجلّ ما في خزائنها من المخطوطات صحةً وضبطاً وإتقاناً .

وصف المخطوطة الظاهرية . — إن هذه النسخة جليلة بمؤلفها وموضوعها وبالأصل المنقولة منه ، وبأئمة اللغة الذين قرأوها وأقرأوها ، وبقدم خطها لأنها من القرن الخامس ، وقد بلغ عمرها ٩٢٧ سنة ، وهي تتألف من ٩٨ صفحة ، ومسطرتها (١٤٠٥ × ١٣) ، وفي الصفحة سبعة أسطر ، ومعدل السطر خمس كلمات ؛ أمّا الورق فصفرّ متين لأنه مصنوع من القطن وخالٍ من مادة الخشب ، ولذلك صبر على حوادث الأيام أكثر من تسع مئة عام .

أمّا اسمها المكتوب على صفحة العنوان فقد ذكر مرتين : بخط دقيق (المطر والسحاب) وتحته كلمة (الرّوّاد) بخط جليل ، ومن تحتها : (عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ولم يقتصر هذا الاختلاف في الاسم على نسختنا هذه ، فقد كثر التصحيف فيه والاختلاف فهو في الفهرست وإنباه الرواة (رُواة العرب) بدل روّاد العرب ، وعند السيوطي وابن خلكان (زوّار العرب) ، وفي نسخة دار الكتب المصرية (المطر والسحاب) كالاسم المكتوب على نسختنا ، وهو في النسخة المدنية (السحاب والغيث وأخبار الروّاد وما حمدوا من الكلأ) ، وهو في الوافي بالوفيات للصفدي (المطر والرُّوّاد) ، وقد جاء بين كتب ابن دريد التي سردها الصفدي اسم (زوّار العرب) ومن الناشرين للكتب من يَرى أنه تصحيف (رُوّاد العرب) ، قد يكون هذا صحيحاً ، وقد يكون هنالك لزوّار العرب كتاب لابن دريد ، لذكر الصفدي هذين الكتابين ، وينبغي لنا البحث عن ذلك ، وهو السبب الذي من أجله ارتبنا فيما كتبه الناسخ على صفحة العنوان . ورأينا دفعاً للخلاف والارتياب أن نسمي هذا الكتاب بما سماه به ابن دريد في خطبته وهو (وصف المطر والسحاب وما نعتته العربُ الرّوّادُ من البقاع) .

ترجمة المصنّف

(٢٢٣ — ٣٢١ هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد بن عَتاهية بن حَنْتَم بن حسن ابن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب بن سَلَمة بن حَنْتَم بن حاضر بن حنتم ابن ظالم بن حاضر بن أسد بن عديّ بن عمرو بن مالك بن فَهم بن غَنْم بن دَوْس ابن عَدنان بن عبد الله بن زهير بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزديّ العُمانيّ البصريّ اللغويّ .

قال أبو بكر بن دريد في كتابه الاشتقاق (٢٩٢) : ودُريد تصغير أدرد ، والأدرد هو الذي تحاتّت أسنانه ، وجده حماميّ أول من أسلم من آبائه ، قال ابن النديم وهو (جدّه) منسوب إلى قرية من نواحي عمان يقال لها حماما ، ويقول إمام عمان المجاهد غالب بن علي الثائر على الاستعمار نصره الله : إن ابن دريد حديديّ ، وبنو حديد قومه ما زالوا في (دُما) المعروفة اليوم بالسّيب من الباطنة ، وبعضهم بوادي العين من أودية بني هُناءة من الأزد ، ولا يزال بطون الأزد كبني حديد واليحمد والعتيك وخروص وغيرهم منتشرين في عُمان ، ونبغ منهم الأئمة والقضاة والرؤساء .

وبعد تمصير البصرة وازدهارها بالحضارة واشتهارها بالتجارة ، وقد اشترك العمانيون في تمصيرها ، أخذوا في انتجاعها ومنهم أسرة ابن دريد فكانت رحلتهم دواليك بين عمان والبصرة ، والبصرة وعمان .

ولادته ونشأته . — قال الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغويّ قال ابن دريد : وُلدت بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين . وذلك في خلافة المعتصم ، وقال الكمال ابن الأنباريّ : ذكر ابن شاذان

أن ابن دريد مات ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة في السنة التي خلع فيها القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد ، وقال أبو الحسن الدريدي : ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية في ظهر سوق السلاح ووافقه المرزباني والتنوخي وغيرهما .

دراسته . — لقد ولد ابن دريد بالبصرة في سكة صالح ، وفيها عاش طفولته الأولى ، وفي أحد كتاتيبها تعلم مبادىء القراءة والكتابة بالقرآن وأصول الدين والحساب ، ويقول المرزباني والخطيب البغدادي وغيرهما : إنه نشأ بعُمان ، فلعلّه ذهب مع عمّه الحسين بن دريد وغيره من أقربائه إلى صُحار (١) قصبة عُمان الساحلية وقد نزلتها أسرته لتجارة ، وفي صُحار هذه نشأ وأيفع ، ثم عاد مع مربّيه الحسين بن دريد عمه إلى البصرة ليتم فيها دراسته الاعدادية ، فقرأ فيها على عمّه وهو معلمه الأول ، ومعلمه الثاني هو أبو عثمان الأشنانداني (٢) ، وقد اشترك مع عمه في تربيته وتعليمه ، وساعده على النجاح في دراساته قوّة حفظه التي ظهرت في صباه دلائلها منها أن معلمه الأشنانداني بينا كان يروّيه يوماً معلقة الحارث بن حلزة اليشكري إذ دخل عليه عمه الحسين بن دريد ، فقال له : إن حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ، ثم دعا بمعلمه أبي عثمان ليأكل معه ، وتحادثا بعد الأكل ساعة ، وفي خلال هذه المدة كان ابن دريد قد حفظ

---

(١) قال ياقوت في بلدانه : وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها ... والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة ، و (صحار) دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق فتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصدّيق في سنة ١٢ صلحاً ، واليها ينسب محمد بن زوزان الصحاري العماني الشاعر .

(٢) وقد نشرت له جمعيتنا الرابطة الأدبية بدمشق كتابه معاني الشعر .

ديوان الحارث بن حلزة بأسره ، وعرّف عمّه ذلك فاستعظمه ، واختبره في حفظه ، فوجده صادقاً فأعطاه ما كان وعده به من العطاء .

وقال أحمد بن يوسف الأزرق (١) : إنه لم يُر أحفظ منه ، كان يُقرأ عليه دواوينُ العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها ، ولو لا قوة حفظه لما استطاع أن يملي كتاب الجمهرة من أوّله إلى آخره حفظاً ، وهو ابن أربع وسبعين سنةً لا يستعين بشيء من الكتب إلاّ في باب الهمزة . فقد طالع له بعض الكتب .

ظهرت عليه في صباه مخايل النجابة ، وفي شبابه آيات النبوغ والبراعة مما أهّله ليأخذ عن أمثال أبي حاتم السجستاني والتوّزي والرياشي والزياديّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ وغيرهم ، فبلغ أمنيةّ المتعلّم من اللغة والنسب والأدب ، وأصبح من أكابر علماء العربية والعرب .

رحلاته . — لم يتفق المؤرخون في عددها فقال المرزبانيّ : نشأ بعمان ثم تنقل في جزائر البحر وفارس ثم ورد مدينة السلام ؛ وقال ابن النديم (٢) : أقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ثم صار إلى جزيرة ابن عمر فسكنها مدة ، ثم صار إلى فارس فقطنها ثم صار إلى بغداد ؛ وقال ياقوت (٣) : ثم صار إلى عمان ثم إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى فارس ثم قدم بغداد ، قلت : وقد فرّ في فتنة الزنج سنة ٢٥٥ هـ مع عمه الحسين بن دريد إلى عمان ، وفي قصبتها صحار كانت أسرته الحديدية الازدية ، وكان عمره يومئذ اثنتين وثلاثين سنة ، إذ ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ للهجرة ، قالوا وأقام فيها اثني عشرة سنة ، ومما لا يحتاج إلى بينة أنه قضى هذه المدة في العلم والتعليم .

(١) السبكي ٣/١٤٥ ، والأدباء ٦/٤٨٥ .
(٢) الفهرست لايبزغ ٦٠ .
(٣) الأدباء ٦/٤٨٤ .

وفي إقامته الأخيرة مع عمه بالبصرة قلّد المقتدر بالله عبد الله بن محمد ابن ميكال الأعمال بكور الأهواز فطلب ابن دريد لتأديب ابنه أبي العباس اسماعيل لبعد صيته واتساع شهرته بالعلم والأدب ولغة العرب ، فلبّى ابن دريد الطلب وأقام مع الوالد وابنه بالأهواز نحو ست سنين ، وحصل لابن دريد جاه عظيم بعد أن قلّده عبد الله بن ميكال ديوان فارس ، فكانت كما يذكر التاريخ لا تصدر كتب فارس إلاّ عن رأيه ، ولا ينفذ أمرٌ إلاّ بعد توقيعه .

ويظهر من رواية العمانيّين التي لا يزال يرويها الآباء للأبناء بسند متصل إلى يوم الناس هذا ، أن صلة ابن دريد بابني ميكال كانت وثيقة ، ولعلها كانت قبل أن قلّد المقتدر بالله عبد الله بن ميكال كور الأهواز ، وأن تلك الصلة الوثقى كانت السبب الذي من أجله اختار ابن ميكال أبا بكر ابن دريد لتأديب ولده اسماعيل ، ولتقليده ديوان فارس .

وحدثني صديقي السامي العماني بدمشق (١) ، بالقصة الجميلة التالية ، وقد خلت منها عندنا كتب التاريخ ، فآثرت إثباتها لأنها تجلو لنا من حياة ابن دريد صفحة بيضاء ، وجانباً من كرمه وسموّ أخلاقه ، وخلاصة هذه القصة على إحدى الروايتين :

انّ الأميرين الميكاليّين خرجا ذات يوم بسفينتهما من البصرة للنزهة في بحر الخليج العربيّ ، فهبّت عليهما رياح عواصف ، وسحّت ديمٌ من الأمطار ، ولم يستطيعا أن يلوذا بالسّواحل ، فلبثا في السفينة على ظهر البحر العجّاج أيّاما إلى أن بدت لهما مدينة صحار العمانية ، وبعد أن نزلا إلى مرفئها دلّهما الأهلون على دار الضيافة الدّريدية ، فرحّب بهما ابن دريد كل

(١) هو الشيخ سليمان السالمي ممثّل إمامة عمان بدمشق ، وكتب لي بنحو ذلك والده العلاّمة الشيخ محمد السالمي ابن علاّمة عمان ومؤرّخها الشيخ نور الدين عبد الله السالميّ ، وهذه القصة مدوّنة في كتب العمانيين ، وكم أدّى عدم التدوين إلى ضياع كثير من الحقائق والأخبار .

الترحيب وأكرمها إكرام العرب للضيفان ، وهو لا يعرفها ، ولم يعرّفاه بنفسيها ، وكان الوقت شتاءً والمطر مستمراً ، فلم يجد حطباً للوقود ليطبخ لهما الطعام لأن الحطب كان بالماء ريّان ، فكان يأخذ الأثواب من التجّار ويغمسها في الزيت ليوقد بها نار القِرى .

ولما رأى الضّيفان الميكاليّان ذلك قال الوالد لولده : هذا شيء لا يحتمله انسان ، ولا ينبغي للضّيف أن يكون مملًا ومؤذيا ، فاستأذنا بالانصراف وألحّا على ابن دريد في الرّجاء حتى أذن لهما ، فودّعاه ، وكتبا له عنوان مقرّهما وكانا على الأهواز ، وكان من قدر الله المحتوم أن ضاقت به الحالة ، وأضاعته الأيام ، وكان يأبى أن يتكسّب ببلاغته وشعره ، وقد رأى أخيراً أن يزورهما بعد نفاد الصبر ليستعين بهما على صروف الدهر ، فرحل إليهما وحلّ على الأمير عبد الله الميكالي ضيفاً ، ولبث في ضيافته نحو شهر ، فأكرمه كما يكرم سائر الناس ، ولم يرَ منه ما كان يرجوه من الإكرام والإحسان ، ولكن الأمير الميكاليّ كان قد جهّز لمنزله بصحار سفينتين شراعيتين ، وكتب لأهله بلسان ابن دريد كتاباً يأمرهم به بأن يفتحوا دار الضيافة كعادتها ، فامتثل أهلوه الأمر ، وعاد الضيوف والعفاة إلى قصدها في غيبته ، ولا علم لابن دريد بذلك .

وضاق صدر ابن دريد واستأذن الأميرين بالرجوع الى بلاده ، وفي نفسه أنهما لم يقوما ببعض ما يستحقه ويأمله ، وأنه سيعود خائباً كمن حلّ بوادٍ غير ذي زرع ، وألحّ على الأميرين مستأذناً . ولما أعجزهما بإلحاحه جهّزاه بسفينة مملوءة بما يحتاج إليه ، ولم يخبراه بشيء مما فعلا ، وعهدا إلى ربّان السفينة أن لا يخبر ابن دريد بأن جهاز السفينة له بأمره ، وأقلعت السفينة أخيراً بابن دريد ، وسأل الربان أن ينزله من السفينة إلى

البر ليلاً لكيلا يشمت بسوء حاله العدوّ من أبناء بلده ، فامتثل الربان أمره وأنزله ليلاً كما أحبّ ، وسأله أن يعود إليه غداة غد إلى السفينة .

نزل ابن دريد ليلاً ، ورأى لسوء المنظر وكآبة المنقلب أن لايذهب إلى منزله ، ولجأ إلى بيت عجوز فاستضافها ، وسألها أن تأذن له بالمشاء في منزلها ، فعجبت العجوز لذلك وقالت له أتترك بيت ابن دريد ، وتطلب من مثلي المشاء ! فسألها ابن دريد قائلاً : ومن أين لابن دريد أن يقبل ضيفاً . وقد أفقره الضيفان ؟ فقالت له العجوز : إن ابن دريد بعد سفره كان يجهز لمنزله في كل شهر سفينة مملوءة بالأرزاق ، وأن دار ضيافته اليوم أوسع مما كانت عليه بالأمس ، وعاد ابن دريد بما سمع من العجوز إلى منزله فوجد ما أدهشه ، وما هو فوق ما كان يرجوه من الأميرين ويأمله وفي الصباح زاره ربّان السفينة وأخبره بأن ما في السفينة من وسق وأرزاق هي لدار الضيافة ، وكافأهما ابن دريد بمقصورته الخالدة التي منها : (١)

إنّ العراقَ لم أفارق أهلَهُ عن شَنَآنٍ أصدّني ولا قِلَى
إن كنتُ أبصرتُ لهم من بعدهم مثلاً فأغضيت على وَخْزِ السَّفا
حاشا الأميرين اللذين أوفدا عليّ ظلاًّ من نعيم قد ضفا
تلافَيا العيشَ الذي رنّقه صرف زمانٍ فاستساغ وصفا
وأجْريا ماءَ الحيا لي رَغَداً فاهتزّ غصني بعد ما كان ذَوَى
إنّ ابنَ ميكال الأمير انتاشني من بَعدما قد كنت كالشيء اللّقا
ومدّ ضَبعيّ أبو العبّاس من بعد انقباض الذَّرع والباعِ الوَزَى

وأعطاه الأمير عبد الله الميكالي عليها عشرة آلاف درهم ، وحكي عن تلميذه أبي العباس اسماعيل أنه أعطاه ثلاثمائة دينار . ولم تصل يده إذ ذاك إلى أكثر من ذلك .. واعتنى المتقدمون من العلماء بشرح الدريدية فبلغت

---

(١) والبيتان الأوّلان هما لسان حالي بعد فراق العراق وأبنائي به الأعزّاء .

نحو خمسة وثلاثين شرحاً ومن شرحها من المتأخرين من أعضاء مجمعنا العلمي العربي صديقنا الشيخ عبد القادر المبارك ولم يزل شرحه مخطوطاً رحمه الله .

رحلته الى بغداد . — ولما مات عبد الله بن ميكال لم يقبل اسماعيل العمالة فرجع إلى خراسان ونيسابور ، ورحل ابن دريد إلى بغداد سيدة البلاد ومدينة السلام ، ودار العلماء والأدباء ودخلها شيخاً سنة ٣٠٨ هـ وعمره خمس وثمانون سنة ، وعلم المقتدر بفضله فأجرى عليه مشاهرة قدرها خمسون ديناراً ولم تزل عليه جارية حتى انتقل إلى دار الرحمة والقرار .

أخلاقه . — منها سخاؤه فقد كان لا يُليق درهماً ولا ديناراً وقد ورث من آبائه هذا الكرم ومن يشابه أبَهُ فما ظلم ، وكان مع سخائه ظريفاً ، ومن ذلك (١) أن سائلاً سأله شيئاً ، ولم يكن عنده سوى دَنٍّ من نبيذ فوهبه له ، فقال له بعض غلمانه : أتتصدّق بالنبيذ ؟ ثم أهدي له عشرة دِنان من النّبيذ فقال لغلامه : أخرجنا دنّاً فجاءنا عشرة !

ومن خلقه الحِلمُ المبطّنُ بالشَّعر فقد أخبر أبو أحمد العسكري (٢) قال : كنا في مجلس ابن دريد ، وكان يتضجّر ممّن يخطىء في قراءته ، فحضر غلام وضيء فجعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن دريد صابر عليه ، فتعجّب أهل المجلس فقال رجل منهم : لا تعجبوا فانّ في وجهه غفران ذنوبه ، فسمعها ابن دريد ، فلما أراد أن يقرأ قال له : هاتِ يا مَن ليس في وجهه غفران ذنوبه !

---

(١) الوفيات ١/٤٩٨ .

(٢) الأدباء ٦/٤٩١ .

ومن خُلقه إكرامه لطلاّبه الأذكياء المجدّين منها ما حكي عن السيرافي (١) قال : حضرت مجلس ابن دريد ، ولم يكن يعرفني قبل ذلك ، فجلست فأنشد أحد الحاضرين بيتين يُعزيان لآدم :

تغيّرت البلاد ومَن عليها فوجهُ الأرض مُغبرٌ قبيحُ
تغيّر كلُّ ذي حسنٍ وطيب وقلَّ بَشاشةَ الوجهُ المليحُ

فقال ابن دريد : هذا الشعر قد قيل قديماً ، وجاء فيه الاقواء ، فقلت له : إنّ له وجهاً يخرجه عن الإقواء ، نَصَبَ (بشاشةَ) وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين ، فيكون بهذا التقدير نكرةً منتصبةً على التمييز ، ثم رُفع (الوجه) بإسناد (قلَّ) إليه فيصير اللفظ « فقلَّ بشاشةَ الوجهُ المليحُ » قال فرفعني حتى أقعدني بجانبه .

مذهبه . — ذهب ياقوت (— ٦٣٦ هـ) وغيره إلى أن ابن دريد كان من الخوارج فقال (٢) : إن أكثر أهل عمان في زمانه كانوا خوارج إلاّ أنه لا يُرى على ابن دريد أثرُ الخروج بل يشهد شعره بمخالفته للخوارج » قلت : ومن شعره الذي أشار إليه في ديوانه (٧٣) :

يا لقومي لقد بغى العبد موسى والعَسيف المدقّع العُضروطُ
سمتِ الأزدُ بالحتوف إلى الأز دِ ومرمى مُسلّمٌ مغبوطُ
فابلُغوا الجُهد أو فموتوا كراماً ليس يغني التّبريقُ والتخليطُ
أترى الأزدَ يقسم الذلّ فيها خارجيٌ وخاربٌ مُمروطُ
ثم ترضى بذلك الأزدُ أن تر ضَى ، فلا ريشَ سهمُها المروطُ

---

(١) السبكي ١٤٥/٢ .
(٢) البلدان في ذكر عمان ، والمسالك لابن حوقل ٣٢ ورحلة ابن بطوطة .

ويرى صديقي العماني أن ابن دريد لم يَعنِ بالخارجيّ أحد الخوارج فانه بمعنى الغريب الخارج عن قومه ، وأرى أنه أراد بالخارجيّ المدلول اللغويّ ، وابن دريد من أئمة اللغة ؟ فقد جاء في اللسان : والخارجيّ الذي يخرج ويشرُف بنفسه من غير أن يكون له قديم ، وعلى ذلك يكون ياقوت قد أخطأ في فهم الخارجيّ ، وفي قوله « إن أكثر أهل عمان في زمانه كانوا خوارج » ذلك أن أهل عمان ما كانوا خوارج إلاّ على غلاة الخوارج كالأزارقة والصُّفرية والنجدية ، فهم إباضيّة غير غلاة في خروجهم ، ولا يكفّرون أحداً من أهل القبلة ولا يعترضونه ولا يقاتلونه ، ومذهبهم الإباضيّ من مذاهب أهل السنة فهم متمسكون بالكتاب والسنة كل التمسّك ، ومن اطلع مثلي على مسندهم الصحيح للإمام الربيع ابن حبيب ، وجلّ أحاديثه في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة ، علم صحة قولي ، وفي شرح هذا المسند الصحيح للنور السالميّ استشهاد بأقوال أئمة المذاهب الأربعة الموافقة لمذهبهم ؟ وقد رثى ابن دريد الإمام الشافعيّ فعده السبكيّ من الشافعيّة ، جمع الله شمل العرب والمسلمين ونصر العمانيّين على المستعمرين .

سياسته الحكيمة . — لا غرو إنْ حذقَ ابن دريد علمَ السياسة بعد أن قضى في ديوان فارس بالأهواز نحو سبع سنين مارس فيها الأمور وعالج قضايا الإدارة ، وعرف طبائع الناس ، ويدلّ على بعد نظره السياسيّ ومبلغ تأثيره في تصريف الأمور ، وقوّة شعره الحماسيّ في تأليب عشائر الازد من قومه على أعدائهم الذين ما أوقعوا بهم في وقعة الروضة

إلاّ بتفرقهم وتخاذلهم (١) ، وكان من تأثير شعره أن جمعت عشائر الأزد شملها ، وحملوا على أعدائهم حملة منكرة أخذوا بها ثأرهم وشفوا منهم ما في صدورهم من غِلّ ، وفي ديوانه من شعره السياسيّ المتعلق بشؤون عمان الداخلية (٢) ما يدلّ على نظره الثاقب وسياسته الحكيمة ، ولا يزال من أقرباء ابن دريد وعشائر الأزد مَن يحفظ هـذا الشعر الحربيّ ويفاخر بابن دريد .

مرضه ووفاته . — وحين كان بفارس سقط من منزله مرّةً فانكسرت ترقوته ، وحين بلغ من عمره ٩٦ عاماً عرضَ له فالج فسقي له الترياقَ فبرئ منه ، وعادَ إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ، ثم بعد حول تناول غذاءً ضاراً فعاوده الفالجُ فكان يُحرّك يديه حركةً ضعيفة وبطلَ من مَحزمه الى قدميه فكان إذا دخل عليه داخل ضجّ وتألّم ، قال أبو علي القالي : فكنت أقول في نفسي : إن الله عاقبه بقوله في مقصورته حين ذكر الدهر :

مارست مَن لو هوتِ الأفلاكُ من جوانب الجوّ عليه ما شكا

وعاش بعد ذلك عامين ، وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة فيرد بأسرع من النفَس بالصواب ، وقال مرة وقد سألته عن بيت شعر : لئن طَفِئت شحمتا عينيّ لم تجد من يشفيكَ من العلم يا بنيّ !

---

(١) الروضة موضع بعمان حدثت فيه وقعة مشهورة بين الازد اليمانية ونزار العدنانية .

(٢) انظر غلالة الأعيان (١/١٩٤) وما قاله ابن دريد في وقعة الروضة التي أذلت قومه الازد وأقضت مضجعه وأجرت مدمعه .

وقال أبو علي : وآخر شيء سألته عنه جاوبني بأن قال : يا بنيّ ، حالَ الجريضُ دون القريض ، وكان كثيراً ما ينشد في ضَعفه ما يدلّ على توبته ممّا اتّهموه به :

فواحزَنا أن لا حياةَ لذيذةٌ ولا عملٌ يَرضى به الله صالحُ

وممّا رثاه به بعضُ البغداديين ، وقيل [1] هو أبو علي القالي البغداديّ :

عليكَ أبا بكرٍ سلامٌ ورحمةٌ بها في جنانِ الخلدِ أنتَ مخلّدُ
لِتَبكِكَ أبكارُ المعاني وعونُها وغُرُّ القوافي حين تُروى وتُنشدُ
لأنشرتَ بالعلمِ الخليلَ فخلتنا نشاهدُه إنْ ضمّنا منكَ مَشهدُ
وجالستنا بالأصمعيِّ ومَعْمرٍ وأوجدتنا ما لم يكن قبلُ يوجدُ
وخلنا أبا زيد لدينا مُمثّلا وأنتَ بفضل العلمِ أعلى وأزيدُ
وشاهدتنا بالمازنيِّ وعلمـه وما غابَ عنا إذ حضرتَ المبرّدُ
وكنتَ إماماً في الروايات كلّها يُضافُ إليكَ الصّدقُ فيها ويُسنَدُ
تَوحّدتَ بالآدابِ والعلمِ والحجى فأنتَ بحسنِ الذكرِ منها مُوحّدُ
لقد شملت فيك الرزيّةُ يَعْرُبا ولَمْ يخلُ منها فيك مَن يَتمعْددُ
فما منكَ مُعتاضٌ ولا عنكَ سلوةٌ نظيرُكَ مَعدومٌ وحزني مُؤبّدُ

ومات ابن دريد يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلةً خلت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد وعمره ثمان وتسعون سنة ، ويوم مات ابن دريد مات الجُبّائي أيضاً فيه فقال الناس : اليوم ماتَ علمُ اللغة والكلام .

---

(١) لقد وقع في نفسي أنه أبو علي القالي البغداديّ ثم رأيتُ عالمَ الهند صديقي الميمني في سمطه (٢/١٠٦) يشتبه مثلي في ذلك ، ولكنه غالٍ في شك مريب .

مراثي الشعراء . — لم نعرف جميع من رثاه بعد وفاته ، وممن رثوه جحظة البرمكي بقوله :

فقدتُ بابن دريد كل فائدةٍ ... لما غدا ثالثَ الأحجار والتربِ

وكنتُ أبكي لفقد الجودِ منفرداً ... فصرتُ أبكي لفقدِ الجُود والأدبِ

ابن دريد في الميزان

كل ذي نعمة مالية أو علميـــة محسود ، ولذلك كثر في ابن دريد المادحون والقادحون والمدافعون ، فمن المادحين محمد بن رزق الأسدي (١) فقد ذكر أنه كان يقال : إن أبا بكر بن دريد (أعلم الشعراء وأشعر العلماء) وذكره أبو الطيب اللغوي في مراتبه بقوله : ابن دريد هو الذي انتهت إليه لغة البصريين ، كان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد ، وتصدَّر ابن دريد في العلم ستين سنة .

ومن القادحين الدارقطني الذي سأله حمزة بن يوسف عن ابن دريد فقال : تكلَّموا فيه ! وقيل : كان يتسامح في الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر بباله ، والدارقطني من المحدثين ، ومن اللغويين نفطويه وأبو منصور الأزهري الذي يقول في مقدمة تهذيبه : وممن ألف في زماننا

(١) نزهة الألباء (٣٢٣) .

الكتب فرمي بافتعال اللغة وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها أبو بكر ابن دريد صاحب الجمهرة ، وقد حضرت في داره ببغداد غير مرّة فرأيته يروي عن أبي حاتم الرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة يعني نفطويه عنه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته ، وقد تصفّحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيّدة ، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها في كتابي في مواقعها لأبحث أنا وغيري عنها .

ومن المدافعين عنه الإمام السيوطيّ في مزهره (٥٨/١) ، وقوله يغنينا عن دفع ما ظُلم به ابن دريد من حسّاده ، وقد قال : معاذ الله ! هو بريء مما يُرمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيه في روايته ، ولا يُقبل طعن نفطويه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة ، وقد تقرّر في علم الحديث أنّ كلام الأقران في بعضهم لا يقدح .

وإنّما شنّع عليه التهمة بشرب الخمر مخالفوا مذهبه من الشافعية ، فقد كان ابن دريد ممن يرى رأي أهل العراق في النبيذ لا الخمر ، ثم إنه أية علاقة في التحقيق العلمي بين عادة الانسان وبحثه في العلم ؟ على أنه كما يظهر من شعره قد ترك في آخر حياته جميع ما يلام المرء عليه ، ولئن ثبت على رأي حاسديه أو مخالفيه القدح في ديانته ، فلا يثبت في صحة روايته ، فقد كان من تحرّيه فيها أنه كان يذكر اللغات التي لم تصحّ عنده بقوله : لا أحقّه ، أو لا أدري ما صحته ، وما كانت عداوة نفطويه والأزهريّ إلا عن حسد أسرّاه في القلب لتأليفه الجمهرة ، أعاذنا الله من ظلم الناقدِ إذا نقد ، وشرّ الحاسدِ إذا حسد .

شيوخه . — أخذ ابن دريد عن شيوخ نبغوا في القرنين الثالث والرابع ، وهما من أزهر عصور العلم في الإسلام منهم :

١ — أبو إسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي .

٢ — أبو بشر أحمد بن عيسى العكلي .

٣ — أبو العبّاس أحمد بن يحيى (ثعلب) .

٤ — حامد بن طرفة .

٥ — الحسن بن خضر .

٦ — الحسين بن دريد عمّه ومربّيه .

٧ — أبو عثمان سعيد بن هرون الأشناندانى روى عنه (معاني الشعر) الذي نشرته بدمشق جمعية الرابطة الأدبية بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٠ ﻫ .

٨ — السكن بن سعيد الجرموزي وله ذكر في هذا الكتاب ، يروي عن محمد بن عبّاد عن ابن الكلبي .

٩ — أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني .

١٠ — العباس بن الفرج الرياشي .

١١ — عبد الأول بن مزيد أحد بني أنف الناقة .

١٢ — عبد الله بن أحمد المهزمي الشاعر .

١٣ — عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي ، وكثير من أحاديث هذا الكتاب مرويّ عنه .

١٤ — العتبي .

١٥ — الفضل بن محمد بن العلاّف .

١٦ — أبو عمران الكلابي .

١٧ — محمد بن أحمد الحكيمي .

١٨ — محمد بن أحمد الصوليّ .

١٩ — محمد بن الحسين يروي عن المازني .

٢٠ — معروف بن حسّان يروي عن الليث .

٢١ — يزيد بن عمرو الغَنَويّ .

تلامذته . — وقد اشتهر باللغة والأدب كثير من تلامذته الأعلام ، فكانوا من مفاخر العرب والإسلام منهم :

١ — إبرهيم بن الفضل الهاشميّ .

٢ — أحمد بن عبيد الله بن شقير البغداديّ .

٣ — أحمد بن علي القاشانيّ .

٤ — أحمد بن فضل بن شبابة .

٥ — أحمد بن محمد المكتفي بالله .

٦ — أحمد بن محمد بن الفضل الخزّاز .

٧ — أحمد بن منصور اليشكريّ .

٨ — إسحاق بن إبرهيم بن الجنيد .

٩ — إسماعيل بن عبد الله الميكاليّ .

١٠ — إسماعيل بن القاسم أبو علي القاليّ .

١١ — الحسن بن احمد الفارسيّ (أبو علي) .

١٢ — الحسن بن بشر الآمدي صاحب الموازنة .

١٣ — الحسن بن عبد الله العسكريّ (أبو أحمد) .

١٤ — الحسين بن أحمد بن خالويه .

١٥ — الحسن بن عبد السلام السيرافي .

١٦ — ابن خير الورّاق .

١٧ — سَهل بن أحمد الديباجيّ .

١٨ — عبد الرحمن الزجاجيّ أبو القاسم صاحب الجُمل .

١٩ — عبيد الله بن احمد المعروف بجخجخ .

٢٠ — عبيد الله بن محمد الجراديّ .

٢١ — أبو عبد الله بن زكريا .

٢٢ — علي بن أحمد الدويدي (ورّاق ابن دريد) .

٢٣ — علي بن أحمد بن الصباح .

٢٤ — علي بن الحسين الاصفهانيّ صاحب الأغاني .

٢٥ — علي بن الحسين المسعودي صاحب المروج .

٢٦ — علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهريّ .

٢٧ — علي بن عيسى الرّمّاني النحويّ .

٢٨ — علي بن محمد الكاتب .

٢٩ — علي بن مهدى .

٣٠ — عمر بن حفص المعروف بابن شاهين .

٣١ — عمر بن محمد بن سيف روى عنه كتاب النبات الأصمعيّ .

٣٢ — الفضل بن شاذان ، أبو علي .

٣٣ — محمد بن احمد الأخباريّ .

٣٤ — محمد بن أحمد الكاتب .

٣٥ — محمد بن بكر البسطاميّ .

٣٦ — محمد بن الحسن الحاتميّ .

٣٧ — محمد بن السريّ السرّاج .

٣٨ — محمد بن العباس بن حيويه .

٣٩ — محمد بن علي المعروف ببرمان .

٤٠ — محمد بن علي بن مقلة الكاتب .

٤١ — محمد بن عمران المرزباني صاحب الموشح .

٤٢ — محمد بن عمران الجوري .

٤٣ — المعافى بن زكريا النهرواني .

٤٤ — موسى بن رباح راوي الجمهرة .

كتبه . — ما رأينا لابن دريد كتاباً إلا ممتعاً ، وفيه ما لا يوجد في غيره من الكتب كهذا الكتاب ، وقد حفظ الله لنا معظم آثاره ، منها ما طبع وما لم يزل راقداً في الخزائن بعثها الله من مراقدها ليستفيد العرب من فوائدها ، وكتبه التي عرفناها هي :

١ — الجمهرة أو جمهرة اللغة طبعت في حيدر آباد (١٣٤٤ — ١٣٥٢ هـ) في ثلاث مجلدات والمجلد الرابع في الفهارس ، وهي مع الاشتقاق من أجل كتبه .

٢ — الاشتقاق ، أو اشتقاق أسماء القبائل كما ذكره ياقوت والصفدي والسيوطي ، وقد طبع أولاً في لبزك ١٨٥٤ ثم نشره الأستاذ عبد السلام هرون سنة ١٩٥٨ وأجاد في تحقيقه ووضع فهارسه القيمة المفيدة .

٣ — وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع وقد كثر في اسمه التصحيف فقد ذكر الصفدي في الوافي بالوفيات زوار العرب ، وذكر المطر والرواد ، فلعل زوار العرب كتاب آخر وجاء اسمه أيضاً رواة العرب ، ونرى أن الصحيح ما كتبه ابن دريد في فاتحته .

٤ — الملاحن ، ذكره ابن النديم والقفطي وياقوت وغيره ، طبع مرتين في أوروبة احداهما بليدن ١٨٥٩ والثانية في جوتا ١٨٨٢ ، ثم نشره الشيخ ابراهيم اطفيش في القاهرة ١٣٤٧ بالمطبعة السلفية .

٥ — صفة السرج واللجام طبع بليدن ١٨٥٩ في مجموعة جرزة الحاطب .

٦ — المجتنى : ذكره ابن النديم والقفطي وابن خلكان ، وقد طبع في حيدر آباد ١٣٤٢ بعناية المستشرق الألماني الكبير سالم الكرنكوي ، ذكر ابن دريد بأنه سمي المجتنى لاجتنائه فيه طرائف الآثار كما تجتنى أطايب الثمار .

٧ — أدب الكاتب ، وقال ابن النديم : على مثال كتاب ابن قتيبة ، وذكره ابن الأنباري باسم ، أدب الكتّاب .

٨ — الأمالي ، وقد لخصها الجلال السيوطي وسماه : قطف الوُرَيد .

٩ — تقويم اللسان ، قال ياقوت : على مثال كتاب ابن قتيبه ولم يجرّده من المسوّدة ولعله كتاب أدب الكاتب الذي مرّ في الرقم السابع .

١٠ البنون والبنات ذكره السيد محمد بدر الدين العلوي في مقدمة ديوان ابن دريد .

١١و١٢ — الخيل الكبير والخيل الصغير كتابان ذكرهما ابن النديم وياقوت وابن خلكان وغيرهم .

١٣ — اللغات في القرآن ، وقد يكون هو كتاب غريب القرآن .

١٤ — المتناهي في اللغة كما جاء في تقديم العلامة عبد السلام هرون لكتاب الاشتقاق ووَجد اسمه في أمالي القالي (٢/٤٤) .

١٥ — الوشاح : قال ياقوت : على حدّ المحبّر لابن حبيب ، وقال ابن خلكان والصفدي : صغير مفيد ، وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ورقتان في الفُلْيم (ميكرو فيلم) رقم ١٨٩٥ في مجموعة من مكتبة الاسكوريال .

١٦و١٧ — المقتنى والمقتبس ذكرهما ابن النديم ، وذكر الثاني ياقوت وابن خلكان والسيوطي .

١٨ — فَعلتُ وأفعلت : ذكره ابن النديم وياقوت والسيوطي .

١٩ — ما سئل عنه لفظاً فأجاب عنه حفظاً ، قال ابن النديم : جمعه علي بن اسماعيل بن حرب عنه .

٢٠ — التوشّط : ذكره ابن النديم وياقوت والقفطي ، وجمعه أبو حفص في مائة ورقة .

٢١ — المقصور والممدود ، ولعله تلك القصيدة الهمزية المنشورة في صدر ديوانه فقد ذكر فيها أنواع القصر والمدّ في ٥٧ بيتاً ، ومطلعها :

لا تركننّ إلى الهوى واذكر مفارقة الهواءْ
يوماً تصير إلى الثرى ويفوز غيرك بالثراءْ

هيامه بالكتب . — كان ابن دريد بالعلم منهوماً وبالكتب مفتوناً ، ويرى أن مفاتن الطبيعة إن عُدّت من متنزّهات العيون ، فانّ الكتب الممتعة من متنزهات القلوب ، قال الأمير أبو نصر بن أحمد الميكاليّ : تذاكرنا المتنزهات يوماً ، وابن دريد حاضر ، فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الابلّة ، وقال آخرون : بل سُغد سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان بغداد ، وقال بعضهم : شِعب بوّان ، وقال بعضهم : نوبهار بلخ ، فقال : هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟ قلنا : وما هي يا أبا بكر ؟ قال : عيون الأخبار للقتبي ، والزّهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر ثم أنشأ يقول :

ومن تك نزهته قينةٌ وكأسٌ تُحثُّ وكأسٌ تُصَبّْ
فنزهتنـــا واستراحتنا تلاقي العيون ودرس الكُتُبْ

وكتب محققه وشارحه

دمشق الجديدة في { ٢٦ رجب ١٣٨٢ هـ / ٢٢ كانون الأول ١٩٦٢ م } عز الدين بن أمين التنوخي لطف الله به

ما جاء في صفحة العُنوان

قرأ عليّ الرئيس الأجلّ جمال الرؤساء أبو المكارم أحمد بن محمد بن الضحّاك(١) أدام الله علوّه هذا الكتاب قراءةً صحيحةً مَرضيّةً ؛ وكنتُ قرأته على الشيخ أبي الفضل محمّد بن الناصر بن عليّ الحافظ ، وأخبرني به عن شيخه أبي الحسن المبارك ابن عبد الجبّار الحمّامي عن عبد الواحد بن الحسين بن فُرقُر(٢) الحذّاء عن العدل أبي القاسم اسماعيل بن سعيد بن سُويد عن أبي بكر بن دريد ؛

وأخبرني أيضاً عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن علي التبريزيّ اللغويّ ،
عن أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفرّاء(٣)، عن أبي القاسم بن سويد عن
ابن دُرَيد ؛ وأخبرني الشريف الخطيب أبو علي محمد
ابن محمد بن عبد العزيز بن المهديّ إجازةً
عن أبي الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة البزّاز(٤)
عن القاضي أبي سعيد السيرافي عن
أبي بكر بن دريد

وكتب علي بن عبد الرحيم بن الحسن السُّلَميّ (٥)
الرَّقي بمدينة السلام

يوم الأحد لأربعة عشر (خلت) من شهر ... الأول سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة .

(١) لم نجد هـذا العلم في مراجع الأعلام بأيدينا ، ولعله من آل الضحاك المشهورين بصناعة الكتابة من مدينة الحلة العراقية .

(٢) هو عبد الواحد بن الحسين بن عمر بن قرقر أبو طاهر الحذاء سمع علي بن عمر الحربي وأبا الحسن الدارقطني وأبا حفص بن شاهين وأبا القاسم ابن سويد وعبيد الله بن عثمان بن يحيى ، قال الخطيب البغدادي : كتبت عنه ، وكان سماعه صحيحاً (٣٧٧ – ٤٤٩ هـ) من تاريخ بغداد (١٦/١١) .

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد ، أبو يعلى المعروف بابن الفراء ، أحد الفقهاء الحنابلة درس وأفتى سنين كثيرة ، وحدث عن أبي القاسم بن حبابة وعبد الله بن أحمد بن مالك البيع ، وعلي بن معروف البزاز وعلي بن عمر الحربي وعيسى بن علي بن عيسى الوزير واسماعيل ابن سعيد بن سويد ، كتبنا عنه وكان ثقة ، (٣٨٠ – ٤٥٨ هـ) من تاريخ بغداد (٢٥٦/٢) .

(٤) محمد بن عبد الواحد بن علي بن ابرهيم بن رزمة أبو الحسين البزاز : حدث عن أحمد بن يوسف بن خلاد وأبي بكر بن سالم الختلي وعمر بن محمد بن يوسف وأبي سعيد السيرافي ، كتبت عنه وكان كثير السماع (٣٥١ – ٤٣٥ هـ) من تاريخ بغداد (٣٦١/٢) .

(٥) هو علي بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن ابرهيم السلمي المعروف بابن العصار اللغوي الرقي ، ورد بغداد وقرأ بها العلم ، وانتهت إليه رياسة معرفة اللغة والعربية قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي ولازمه حتى برع في فنه ، وتخرج به جماعة منهم أبو البقاء العكبري الضرير . وكان تاجراً موسراً سافر إلى الديار المصرية وأخذ عن أهلها وروى عنهم . وكان عارفاً بديوان المتنبي علماً ورواية ، قرأه عليه جمع كبير بالعراق والشام ومصر ، ولم يكن في النحو مثل اللغة ، واجتمع في مصر بابن بري وابن الخلال الكاتب (٥٠٨ – ٥٧٦ هـ) . من مصورة الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي (المجلد ١٢ والورقة ٩٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال أبو بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد :

نبدأُ بحمدِ اللهِ عزّ وجلّ على آلائهِ ، ونختم بالصّلوة على خاتَم أنبيائهِ .

هذا كتابٌ جمعنا فيه ما ذَكَرته العَربُ في جاهِليّتها وإسْلامها من وصفِ المصر والسّحاب ، وما نعتَتْهُ العرب الرُّوّادُ[1] من البِقاع ، ونرغبُ إلى اللهِ عزّ وجلّ في التّوفيق للصّواب .

١ ــ حدّثنا إسمعيلُ بن أحمدَ بن حفصٍ النّحويّ المعروفُ بسَمعان النّحويّ قال حدّثنا أبو عمر الضّرير قال حدّثنا عَبّادُ ابنُ عبّادِ[2] بن حبيبِ بن المهلّبِ عن موسى بن ابرهيم التيميّ[3] عن أبيه عن جدّه[4] قال : بينَا رسولُ الله ﷺ

(١) في نسخة ليدن (جرزة الحاطب) : الرُّوّاد العرب .

(٢) في الأمالي (٨/١) : حدثنا عبّاد بن حبيب بن المهلّب ، وقد ينسب العربيّ إلى جدّه .

(٣) في الأمالي : إبرهيم التيمي ، وفي اليدنية : التيميّ .

(٤) رواه المرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة (٩٩/٢) عن أحمد ابن يحيى (ثعلب) عن ابن الأعرابيّ .

ذاتَ يوم جالساً (١) مع أصحابه إذ نشأت سَحابةٌ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، هذه سَحابةٌ ، فقالَ : كيفَ تَرونَ قَواعِدَها ؟ قالوا : ما أحسنَها وأشَدَّ تمكُّنَها ! قالَ : وكيفَ تَرونَ رَحاها ؟ ، قالوا : ما أحسنَها وأشَدَّ اسْتِدارَتَها ! قالَ : فكيفَ تَرونَ بَواسِقَها ؟ قالوا : ما أحسنَها وأشَدَّ اسْتِقامتَها ! قال : كيف تَرونَ بَرْقَها : أوَمِيضاً ، أم خَفْواً ، أم يَشُقُّ شَقًّا (٢) ؟ قالوا : بل يَشُقُّ شَقًّا ، قال : فكيفَ تَرونَ جَوْنَها (٣) ؟ قالوا : ما أحسَنَهُ وأشَدَّ سَوادَهُ ! فقال صَلّى الله عليه :

---

(١) وفي الأمالي : ذاتَ يومٍ جالسٌ ، وأصل (بينا) بينَ أشبعوا فتحة النون فحدثت بعدها ألف ، وهي ظرف زمان مثل بينما .

(٢) وفي لسان العرب (خفا) : وخَفَا البرقُ يَخفو خَفواً ، وخَفَا البرقُ وخَفِيَ خَفْياً فيهما ، الأخيرة عن كراع النمل المنائي : بَرَقَ برقاً خفيًّا ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم ، فإن لمع قليلاً ثم سكن وليس له اعتراض فهو الوميض وان شَقَّ الغيم واستطال في الجوّ إلى السّماء من غير أن يأخذ يميناً ولا شمالاً فهو العقيقة .

(٣) في نسخة ليدن : جَوْزَها ،

والجَوْن هنا الأسود ، ولعلها الرواية الصحيحة ، وهو من الأضداد ، قال الفرزدق يصف قصراً أبيض :

وجَونٍ عليه الجصُّ فيه مَريضة تَطلّع منها النفسُ والموت حاضِرُهْ

الحَيَا [١]، فقالوا : يا رسولَ الله ما رأينا الذي هو أفصحُ منك ، فقال : وما يَمنعني ، وإنّما أُنزِل القرآنُ بلساني لِسانٍ عَربيٍّ مُبين ؛

قال أبو بكر [٢] : قولُه (قواعِدُها) أسافِلُها [٣] ، و (رَحاها) : وسطحها ومُعْظَمها [٤] ، و (بَواسِقُها) : أعاليها [٥] ، وإذا

---

(١) ما تحيا به الأرض من الغيث ، وفي حديث الاستسقاء : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً وحياً ربيعاً ، والحَيا مقصور ، وقد جاء ممدوداً ، وهو ممدود في كتاب الأزمنة والأمكنة (٢/٩٩) .

(٢) وفي الليدنية : بدل عبارات (قال أبو بكر) : تفسير الكلام

(٣) الواحدة قاعدة ، والقواعد من النساء واحدتهن قاعد ، وهي التي قعدت عن الولد .

(٤) وكذلك رحى الحرب حيث استدار القوم قال ربيعة بن مقروم الضبيّ :

فدارت رحانا بفرسانهم فعادوا كأن لم يكونوا رميا

(٥) الواحدة باسقة . قال جلّ وعز : « والنخل باسقاتٍ » وكثر في كلامهم حتى قالوا : بسق فلان على قومه في العلم والشرف ؛ قال أبو حنيفة (المخصّص ٩/٩٦) : كِنفاف السحاب أسافله ، وجماعة الأكِفّة ، وشماريخه أعاليه وبواسقه ، وقواعده أركانه كأركان البنيان ، ورحاه مستداره ، وروي أن رسول الله ﷺ سأل عن سحائب مرّت فقال : كيف ترون قواعدها وبواسقها ، أجَوْن أم غير ذلك ؟ وقال : كيف ترون رحاها ؟ ثم سأل عن البرق : أخفْواً أم وميضاً أم يشقّ شقّاً ؟ فقالوا : يشقّ شقّاً فقال : جاءكم الحيا .

استطارَ البرقُ من أعاليها ، إلى أسافِلها فهو الَّذي لا يُشَكُّ في مَطَرِهِ ، و (الخَفْوُ) أضعَف ما يكون من البَرقِ ، و (الوَميضُ) : نحو التَّبَسُّم الخفيّ يقال : وَمَضَ وأَوْمَضَ :

٢ ـ أخبَرنا أبو حَاتِمٍ قال : أخبَرنا الأصمعيُّ قال [١] :

خَرجَ مُعَقِّرُ بنُ حِمَارٍ البارقيُّ [٢] ذاتَ يومٍ ، وقد كُفَّ بَصَرُهُ ، وابْنَتُه تَقودُه ، فسَمِعَ رَعْداً فقال لابْنَتِه : ما تَرَيْنَ ؟ قالتْ : أراها حَمَّاء عَقَّاقَةً كأنَّها حُوَلاء ناقةٍ لها سَيْرٌ وَانٍ ، وصَدرٌ دَانٍ ، فقالَ : مُرِّي لا بأسَ عليكِ [٣] !

ثمَّ سَمِعَ رَعداً آخرَ فقال : ما تَرينَ ؟ قالتْ : أراها كأنَّها لحمٌ تَنِتٌ مِنه مَسِيكٌ ومِنهُ مُنْهَرِتٌ ، فقالَ : وَائِلِي بي إِلَى قفْلَةٍ ، فإنها لا تَنْبُت إلاّ بمَنْجاةٍ من السَّيل ؛

---

(١) جاء هذا الخبر في اللسان (قفل) مختصراً ، قال : ومنه قول معقّر بن حمار لابنته بعد ما كُفَّ بَصره ، وقد سمع صوتَ راعدة : أيْ بنية : وائلي بي إلى جانب قفلة فإنها لا تنبت إلاّ بمنجاةٍ من السيل ، وجاء أيضاً مختصراً في أزمنة المرزوقيّ (٢/٩٧) وفي خبره بعض اختلاف ، وجعل بعض النثر شعراً .

(٢) مُعقّر : بكسر القاف من العقر شاعرٌ جاهليّ وهو القائل :

فألقت عصَاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

(٣) وفي الميدنية : مُرّي ولا بأس عليك .

قال أبو بكر : (الحَمّاء) [١] : السَّوداء تَضرب الى الحُمرة، (العَقّاقَةُ) تَنْعَقُّ بالبَرقِ ، يُريد [٢] أنّ البَرقَ يَنْشَقُّ عَقائقَ الواحدة عقيقة ، و (الحِوَلاء) [٣] جلدة رقيقة تتمع مع سَليلِ الناقة [٤] كأنها مِرآةٌ ، فشبَّه السَّحابَ في كَثرة مائه بالحِوَلاء ، قولها (لحمٌ تَنِيتٌ) تَريد مُستَرخياً قد أَنتَن : بعضُهُ [٥] متماسِكٌ وبعضُهُ مُتَساقِطٌ ، وهو (المُنْهَرِتُ) ،

(١) الحَمّاء مؤنث الأحمّ وهو الأسود من كل شيء ، قال ابن سيده : والحُمّة لون بين الدُّهمة والكُمتة .

(٢) ضمير (يريد) ينبغي أن يعود إلى ابنة معقّر البارقي ، ولو جاء (تريد) لكان أصدق .

(٣) قال الخليل : ليس في الكلام فِعَلاء بالكسر ممدوداً إلا حِوَلاء وعِنَباء وسِيَراء ، وحكى ابن القوطية : خِيَلاء لغـة في خُيَلاء ، ويضربون المثل بالحولاء لأن ماءها أشدُّ ماءٍ خضرةً وشبها بلون العشب ، وعليه قول الشاعر :

بأغنَّ كالحِوَلاءِ زانَ جِنابَهُ نَورُ الدَّكادكِ سُوقُهُ تَتَخضَّدُ

(٤) الأصمعي : إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليلٌ قبل أن يُعلم أذكر هو أم أنثى ؟

(٥) في النسخة التيمورية : فبعضُه متماسك .

و (القَفْلَةُ)(١) ضَربٌ من الشَّجر، والجمع قَفْلٌ قال الشاعر(٢):

ومُفرَهَةٍ عَنْسٍ قدرتُ لِسَاقِها   فَخرَّتْ كما تَتَّايَعُ(٣) الرِّيحُ بالقَفْلِ

قالَ (أبو بكر قوله: (تَتَّايَعُ): تَجتمعُ، ومنه تَتَايُعُ الفَراش في النار؛ (المُتساقطُ): أي يَسقطُ ويركب بَعضُها بَعضًا.

(يتبع)   عز الدين التنوخي

---

(١) وفي لسان العرب (قفل) القَفْل بالفتح: ما يَبس من الشجر، قال أبو ذؤيب: (ومُفرهةٍ عَنسٍ ...) الشاهد، وهو من القُفول أيْ اليُبوس، ورجل قافلٌ: يابس الجلد، وواحد القَفْل قَفْلةٌ وقَفَلَةٌ الأخيرةُ عن ابن الأعرابيّ حكاه بفتح الفاء، وأسكنها سائرُ أهل اللغة قال ابن المكرّم: فان كان ذلك صحيحاً فقَفَل اسم الجمع.

(٢) هو أبو ذؤيب الهُذَليُّ يذكر عَقْرَه ناقةً، وأنّها كانت فخرَّت على رأسها.

(٣) قال الأزهريّ: إتايَعَتِ الريحُ بورقِ الشجر: إذا ذهبت به، وأصلُه تتايعت، والتتايع التهافت في الشرّ واللجاج، والسكران يتتابع: أي يرمي بنفسه.

ساعات جامع دمشق

وكتاب ابن الخراساني عنها

تذكر النصوص ، عند الكلام على أبواب جامع دمشق ، باباً اسمه « باب الساعات » . تجعله تارةً البابَ الجنوبيَّ المسمّى « بباب الزيادة » ، وتارة البابَ الشرقيَّ المسمّى « بباب جَيْرون » [1] .

وإذا رتّبنا هذه النصوص ترتيباً تاريخياً يظهر لنا أن باب الزيادة الجنوبي هو الذي سُمّي أولاً باب الساعات . فقد ذكره القاضي محمد بن زبر [1] المتوفى سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م — وكان أحد المؤرخين الدمشقيين [2] ، ونقل نصّه النعيمي في « تنبيه الطالب » فقال عند كلامه على المدرسة الأمينية [3] :

« قبليّ باب الزيادة من أبواب الجامع ، المسمى قديماً باب الساعات . لأنه كان هناك (بنكاب) الساعات يُعلم منها كل ساعة تمضي . »

فيتبين لنا أن باب الزيادة كان عليه ساعات منذ القرن الرابع الهجري . وما ندري إن كان وضعت عليه أيام الأمويين ، أم بعد ذلك ، « فقد كانت

---

(١) عن هذين البابين انظر كتابنا : « مسجد دمشق » ص ٣٥ ، ٣١ ، ٥ : وكتابنا « خطط دمشق » ص ١٢٣ . والبابان هما من أبواب الجامع الأصلية .

(٢) انظر كتابنا « المؤرخون الدمشقيون » ص ١٣ .

(٣) انظر الدارس ١ ـ ١٧٧ (نشرة المجمع العلمي بدمشق) ؛ وقد نقل السري في مسالك الأبصار ١ ـ ١٩٨ وصف ابن زبر ؛ وكذلك بدران في منادمة الأطلال ص ٨٦ (نشرة المكتب الاسلامي بدمشق ، وهي نشرة سيئة مملوءة بالأغلاط) ، وقد أثبت ناشر المنادمة اسم ابن زبر (ابن زير) وهو خطأ .

الساعات معروفة في دمشق زمن البزنطيين ثم أيام الأمويين »[(١)] .

ويصف ابن زبْر هذه الساعات فيقول :

« ... عليها عصافير من نحاس ، وحية من نحاس ، وغُراب من نحاس .
فإذا تمّت الساعة خرجت الحية ، وصفرت العصافير ، وصاح الغراب . وسقطت حصاة في الطست . »[(٢)]

ومن المؤسف أن ابن زبْر لا يذكر صانع هذه الساعات .

فهذا كل ما نعرفه عن ساعات باب الزيادة . ومن المقطوع فيه أنها خربت عند حريق الجامع على أيدي الجنود المصريين سنة ٤٦١ هـ ، لأن النار جاءت إلى الجامع يومئذ من ناحية الخضراء التي رموها بالنار . والخضراء كانت تقابل باب الزيادة ودار الخيل جنوباً .

يؤيد هذا أن القلانسي الذي أرخ لدمشق في الحقبة الفاطمية والسلجوقية لا يذكر هـذه الساعات . وكذلك السبـاطي الذي أرخ للحقبة نفسها ، ووجدنا ما كتبه عن دمشق ، عند ابن ايبك الدواداري[(٣)] ، لا يشير إلى هذه الساعات .

ونحن نعلم أن السلاجقة أصلحوا المسجد وأعادوه إلى سابق عهده . لكننا لا نجد في الكتابات السلجوقية التي عثر عليها في المسجد ذكراً لاصلاح الباب ، أو ذكراً للساعات[(٤)] .

---

(١) انظر : علم الساعات والعمل بها . ص ٨ (مخطوطة التيمورية ، صناعة ٢٤) .

(٢) الدارس ١ ـ ١٧٧ ومسالك الأبصار ١ ـ ١٩٨ ، واسقط بدران كلمة « في الطست » في نقله (منادمة ص ٨٦) .

(٣) انظر كتاب الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية ، وهو السادس من كنز الدرر وجامع الغرر . (تحقيقنا) . صدر في مطبوعات المعهد الألماني للآثار في القاهرة .

(٤) انظر : كتابنا « ولاة دمشق في العهد السلجوقي ، المقدمة ص ١٤ ، وللمصادر المذكورة فيه .

وعندما دخل نور الدين محمود بن زنكي دمشق سنة ٥٤٩ هـ/ وقضى على السلاجقة ، عني بالجامع عناية كبرى ، فأصلحه ورممه . وأصبح الباب الشرقي للجامع — أي باب جيرون — هو باب الساعات فقد أمر نور الدين بصنع ساعات جديدة ، وضعت على هذا الباب . وكان الذي صنعها محمد بن علي بن رستم الساعاتي ، وهو عالم من خراسان انتقل إلى الشام وأقام بها إلى أن توفي ، وكان ملازماً هذه الساعات يتعهدها بالعناية والإدارة والإصلاح . وكان أوحد أهل زمانه في معرفة الساعات وعلم النجوم . وكان نور الدين يغدق عليه الكثير [١] .

وقد حفظ لنا ابن جبير الأندلسي وصف هذه الساعات في رحلته ، عند كلامه على دمشق . قال :

« وعن يمين الخارج من باب جيرون ، في جدار البلاط الذي أمامه ، غرفة ، ولها هيئة طاق كبير مستدير ، فيه طيقان صفر قد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ، ودبرت تدبيراً هندسياً ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر ، من فمي بازيين مصورين من صفر ، قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما ، أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب ، والثاني تحت آخرها ، والطاستان مثقوبتان ، فعند وقوع البندقتين فيهما ، تعودان داخل الجدار إلى الغرفة ، وتبصر البازيين يمدان أعناقهما بالبندقتين إلى الطاستين ، ويقذفانهما بسرعة ، بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحراً ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يسمع لها دوي ، وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر ؛ لا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار ، حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات ، ثم تعود إلى حالها الأول . ولها

(١) انظر : ابن أبي أصيبعة ، أطباء الشام ٢ ـ ١٨٤ .

بالليل تدبير آخر ، وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرّمة ، وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة ، مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة ، فإذا انقضت عمّ الزجاجة ضوء المصباح ، وفاض على الدائرة أمامها شعاعُها ، فلاحت للأبصار دائرة محمّرة ، ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل ، وتحمر الدوائر كلها . وقد وكّل بها في الغرفة متفقّد لحالها ، دَرِبٌ بشأنها وانتقالها ، يعيد فتح الأبواب ، وصرْفَ الصنج إلى موضعها . وهي التي يسميها الناس المِنْجانة [1] .

وواضح أن هذه الساعات التي وصفها ابن جبير غير الساعات التي وصفها ابن زبر .

وقد أوتيت هذه الساعات شهرة بين الناس ، كما أوتيت عناية من الحكام . وظلّ محمد بن علي الساعاتي يرعاها كما ذكرنا ، حتى توفي ، فانتقل أمر تدبيرها إلى غيره فأخربها .

وكان لمحمد الساعاتي ولدان . الأول : الشاعر المعروف بابن الساعاتي (علي بن محمد بن علي) صاحب الديوان . والثاني : كان طبيباً وأديباً ، وله معرفة بصناعة المنطق والعلوم الحكمية ، هو فخر الدين رضوان بن محمد ، وكان يكتب الخط المنسوب ، واشتغل بعلم الأدب على التاج الكندي ، وبلغ به الأمر إلى أن وزر للملك الفائز ابن العادل ، كما وزر للملك المعظم عيسى وكان ينادمه ويلعب بالعود [2] .

---

(١) انظر : رحلة ابن جبير ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ (ط . صادر بيروت) ؛ ونقل هذا الوصف المقري في النفح عن ابن جبير .

(٢) ابن أبي أصيبعة ١٨٤/٢ .

رأى فخر الدين ابن الساعاتي أن الساعات التي صنعها أبوه قد فسدت آلاتها ، وبطل أكثر حركاتها . فآلمه أن يرى ذلك ، فألف كتاباً سماه « علم الساعات والعمل بها » تكلم فيه كيف صنع أبوه الساعات ، وكيف دب فيها الفساد ، وكيف أخطأ في اصلاحها من قام بذلك بعد أبيه ، ثم ذكر كيف تدور ، وكيف تصلح إذا فسدت .

وهذا الكتاب من أعظم ما وقعت عليه عيننا من المخطوطات القديمة شأناً . لأنه كتاب يدل على مبلغ عرفان المسلمين في القرن السادس بشؤون الساعات وتركيبها وإدارتها ، وهو بهذا ، وثيقة تفيد في تأريخ العلوم عند المسلمين . وهو إلى ذلك يمدنا بألفاظ كثيرة تفيدنا اليوم عند وضعنا المصطلحات العلمية لأجزاء الساعات .

ونحن نقدم هنا قسماً من المقدمة . تبين أغراض الكتاب .

فبعد أن يقول إن الساعات التي أنشأها والده :

« فسد بعد وفاته جميع آلاتها ، وبطل أكثر حركاتها ، وتغيرت حقائق أشكالها ، وعدم جل أعمالها ، حتى كادت أن تصير مجهولاً لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف ، هذا مع قرب العهد وقصر المدة » .

ينتقل إلى العلماء الذين حاولوا اصلاحها فينتقدهم :

« فظن كل واحد ممن أدارها بعده أنه علامة الوجود ، ومحط رحال الوفود . أما الفيلسوف المعروف بالشيخ المهذب ابن النقاش [1] ، رحمه الله ، مع ذكره بالجلالة في العلم ، والبراعة في الفهم ، وشياع صيته في الأقطار ، واشتهاره بالسيادة في جميع الأمصار ، فإنه أبطل منها ساعات الشمس التي هي أغمض جميع آلاتها ، تحرك مساوية لجرم الشمس التي في السماء ، فتطلع وقت

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الأطباء ٢/١٦٣ ؛ وتوفي سنة ٥٧٤ هـ .

طلوعه ، وتغرب وقت غروبه ، وتتوسط دائرة البروج والأفق وقت انتصاف النهار سواء ....

وليس العجب من جهل ابن النقاش بعملها ، وضعف فكره فيها ، وعجزه عن إدارتها ، لأنّ والدي رحمه الله لم يُطلع أحداً على سرّها . وإنما العجبُ من كونه عجز عن إدارتها وآلاتها سليمة ، وحركاتها جميعها مستقيمة . ثم إنه لما عجز عن ادارتهــا لم يتركها على حالها ، بل أفسد جميع آلاتها ، وفكّ منها جرم الشمس ورمى به . وسمر باقي الذي عجز عن فكه بمسامير لئلا تدور دائرة البروج ، بل توهم أنها مستمرة متداول عملها . مع كونه يعتقد في نفسه أنه علاّمة الوقت وفريد الدهر ، وأنّ اقليدس يقرأ عليه الهندسة ، وأرسطو يتعلم منه المنطق والعلوم الطبيعية ، وبطليموس يأخذ عنه العلوم الرياضية ، وأن ارشميدس دونه في علم الحيل والساعات . وما كان يقنع بهذا وحده ، بل بالزيادة عليه . وتعجبتُ أيضاً من قوله للناس لما طلبوا منه إدارتها أنها لا تدور أصلا . فلما قيل له كانت تدور ، والناس يُشاهدونها أنكر هذا ، وأقام على المكابرة والجهل . وقد كنتُ أسمع والدي رحمه الله ينقص هذا الرجل ويعيبه ، ويقول : إن جميع ما يسمع عنه من الاشتهار بالعلم لا حقيقة له . ولم يزل ذلك مني على ذكر ، حتى حققتُ ذلك بالذي شاهدتُ من أمره . وطالعت كتباً كثيرة بخطه في المنطق وغيره فوجدتُ فيها من السهو والغلط والتصحيف ما لا أحدّه ولا أحصيه . وأبطل أيضاً منها ساعاتِ الليل ، لأنّ النصف دائرة التي اخترعها والدي رحمه الله لتغطية الجامات لم يعرف المذكور كيفية وضع الحبال عليها ، بحيث تدور وقت ما تصل إلى الجامة السادسة ويصير ثقلها من أسفل دوراناً مناسباً ، وتنكشف شعرة شعرة ، حتى تنكشف عن الجامات الاثنتي عشرة ، بل صارت معه إذا وصل إلى هذا الموضوع المذكور وصار أكثر

ثقلها من أسفل تهبط دفعة واحدة فتنكشف الجامات الست في لحظة واحدة . وسبب هذا أنه لا يعرف السر المانع لهبوطها . وبقي سنةً كاملةً يدأبُ في حيلة يمنع ذلك فلم تنهض قواه بذلك . فمات بغصته منها بعد أن عمل ترمة كلها منسودة ، وانقضى الزمان والأيام على تجربة ما يعمل فلا يجيء موافقاً ، إلى أن قضى نحبه وما شفي كربه .

وكان تلميذه المعروف بابن الحاجب رحمه الله ممن أعجبته نفسه وعظم خيلاؤه وكبره وتاه بكبر لحيته ، واعتدال قامته ، وتصفيف صدغه وعمامته ، فاعتقد أنّ الأمور توافقه في كبره كما كانت في صغره وان إدارة الساعات مما يقع له بالاتفاق فلم يزل يفسد آلة بعد آلة وهو في شغل دائم وفكر ملازم إلى أن غلبه العجز والضجر على رأيه ، فاعتمد في أمرها على الحكيم أبي الفضل النجّار الذي لقب نفسه بالمهندس [1] . وهذا الرجل فقد كنت أحسنُ الظن به لأمور منها انه كان عنده سكون كثير فكنت أعتقد أنه لعلم وثبات ، ومعرفة اناة ، ومنها عدم المسارعة إلى الاجابة عما يُسأل عنه ، فكنت أظن ذلك تثبتاً منه ومعرفة ، إلى أن اطلعتُ على ما عنده وتفاوضنا في أمور تتعلق بالهيئة وغيرها ، فوجدتُه كالسراب . واطلعت له على مسائل أجاب عنها تدل على تخلف عظيم منها أنه سئل هل البروج من الكواكب الكرة الثابتة أم لا ؟ فقال : لا . وأشياء غير هذا كثيرة . وكانت أيضاً ساعات الليل معه بطالة وساعات النهار مختلة جداً .

---

(١) أبو الفضل محمد بن عبد الكريم المهندس الدمشقي . ترجم له ابن أبي أصيبعة ١٩٠/٢ وذكر أنه « هو الذي اصلح الساعات التي للجامع بدمشق . وكان له على مراعاتها وتفقدها جامكية مستمرّة يأخذها . »

ثم تولاها بعده من لا يضيع الوقت في ذكره إذ ليس من هذه الرتبة ولا دونها فأفسدها بالكلية بحيث لم تبق فيها آلة واحدة صحيحة .

فألزمني مَنْ لا يسعني خلافه أنْ أتسلمها وأعيد حركاتها التي فسدت إلى الصلاح والتقويم ، وآلاتها التي بطلت إلى الكمال والتتميم ، وعلمت ما في ذلك من الأجر لما في معرفة أوقات الليل والنهار والصلوات ، في الغيوم والأمطار ، من الثواب الجزيل والأجر الجليل ، مع إحياء ذكر والدي رحمه الله وإعادة ما صار رمياً من صناعته ، وإظهاره بعد العدم إلى حالته . فامتثلتُ أمره وما غمطت سره . فلما تسلمتُها لم أجد فيها آلةً واحدة كما يجب . فأصلحتُ آلاتها وجدّدتها ، وعدّلت حركاتها وقوّمتها ، وأعدتُها إلى ما كانت عليه من حسن الترتيب وهذّبتُها حسبما يستحقه قانونها من التهذيب . فكأنها مَنْ قد عاش بعد الموت ، أو عاد بعد الفوْت . وزدتُ فيها أشياء حسنة تعلم وقت الوقوف عليها . ثم رأيتُ أن أجمع ذلك كله في كتاب يُعتمد عليه ، ويعودُ الانسان في سائر حالاته إليه .

وجعلتُه خمسة فصول :

الفصل الأوّل : في استخراجها ، وذكر المستخرج الأوّل لها ، وذكر ما زيد فيها ، وتسمية آلاتها على طريق الاجمال .

الفصل الثاني : في أسماء آلاتها جميعها ، المقدم ذكرها ، على طريق الشرح والبيان والتلخيص لواحدة منها .

الفصل الثالث : في عمل آلاتها ، وذكر أشكالها وصورها ومقاديرها ، وكيفية عملها ، وذكر مقادير كل واحدة منها .

الفصل الرابع : في صورة العمل بها ، وكيفية دورانها ، وما في ذالك من الشروط ، وذكر وصايا وقت عمل الآلات ، ووصايا يُحتاج إليها في كل يوم .

الفصل الخامس : في ذكر الآفات الداخلة عليها ، وكيف يُحترز منها لتدور على أحسن الأوضاع وأصحها .

* * *

تلك أخبار ساعات أبواب الجامع بدمشق ، ولعل مجمعنا الدمشقي يعمل على نشر مخطوطة « علم الساعات والعمل بها » ، فإنه يجلو صفحة من تاريخ دمشق الحضاري ، ويمدنا بعدد كبير من الألفاظ الفنية التي يحتاج المعرّبون إليها .

(بيروت) صلاح الدين المنجد

مصادر الفلسفة السياسية

عند الفارابيّ

للفارابي كتاب اسمه في الأغلب : « آراء أهل المدينة الفاضلة » هـذا الكتاب قسمان : قسم فلسفي ما ورائي جمع فيه الفارابي آراءه في الوجود وفي الله وفي النبوّة والخلود وما إليها ، ثم قال ان هذه الآراء يجب أن تكون عقائدَ لأهل المدينة (الدولة) المثلى التي تخيّلها .

من هذه الآراء أن الموجود الأول واحد لا شريك له ولا ضد وهو عقل محض متصف بجميع صفات الكمال ومبرّأ من جميع نواحي النقص ، وهو علة الوجود (سببه) إلا أنه لا يباشر شيئاً من أحوال الوجود : لقد فاض عنه بالضرورة عقل مثله ولكن ليس إياه . هذا العقل الثاني هو الذي تفيض منه الموجودات . أما التفاصيل الباقية من فلسفة الفارابي فأكثرها مأخوذ من أفلاطون وأرسطو خاصةً .

والسعادة عند الفارابي أمر محبوب مطلوب لذاته لا لننالَ به شيئاً آخر (نعيماً في الدنيا أو ثواباً في الآخرة) . والنبوة للقوة المتخيّلة في البشر كلهم . والنبي عادةً من فاق أهل عصره في الإدراك العقلي لحقائق الأمور وفي صحة التخيل للمقبل من الحوادث . والعدل هو حق الأقوياء يحتازونه عن الضعفاء . والخشوع (الدين) حيلة من الضعفاء يرهبون بها الأقوياء ويحملونهم بها وبما يخيّلون إليهم من الثواب والعقاب في الآخرة على أن يتخلوا لهم عن شيء من المغانم .

وأما القسم الثاني من كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة فيتناول فيه الفارابي هيكلاً خيالياً للدولة .

والدولة عنده طبقات متراكبة أدناها طبقة تخدم أهلَ جميع الطبقات التي فوقها ، وفي أعلاها طبقة فيها رئيس واحد (أو بضعة رؤساء) يخدمه أهلُ جميع الطبقات التي هي دونه . وفي ما بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا طبقات عديدة تخدم كلُّ واحدة منها ما فوقها ويخدمُها ما تحتها .

ويخصّ الفارابي رئيسَ المدينة الفاضلة بكلام كثير ، فهو الأصل في وجود المدينة (الدولة) ، ولولاه لما وُجدت المدينة . ورئيس المدينة الفاضلة نبي وحكيم في وقت واحد ، ثم هو متصف باثنتي عشرة صفة تخصه بجميع الأمور المحمودة وتنزّهه عن جميع الأمور المذمومة .

والدولة نفسها تتبدّى في أشكال منها المدينة الفاضلة (الدولة المثلى) التي يمكن أن تكون كبرى ووسطى وصغرى وأن تظهر بأشكالها الثلاثة في وقت واحد وفي بيئة واحدة أيضاً . ثم هنالك مدن (دول) غير فاضلة يسميها الفارابي مضادّات المدينة الفاضلة ، وهي أنواع كثيرة منها الجاهلة (التي لا تعرِفُ الخير فلا تعمل به) ، ومنها الفاسقة (التي تعرف الخير ولكن لا تعمل به) ، ومنها المبدّلة (وهي التي كانت فاضلة ثم أصبحت فاسقة) ومنها البدّالة (وهي التي تهتم بالمكاسب المادية فقط وتعمل في التجارة مثلا) . وجميع الدول غير الفاضلة يمكن أن توجد مع الدول الفاضلة في وقت واحد وجنباً إلى جنب .

* * *

وأكثر الذين يتكلمون على الفارابي يتناولون الموازنة بين « كتاب السياسة » لأفلاطون (وهو المعروف باسم الجمهورية) وبين « كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة » كثيراً أو قليلاً ، وقل منهم من لم يفعل ذلك ، ولا أعلم أحداً فعل غير ذلك .

وفي ما يلي محاولة للموازنة بين كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة وبين كتاب السياسة لأفلاطون من جانب والمصادر الأخرى التي عرفها الفارابي من جانب آخر .

من أين استقى الفارابي آراءه السياسة ؟

ان اسم المدينة الفاضلة ونكرتها الأساسية مستمدان من أفلاطون . ولكن تفاصيل المدينة الفاضلة تخالف تفاصيل دولة أفلاطون من كل وجه :

يتناول أفلاطون في « كتاب السياسة » (الجمهورية) الكلام على العدالة والأمانة والظلم ، وعلى مدرك الدولة ، وعلى مزاج الحُماة (الجند) وتعليم الذين سيصبحون حماة ، وعلى مراقبة النصوص الأدبية التي تُفرض على الطلاب ، وتأثير الإلقاء والإنشاد ، وعلى الغاية من تعليم الشعر والموسيقى . ثم يتكلم على اختيار الحكام وواجبات الحُماة وعلى الفضائل في الدولة وفي الأفراد ، وعلى أقسام النفس الثلاثة ، وعلى شيوع النساء بين الحماة ، وعلى الملوك الفلاسفة ومدرك الخير والتعليم العالي (الحساب والهندسة والجدل والفلك وعلم الموسيقى) وعلى أنواع الحكم وعلى الصلة بين الفن والحقيقة ، وعلى أن الشعر التمثيلي يخاطب العاطفة لا العقل ، وعلى الخلود والآخرة .

إن معظم هذه الموضوعات لا وجود لها في المدينة الفاضلة . أما الموضوعات المتشابهة عند الفيلسوفين بالأسماء فانها تختلف في الغاية وفي الطبيعة وفي المعالجة :

(أ) الرئيس عند أفلاطون يُختار جسمانياً واستعداداً عقلياً ثم يدرّب على أن يكون في المرشحين للحكم في المدينة بعد الستين من عمره . أما الرئيس عند الفارابي فهو معدّ بالطبع بصفات قد فُطِرَ عليها وليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق ، وهو حكيم ونبي في وقت واحد . ثم إن المدينة عند الفارابي قد وُجدت من أجل الرئيس ، وإن على جميع طبقات المدينة أن يخدموا الرئيس بينما هو لا يخدم أحداً ، لأن طبيعة منصب الرئاسة تجعل الرئيس مخدوماً لا يخدم

أحداً . أما عند أفلاطون فالرئيس فرد فيلسوف ، بينما الفارابي جعله إماماً ثم أجاز أن يكون للمدينة الفاضلة رؤساء عديدون .

(ب) وأفلاطون لم يُجِز إلاّ دولة فاضلة واحدة ؛ أما الفارابي فقد أجاز مدينة فاضلة كبرى [١] إلى جانب مدينة فاضلة وسطى إلى جانب مدينة (أو مدن) فاضلة صغرى . وهذا شيءٌ استفاده الفارابي من البيئة الإسلامية يومذاك : إن الخلافة (وهي المدينة الفاضلة الكبرى) كانت موجودة إلى جانب الدولة الحمدانية (وهي تقابل المدينة الفاضلة الصغرى) .

ثم إن الفارابي أجاز وجود مضادّات للمدينة الفاضلة (أو للمدن الفاضلة على الأصح) ، فالدولة الفاطمية كانت مضادّة للخلافة العباسية ، والدولة السامانية كانت مضادّة للدولة البويهية ، والدولة الاخشيدية كانت مضادّة للدولة الحمدانية .

هذه الصورة للدولة الفاضلة ولمضادّاتها تناولها الفارابي من بيئته الإسلامية في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) . ولا ينكر أحد أن مثيلات هذه الدول المتضادّة كانت موجودة في زمن أفلاطون ، وفي كل زمن ، ولكن المدن الفاضلة الكبرى والوسطى والصغرى كانت صورة خاصة بالبيئة الإسلامية .

ولا ريب في أن أفلاطون تكلم على أشكال مختلفة من الحكم (هي في الحقيقة أنواع من الدول) ، ولكن أفلاطون لم يقرّ وجود هذه الدول في الكتاب الذي خصه بالكلام على الدولة المثلى . ولا ريب في أن الفارابي قد نظر في إجازة الدول غير الفاضلة إلى رأي أرسطو في أن الدولة الصحيحة هي الدولة الواقعة التي يقبلها الشعب . فاذا لم يسرّ الشعب بدولة ، وكان يريد تبديلها ويملك القدرة على ذلك ، فانّه يبدّلها . غير أن الفارابي يفارق أرسطو في مدرك أساسي : ان الدولة الصالحة عند أرسطو هي الدولة التي يعمل الحاكم فيها

---

(١) ان استعمال صيغة التفضيل بعد النكرة لا يجوز ، ولكن الفارابي يستعمل ذلك .

على خدمة الشعب ، أما الفارابي فيرى أن الدولة توجد من أجل الرئيس ولخدمته .

(ج) وتنظيم الدولة عند أفلاطون تنظيم اجتماعي اشتراكي (أو شيوعي على الأصح) : في المال والنساء مع تبني الدولة للأولاد الأصحاء ؛ ولكنه نظام اشتراكي مشوه بإقرار ثلاث طبقات تتميز بعضها من بعض : الحكم في واحدة منها ولا يكون في غيرها ، والعمل (في الأرض والمعمل والتجارة) متروك لواحدة منها على شريطة أن تقدم للطبقتين الباقيتين ما تحتاجان إليه . ثم أن الرقيق جائز في جمهورية أفلاطون !

أما تنظيم المدينة الفاضلة عند الفارابي فهو تنظيم طبيعي ما ورائي : ان نسبة الرئيس إلى المدينة كنسبة القلب إلى الجسد ونسبة الله إلى العالم . وليس للإنسان عند الفارابي يد في تنظيم الدولة ، لأن الله قد نظم هذه الدولة كما نظم الطبيعة سواء بسواء . ولعل هذا المزيج عند الفارابي يزاحم في الغرابة مزيج أفلاطون : شيوعية وطبقات جمهورية وأرقاء ! ولكن المزيجين مختلفان لا يمت أحدهما إلى الآخر بصلة .

فمن أين جاء الفارابي بهذا التنظيم الغريب ؟

بدأ الفارابي تأليف كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » في بغداد (سنة ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م) حيث بدأ دراسة الفلسفة . ولا ريب في أن الفارابي اطلع على كثير من آراء الأقدمين ، مما كان موجوداً في الكتب أو غير موجود فيها ، ومنها آراؤهم السياسية في الدولة . وقد علم الفارابي بلا ريب أن المدن القديمة في امبراطورية العراق كانت مستقلة في بعض العصور ، وكانت تجمعها أحياناً امبراطورية (دول فاضلة صغرى في دولة فاضلة كبرى) كما كانت الحال في أيام الفارابي (دويلات متناثرة في العالم الإسلامي تجتمع اسميا على الأقل في خلافة عباسية) .

على أن العقدة الحقيقية في فلسفة الفارابي السياسية إنما هي الرئيس : هذا الشخص الذي أوجدت المدينة (الدولة) من أجله ، ثم انها وجدت لتخدمه من غير أن يخدم هو أحداً ، ثم في تلك الطبيعة التي ارادها للرئيس حتى يستطيع الرئيس أن يكون نبياً وحكيماً في آن واحد ، ثم قوله صراحةً أن نسبة الرئيس إلى المدينة كنسبة الله إلى العالم .

هذه الخصائص كلها نجدها أيضاً في النظام السياسي الذي ساد في العراق في الزمن القديم ، قبل حمورابي . والفكرة السياسية التي سادت في أقدم عصور العراق السياسية أن كلّ مدينة كانت تابعة لآله ، وأن الحاكم فيها (الملك) كان يمثل ذلك الاله ويحكم باسمه ؛ وكان أهل المدينة يفلحون ويزرعون ويحصدون ويقومون بسائر الأعمال خدمةً لذلك الإله ، ولم يكن على ذلك الإله أن يخدم أهل المدينة في شيء . ثم لما جاء حمورابي لم يختلف من ذلك اختلافاً أساسياً : إن حمورابي تلقى شريعته من إله الشمس وكان يحكم على أنه نائب ذلك الإله .

وصفات الرئيس ترجع أيضاً إلى الفلسفة السياسية القديمة في العراق .

لما قضى الإسلام على الوثنية في كل مكان وصل إليه بقيت جماعات وثنية تعيش في بيئات مغلقة (صغيرة) تُظهر الوحدانية في بعض الأحيان وتبطن الوثنية القديمة ، ومن هذه الجماعات الصابئة (أو الصابة) أو الحرانيون (أو الحرنانيون) . وكان الحرنانيون يقولون (الفهرست ، مصر ، سنة ١٣٤٨ ﻫ ، ص ٤٤٤) : إن النبي هو البريء من المذمومات في النفس والآفات في الجسد ، والكامل في كلّ محمود ، وأن لا يقصر عن الإجابة بصواب في كلّ مسألة ، ويخبر بما في الأوهام ، ويجاب في دعوته بإنزال الغيث ودفع الآفات عن النبات والحيوان ، ويكون مذهبه ما يصلح به العالم ويكثر عامره . هذه الصفات

التي أوردها ابن النديم في كتاب الفهرست موجزةً بلا ريب هي الآراء التي فصّلها اخوان الصفا فيما بعد وسموها خصال صاحب الناموس أو صاحب الشريعة . والشريعة عندهم تجمع جانب الدنيا وجانب الدين في المعنى السياسي الواحد . ثم إن اخوان الصفا يرون صراحةً أن الشريعة ليست إلا الدولة . قالوا : « أما اختلاف الشرائع فلا يضرّ بالدين (الرسائل ٤ : ٢٤ — ٢٩) لأنّ كلّ شريعة تكون بحسب بيئة أهلها المقصودين بها وبحسب زمانهم . والشريعة تكون لأتباعها بمثابة مدينة (دولة) روحانية يعيشون فيها عيشة روحية ... وكلما كان عدد أتباع الشريعة أكثر كانوا هم أشدّ سروراً وفرحاً » (الرسائل ٤:١٨٧) .

وصاحب الشريعة أو الناموس يحتاج في رأي اخوان الصفا إلى خصال كثيرة جعلوها ثماني وأربعين (الرسائل ٤ : ٢٧) ثم اختصروها فجعلوها اثنتي عشرة (الرسائل ٤ : ١٨٢ — ١٨٦) هي (مع شيءٌ من الإيجاز) : أن يكون تامّ الأعضاء قويّها — جيد الفهم — جيد الحفظ — فطناً ذكياً ذا رأي — حسن العبارة — محباً للعلم إذا جلّدَ عليه — محباً للصدق وحسن المعاملة — غير شره في الطعام والشراب والنكاح — كبير النفس عالي الهمة — زاهداً في المال وأمور الدنيا — محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور وأهله — قويّ العزيمة جسوراً .

ومن العجيب أن يكون الفارابي قد افترض في رئيس المدينة الفاضلة أن يتصف باثنتي عشرة صفة هي (مع شيءٌ من الإيجاز) أن يكون : تامّ الأعضاء (وأن تكون القوى في تلك الأعضاء مُعِينَةً على ما نُقصد منها) — جيد الفهم والتصوّر بالطبع — جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ويسمعه ولما يدركه — حسن العبارة — محباً للتعليم (للتعلم) والاستفادة سهل القبول له — غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً بالطبع للّعب — محبّاً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله — كبير النفس محباً للكرامة — وأن يكون الدرهم والدينار وسائر

أعراض الدنيا هينة عنده — ثم أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور والظلم وأهلها ، يعطي النصف [(١)] من أهله ومن غيره ويحثّ عليه ، عَدْلاً غير صعب القياد إذا دُعي إلى الحق ، صعبَ القياد إذا دعي إلى الجور — قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي جسوراً عليه .

على أنه ليس من السهل أن نجزِم في من سبق إلى تعداد هذه الصفات : الفارابي أم اخوان الصفا ! إن الفارابي بدأ تأليف مدينته الفاضلة في بغداد سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) ثم أتمها في دمشق في العام التالي . وكانت وفاة الفارابي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) . أما جماعة اخوان الصفا فالأغلب أنها تألفت في اوائل القرن الرابع للهجرة (أوائل القرن العاشر للميلاد) ، ولكن أمرهم لم يظهر إلا نحو سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٣ م) كما ذكر أبو حيّان التوحيدي (المقابسات ٤٥) . في تلك السنة كان جميع الأشخاص الذين نعرف أسماءهم والذين يقال أنهم وضعوا رسائل اخوان الصفا لا يزالون أحياءاً . على أن أهم من ذلك أن رسائل اخوان كانت لا تزال في ذلك الحين متفرّقة لم تجمع في كتاب واحد .

ثم ليس من المعقول أن يأتي فيلسوف كالفارابي ، بعد أن نال شهرة واسعة وأصبح في السبعين من عمره ، فيغرف من رسائل اخوان الصفا غرفاً — واخوان الصفا بعدُ في عالم الغيب والستر . فلا بد إذن من أن يكون الفارابي قد عرف شيئاً من الفلسفة السياسية للعراق القديم ورتب منها آراءه . ولعل إخوان الصفا أنفسهم أخذوا من الفارابي أو عرفوا المصادر العراقية القديمة من الحرنانيين وأمثالهم .

إن من العجيب في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية أن تكون تلك الآراء الوثنية التي عمل الإسلام على محوها قد وُجدت بيتاً حصيناً في فرق الغُلاة من أصحاب البدع . وأن أحدنا لا يتوسع إلا قليلاً في مذاهب الحرانيين الذين يقال لهم الصابئة وفي ما اتصل بهم أو شابههم من الحركات كالمانوية والديصانية

(١) تجوز بالفتح وبالكسر وتجوز بفتح فتح .

ثم يكرّ البصر في الفرق الغالية من فرق الإسلام حتى يتضح له أن هذه تلك : مادة كلدانية حرّانية وغشاء باطني إسلامي ؛ ثم يعلم أن هذه الفرق لم تتلبس باسم الدين إلا سعياً وراء أهداف سياسية عنيفة أو لطيفة . وحينئذ فقط يدرك أحدنا الحملة التي حملها الغزالي وابن تيمية خاصةً على أصحاب البدع التي لم تكن مذاهب إسلامية بمعنى أنها تخالف سائر الفرق في شيء من التأويل لفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، بل كانت فرقاً سياسية دينية ترمي إلى مكافحة الإسلام خارجياً بالثورات والفتن وداخلياً بمحاولة التمزيق لوحدته الروحية ولعقائده الأولى .

ومما يؤسف له أن عدداً من المفكرين المسلمين من المعتزلة ومن الفلاسفة انساقوا في هذا التيار عفواً وفي الأكثر اغتراراً بانطلاق الفكر حراً في العالم الذي يجول فيه الفكر . ومن هؤلاء كان الفارابي الذي تبنى آراء وثنية لأنها جديدة في تعليل حال البيئة التي كان فيها ، ولأنها في الحقيقة كانت تحل مشكلة وجود عدد من الدول الكبرى والصغرى تتوادّ وتتعادى في البيئة الواحدة والزمن الواحد .

من أجل ذلك كله نرى أن مصادر الفارابي في تأليف كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » هي الآتية مرتبة حسب أثرها في آرائه السياسة :

— البيئة الاسلامية بما فيها من تعدد الدول الصغيرة والكبيرة المتآلفة والمتخالفة .

— تاريخ الدول في العراق القديم والنظرية السياسية الدينية التي عاشت من أيام الكلدانيين الحرانيين إلى أيامه في كتب مؤلفة أو في روايات متنقلة .

— آراء أفلاطون وأرسطو خاصةً .

وبعد فهذا عرض لمشكلة اعترضت سبيلي في دراسة الفارابي ومحاولةٌ لحلها . فعسى أن يكون في الدارسين من يشركني في الرأي أننا أمام مشكلة تحتاج إلى حل . ولعل لبعض هؤلاء رأياً آخر ينير سبيل البحث .

عمر فرّوخ

التعريف والنقد

كتاب « حلية البشر ، في تاريخ القرن الثالث عشر »

تأليف : الأستاذ الشيخ عبد الرزاق البيطار

رأى مجمعنا العلمي العربي الموقر أن يطبع هذا التاريخ الكبير في رجال القرن الثالث عشر ، مبقياً له على حاله ، ليكون مرآة لذلك العصر بأخباره وأحواله ، فلم يسعني إلاّ القبول ، شاكراً للمجمع العلمي بيض أياديه ، ودفعته إليه ، مستدركاً ومعلقاً عليه ، مميزاً زياداتي وأقوالي بعزوها إلي ، مضيفاً لها ما تتم به الفائدة . ويقع هـذا التاريخ في ثلاثة مجلدات ، ويبلغ نحو ألف وثمانمائة صفحة بالقطع المتوسط . وقد كتبه المؤلف في أدوار من عهود شبابه وكهولته وشيخوخته ، وترجم فيه أيضاً لطائفة من رجال القرن الرابع عشر وهم أحياء ، ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته بأكثر من عشر سنين لما أضرّ بيده اليمنى من الأمى والشلل القليل إلى أن توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ هـ .

وقد تمّ طبع الجزء الأول منه بأكثر من ستمائة وعشرين صفحة ، وتراجع فرائده وفوائده في مقدّماته ، وأراجع الآن الجزء الثاني وأعلّق عليه .

ولما بلغت ترجمة الشيخ سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر القاسمي الشهير بالحلاّق ، الدمشقي ، والد شيخنا الشيخ جمال الدين عليهم الرحمة والرضوان ، رأيت له مصنفات أدبية ، ومجموعات بهية ، من أوسعها وأهمها ما سمّاه : « بدائع الغرف ، في الصنائع والحرف » قلت : هذا الكتاب الراقي

بموضوعه ، مؤلف من جزءين ، فأولها بقلم المترجم (إلى ص ١٨٦) والثاني بقلم ولده السيد جمال الدين وصهرهما خليل بك العظم ، إذ حال أجل الأول دون اكمال حرف السين فما بعده ، فوفقهما الله تعالى إلى اتمام العمل . فبدءا أولاً بفوات بعض الحروف المتقدمة ، ثم في اكمال حرف السين ، ثم في سرد بقية الحروف إلى آخرها ، (من ص ١٨٦ إلى ص ٥٠١) .

بدئ الجزء الأول بكلمة في موضوع الكتاب للمستشرق الشهير لويس ماسنيون ، فقدمة الأستاذ ظافر نجل الجمال في تاريخ الصناعة وما مر عليها من أدوار وأطوار — وبالتعريف في هذا القاموس ، وكلتاهما باللغتين العربية والفرنسية . وفي أول (ج ١) رسم المؤلف وترجمته ، ورسم جامع السنانية الذي كانت الإمامة والتدريس فيه له ، ولولده جمال الدين من بعده . وفي (ج ٢) رسم المؤلفين الجمال والخليل ، وترجمة الأول بقلم ولده ظافر ، باللغتين أيضاً ، وترجمة الخليل بالكلم الوجيز . وفي آخر (ج ٢) وضعت الفهارس للآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، (وقد اشتركت مع الأستاذ الناصر الألباني بتخريجها وبيان درجتها) والقوافي والكتب والأعلام ، وأسواق دمشق ، والصناعات والأدوات والآلات ، والأسعار والأجور . وهذه الفهارس مترجمة إلى الفرنسية . وقد طبع الكتاب بدمشق طبعة متقنة .

وللمترجم (السعيد القاسمي) ديوان شعر لطيف ، جمع فيه جملة من غرره ، وأكثر من ابتكار النوادر . وله فيه قصيدتان في عام تأخر برده عن وقته المعتاد . صاغ الأولى في قالب السؤال ، من فصل الشتاء ، والثانية في جوابه واعتذاره المتضمن تذكير الموسرين لينتقدوا أولي الفاقة . وقد استحسنا نشرهما في مجلة المجمع العلمي للطافتها وطرافتها ، ونختم بهما هذه الكلمة .

أما الأولى فقوله :

ما بال بردك يا شتاء تأخرا ويريق برقك خلب لن يمطرا
أقبلت يا فصل الشتاء ولم نجد من ماء مزنك قطرة بلت ثرى
فصل كأيام السموم يجيئنا فالآن في أبداننا ما اثرا
ما هكذا قد كنت تأتي الورى (فارحم حشا بلظى هواك تسعرا
ولذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمع ولا تجعل جوابي لن ترى)
أين الرياح العاصفات بفصله لا تبق في الأشجار عرقاً أخضرا
أين الجليد يجمد الأرض الذي مثل الزجاج تخاله متصورا
أين الصقيع القاصم الظهر الذي ترك الفتى من رجفه متحيرا
أين الضباب المظلم الجو الذي بظلامه يحكي قتاماً أغبرا
أين اسوداد الجو أين عبوسه أين الغمام وغمه ومتى سرى
أين الزيادة في المياه إذا أتت تحكي لنا في اللون طيناً أحمرا
بل أين برد الزمهرير ولسعه للوجه لكن يستخير المنخرا
أين الرعود المزعجات بصوتها كمدافع يضربن جواً أقفرا
فاذا رأيت رأيت برقاً خاطفاً وإذا سمعت سمعت صوتاً منكرا
أسفي لثلجك يا شتاء فإنه قد كان يبني أذرعاً أو أكثرا
أسفي على البرد الكبير وطبه مذ كان ينزل جامدا مستحجرا
أسفي علينا ما رأت أبداننا برداً به نلتذ في لبس الفرا
فإلى متى والصحو عم سماءنا والشمس في إشراقها لن تستترا
وبيوتنا أبوابها مفتوحة فكأن حر الصيف لن يتغيرا
وننام لا مزملين بثوبنا كلا ولا احتجنا لأن نتدثرا
وسقوفنا جفت وقد كانت لنا تبكي بدمع الوكف ماء أصفرا
أسفي على يبس الميازيب التي طول الشتاء تصب ماء أغبرا

أسفي على تلك البلاليع التي كانت تسد بما يحاكي الأبحرا
أسفي على تلك المناقل لم تذق في صفوة فحماً وجمراً أحمرا
أسفي على تلك البرادي وهي في أجدانها ملفوفة لن تنشرا
أسفي على الأوحال في الطرقات إذ يبست وآن لها بأن تتخمرا
ومتى نرى الانسان يمشي فوقها يغدو ويرجع خائفاً ومشمرا
ومزركشاً من طينها ومطرزا ومدبجاً من فرقه وإلى ورا
وبنعله قد شال من أوحالها أرطال طين كاد يحني الأظهرا
فلطالما قد قيل أيام الشتا زلق الحمار برحله فتفطرا
والناس يصطرخون هل من منقذ غرق الحمار بحمله وتكسرا
أسفي على الحمال لو أبصرته لرحمته لما بكى وتحسرا
فإلى متى لا تحمل المكاز بل لا يلبس القبقاب بل لا يشترى
ومتى نرى سطح السقوف مكلسا وتحجراً بالثلج أبيض نيرا
لو أنني جمعته وخزنته للصيف كنت عملت منه متجرا
فبمثل هذا الحال كان شتاؤنا أفلا يحق عليه أن نتفهرا
يا أجرد الكانون جئت معاكسا تدع الغصون ونحن ننبذ بالعرا
وكذا الأصم أخوه لا يبغي بأن ننطم في وسط البيوت ونقبرا
لو كان يسمع لا يضن ببرده لكن أصم فليس يسمع ما جرى
فعسى بآذار يجود بمالنا قد ضن فيه شتاؤنا إذ أدبرا

* * *

وأما القصيدة الثانية التي وقعت جواباً عن لسان حاله فهي :

يا من تكلم في الشتاء بما درى ورأى بأن البرد فيه تأخرا
برد الشتاء لقد تحول عنكمو وأظنه قد ضل في إحدى القرى
جوبوا البلاد لعلكم تجدونه في تارة قد قر فيها أو سرى

ان لم تروه بها تجدوا خلفه … فلعله في حمص زار وزمهرا
أم في حماة أتى إليها يحتمي … فمضى بعاصي نهرها وتستّرا
أم راح نحو مدينة الشهباء أم … رام الاقامة في ذرى أم القرى
ليريحهم من حرها في برده … ويزمل الأبدان منهم بالفرا
أم أمّ نحو الروم وهي بلاده … منها نشا وبها استقر بلا امترا
فهناك تلقون الشتاء وبرده … يمشي بمسقط رأسه متبخترا
وترون ما تبغون من آفاقه … وزيادة مما يقص الأظهرا
فاذا سمعتم أنه في بلدة … ورأيتموه جامعاً مستنفرا
قولوا له يا ابن الحلال إلى متى … ما آن أن تأتي وتنظر ماجرى
بينا نطوف لعلنا نحظى به … في بعض تلك المدن أو بعض القرى
وإذا به بين الجبال مخيم … إذ لا أنيس له هناك من الورى
قلنا له يا بارداً في طبعه … لكن قطر نداك يحكي السكرا
أنت الذي عاهدتنا من آدم … والعهد منك على المدى لن يخفرا
تأتي إلينا كي تغيث زروعنا … في كل عام مرة أو أكثرا
والآن في ذا العام قد قاطعتنا … ونفرت عنا ما الذي منا جرى
أرأيت منا ما يسوءك فعله … من كل ذنب سيئ لن يغفرا
أم بعضنا يجني عليك بذنبه … فأخذت باقي البعض ظلما وافترا
هذا وقد جئناك بعد مشقة … فابدي الجواب ولا تكن مستعذرا
نهض الشتاء وقال كلا فاسمعوا … نصحا يقال لمن يريد تبصرا
لما منعتم مالكم فقراءكم … وعراهمو في فقرهم ما قد عرا
وغنيكم متنعم بطعامه … وشرابه ولباس أنواع الفرا
وفقيركم لا تنظرون لحاله … وترونه في عيشه متكدرا
وترونه بالسوق في وقت المسا … يبتاع زيتونا وخبزاً أسمرا

يغدو حزيناً باكياً وغنيكم يغدو ويرجع ضاحكاً مستبشرا
ويطوف حول الفاكهاني في المسا ء وحول بياع الكنائف للشرا
وان اشترى شيئاً غدا من بخله يخفيه تحت ثيابه متسترا
والمعدمون يبصبصون بأعين حول الغني ويرجعون القهقرا
وإذا الفقير أتاه يبغي كسرة أو جاء ضيفاً يبتغي منه القرا
ما كان إلا بالعصا اكرامه أو بالعطا أعطاه فلساً أحمرا
ولكم تمنى الأغنياء بأن يروا في ساحة الفقراء ريحاً أصفرا
كي لا يروا أبداً فقيراً بل ولا يجدون مسكيناً وأشعث أغبرا
يا ويحهم ماذا يكون جوابهم في القبر حين رأوا نكيراً منكرا
للأغنيا ويل من الفقرا غدا يوم القيامة إذ يرون المحشرا
إذ يقبضون عليهم في موقف منه الوليد يشيب من بين الورى
ويقول كل منهم يا ربنا خذ حقنا منهم فلن نتأخرا
يبقى الغني هناك لا مال له فيصير عما قد جنى متحسرا
فالآن أنتم يا ذوي الاموال إن واسيتمو الفقراء آتي ممطرا
وتزوركم رحمات رب لم يزل للمحسنين مساعداً وميسرا
وترون فصلي فصل خصب مقبل في كل خير بالرخاء مبشرا
ولتسمعن رعوده كمدافع ولتنظرن البرق فيه منورا
ولتبصرن هتون مزن سحابه فسيوله في الأرض تحكي الأبحرا
ولسوف ينزل ثلجه ببلادكم فهناك يبني أذرعاً أو أكثرا
ويروج سوق سويقكم في وقته فكلوا السويق مدبساً ومسكرا

وقد ذكر في التحفة لهذا العالم الجليل مؤلفات أكبرها « بدائع الغرف في الصنائع والحرف » وأقول : هذا الكتاب الوافي بموضوعه الخ (انظر المقدمة) .

محمد بهجة البيطار

أربعة كتب

للسيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

١ — كتاب : الغفران لأبي العلاء المعري طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٦١ ومن سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية . عدد صفحاته (٣٤٣) صفحة .

٢ — كتاب : التفسير البياني للقرآن الكريم ، طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٦٢ ومن سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية . عدد صفحاته (١٩٧) صفحة .

٣ — كتاب : قيم جديدة للأدب العربي ، طبع دار المعرفة عام ١٩٦١ عدد صفحاته (١٥١) صفحة .

٤ — كتاب : أم النبي (ﷺ) ، طبع دار الهلال بمصر ، عدد صفحاته (١٦٦) صفحة .

هذه كتب أربعة من تأليف الدكتوره عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » وقد أهدتها إلينا . وابنة الشاطئ أديبة عربية بارزة في الشرق العربي ، ومصر شهرتها أنها جمعت بين الثقافتين القديمة والحديثة فقد قرأت الأدب القديم على أساتذة الجامعة المصرية — القديمة — وتتلمذت على أحمد أمين وطه حسين ومصطفى عبد الرازق وأمين الخولي . وغير هؤلاء ممن يمثلون النهضة الأدبية الحديثة في مصر وكانت نشأتها الريفية الدينية ذات تأثير بالغ في نهجها العلمي كما أعانتها هذه النشأة على تقويم لسانها والتمكن من اللغة العربية الصحيحة ، فهي بهذه الصفات تمثل الجانب التاريخي الديني من الأدب العربي .

وللأديبة الكبيرة صلات أدبية لا تنقطع بالمجامع العلمية واللغوية بحكم عملها كأستاذة للأدب العربي بجامعة عين شمس بالقاهرة ، وقد خصت مجمعنا العلمي العربي بدمشق بشذرات قيمة ونظرات صائبة نشرتها في الصحف ، وأضافت إلى

ذلك أنها أهدت إلينا الكتب الأربعة التي أشرنا إليها آنفاً ، فلها الشكر الجزيل .

أما الكتاب الأول (الغفران لأبي العلاء) فهو دراسة مستفيضة لكتاب أبي العلاء المعري الشهير « رسالة الغفران » وهذا الكتاب هو الأطروحة التي قدمتها المؤلفة لجامعة القاهرة عام ١٩٥٠ فنالت به درجة الدكتوراه بالآداب .

يبدأ الكتاب بمقدمة أهدتها المؤلفة إلى أمها .

ثم بمقدمة ثانية للطبعة الأولى من الكتاب بينت فيها منهجها في البحث ، ثم بمقدمة ثالثة للطبعة الثانية تحدثت فيها عن مدى تأثرها برسالة الغفران مما زادها « تقديراً لهذا الأثر الأدبي الفذ ، وانفعالاً به واندماجاً » وتعرضت في هذه المقدمة لكثير من القضايا التي « تشغل أدبنا المعاصر » من مثل : الالتزام الأدبي بقضايا المجتمع ، وعزلة الأديب في الأبراج العاجية ، ثم حرية الأديب .

وهي ترى أن رسالة الغفران تعطي رأياً غير الرأي المتعارف عن أبي العلاء ، فأبو العلاء في رأي الكاتبة ، لم يكن راضياً ، ولا زاهداً بكل شيء بل لقد كان صدره يضج بـ « أشواق مكبوتة ، وتؤكد أنه لم يسترح قط من حب الدنيا ، ولا نفض يده منها في اللحظة التي قرر فيها الانسحاب إلى محبسه » وهذا الرأي على جدته قد تعرض له بعض دارسي الأدب فيما مضى فأبو العلاء انسان قبل أن يكون فيلسوفاً ولكن حياءه منعه من إظهار حيويته فأصبح رهين حيائه لا رهين محبسه .

ثم بعد ذلك تنتقل الكاتبة إلى نص « الرسالة » فتبحث في بيئتها وأسباب كتابتها والزمن والمكان اللذين كتبت فيهما إلى آخر هذه البحوث النافعة المفيدة ، ثم تنتقل إلى دراسات خاصة تتعلق بالأسلوب والمعاني وصور التعبير الشعرية ، وهكذا حتى تختتم الكتاب في ثلاثمائة وأربعين صفحة . وهو من منشورات مكتبة الدراسات الأدبية لدار المعارف بمصر .

وأما الكتاب الثاني فهو : « قيم جديدة للأدب العربي » وهو من منشورات دار المعرفة ويقع في مائة وإحدى وخمسين صفحة ، وقد قدمت الكاتبة للكتاب بكلمة عبرت عن غايتها من تأليفه وذلك بقولها « هذه محاولة متواضعة لتحرير الدرس الأدبي من بعض قيم خاطئة ومقاييس منحرفة » وقد أتت في عرض الكتاب بأمثلة عن الانحراف في النقد ، كما التمست فيه طريقة جديدة لتقييم الشعر وتقديره ونقده .

ونقطة الانطلاق عندها هي : (التفريق بين تراثنا الأدبي وبين أحكام مؤرخيه وآراء ناقديه) وتناول الكتاب أربعة أقسام ١ — قديمنا الأصيل ٢ — شاعر القبيلة ٣ — الشعراء الصعاليك ٤ — شعراء البلاط .

فبالنسبة للقديم حددت المؤلفة الدراسة في العصرين الأخيرين للجاهلية ، وتعرضت في هذا البحث إلى قضية انكار الشعر الجاهلي فاثبتت العكس . وأما بالنسبة لشاعر القبيلة فقد بحثت موقع الشاعر من القبيلة واعتزازها به . وأما القسم الثالث فهو شعراء الصعاليك وقد ألحت المؤلفة على ضرورة الاهتمام والعناية بهؤلاء الشعراء الذين أهملهم التاريخ . ثم تأتي إلى القسم الرابع من الكتاب وهو بحث شعراء البلاط ، وقد عدت من زعمائهم النابغة والأعشى ، وهما وأمثالهما يعتبرون من الشعراء الموظفين الذين يعملون في دائرة رسمية عند ملك أو أمير وذلك ما اهدر شخصية هذين الشاعرين وأشباههما .

ولقد شجبت الكاتبة النقاد الذين أهملوا الصعاليك الصادقين واحتفوا ببضاعة التجار من الشعراء . وأشارت الكاتبة إلى ضرورة انصراف الشعراء عن المديح .

وهنا نصل إلى الفصل الثاني وهو يبحث في الأدب الاسلامي ، وفيه تدفع الفكرة القائلة بأن « الاسلام قد ناهض الشعر وقاومه ، وأن الشعر قد أضاع مكانته وحرم جمهوره وسلب بالاسلام سلطانه » وفي العهد الاسلامي تبحث

المؤلفة موضوع « الخضرمة » وتتعرض في بحثها إلى الخلاف بين مؤرخي الآداب حول جعل شعراء صدر الاسلام جاهليين أو اسلاميين .

وتنتقل الكاتبة إلى الفصل الثالث وهو « في ظل الحكم الفردي الوراثي » وتقصد بهذا الفصل فترة انتقال الحكم إلى بني أمية . وهنا تنتقد الكاتبة الاعتماد على التاريخ السياسي وحده في دراسة التاريخ الأدبي .

ثم الفصل الرابع من الكتاب وهو يتناول الفترة التي عاشها الأدب « من دمشق إلى بغداد » وفيها تتحدث الكاتبة عن تقلب الأحداث وملابسات الانقلاب العباسي ورواسب العهد الأموي في الأنظمة والحياة وكيف كان العباسيون يعتمدون كثيراً على الشعر في دعم ملكهم وخاصة فيما يتعلق بقضية الميراث والخلاف بين العم العباس وابن الأخ علي ابن أبي طالب .

ثم ينتهي الحديث إلى « التيار » الذي كان في خاتمته المتنبي ، وهنا تحمل الكاتبة على المتنبي ، وتحاول النصح في ضرورة تغيير رأي الناس في هـذا الشاعر المستجدي ، وهذا رأي مستغرب فقد أصبح المتنبي في الأدب العربي علماً لا ينكر شأنه وانه أكبر شعراء العربية إطلاقاً . والذي نراه أن نقدر المتنبي بالنسبة لشعره لا بالنسبة لملابسات حياته الخاصة ، ما دام النص بين أيدينا ، أما حياته فقد تعرضت لرأي التاريخ الذي لا يسلم من الخطأ وهو خطأ مقصود أملته ظروف لا صلة لها بالنقد الفني النزيه . وتختم الكاتبة مؤلفها القيم في الحديث عن القيم الأدبية والعودة إلى المقاييس والأحكام التي قوم بها تراثنا الأدبي ليعاد النظر بها ، وينظر فيها إلى الأثر الأدبي ذاته لا إلى الظـروف التي أحاطت به ، وفي هذه الفكرة الأخيرة نلمح اختلافاً في رأي الكاتبة أشبه بالتناقض إذا قورنت هذه الفكرة مع رأيها بالمتنبي .

وأما الكتاب الثالث : وهو التفسير البياني للقرآن الكريم فهو من مطبوعات دار المعارف بمصر عام ١٩٦٣ ويتألف من (١٩٧) صفحة . وقد قدمت له

بمقدمة أوضحت فيها الغرض من وضع الكتاب ، هذا الغرض الذي يلخص بأن النصوص القرآنية يجب أن تكون موضوعاً للدراسة للاستفادة من لغتها العالية وبيانها المعجز ، وأن تدرس هذه النصوص أدبياً كما تدرس دواوين الشعراء ورسائل الكتاب . وأن ينتقل درس القرآن من نطاق « التفسير » إلى نطاق « الأدب العربي » على حد تعبير الكاتبة . وهي بعد ذلك تدلي بالمبررات لهذا الرأي : فهو مصدر بياني رائع ، وهو مناط الوحدة الذوقية « للشعوب العربية كلها ، رغم تعدد لهجاتها ، وأن في دراسة نصوص القرآن سعي حميد لتخليص القرآن مما أدخل عليه في التفاسير المختلفة من دس إسرائيلي أو فارسي » ، ثم هناك الاختلاف الذوقي والعلمي بين المفسرين وأن التفسير ظل طوال المدة الماضية علماً لم ينضج نضجاً كاملاً ثم تدعو الكاتبة إلى أن يتلاقى العرب عند نصوص كتابهم المنزل ، يلتقون به أدباً وفناً كما التقوا ديناً وعقيدة .

ويبدو من خطة المؤلفة في المقدمة إذن أن الغاية الوحيدة من الكتاب هي البحث عن البيان كما يدل على ذلك عنوان الكتاب .

ثم تبدأ الكاتبة في تفسير السور وهي كلها مكية ذات موضوع واحد لأن السور المكية تناولت الأصول الكبرى للدعوة الإسلامية ، وهي سور : الضحى ، والشرح ، والزلزلة ، والنازعات ، والعاديات ، والبلد ، والتكاثر .

وفي كل هذه الأمثلة تستعرض الكاتبة التفاسير القديمة والحديثة ، ثم تأتي برأيها في التفسير .

الكتاب الرابع : وهو كتاب « أم النبي » عليه الصلاة والسلام . من مطبوعات دار الهلال ، عدد صفحاته (١٦٦) مائة وست وستون صفحة ، والكتاب بحث قيم عن آمنة بنت وهب الزهرية أم النبي العربي محمد ﷺ ، والدكتورة بنت الشاطئ خير من يكتب في مثل هذه الموضوعات التي امتزج فيها التاريخ والادب والدين ، والدكتورة بحكم نشأتها وبيئتها الريفية أديبة

مؤرخة دينة ، يضاف إلى هذا أنها امرأة فهي تستطيع أن تتفهم نفسية المرأة بحكم جنسها .

ويبدأ الكتاب بمناجاة تتمثل فيها الكاتبة أم النبي وتخاطبها مخاطبة المعجب بها الخاشع أمام عظمتها وعظمة ما ولدت للبشرية من رجل هو أعظم مولود .

ثم ينتقل البحث إلى مصادر سيرة آمنة ونشأتها ، وقد شكت الكاتبة من نقص المصادر التاريخية حول هذا الموضوع ، واستعانت بسيرة النبي ذاتها على دراسة تاريخ أمه . كما اعتمدت على ناحية هامة في دراسة هذه المرأة العظيمة ، وهي تلك القصص والأساطير التي دارت حول آمنة وحملها وولادتها مما قد يتريث العقل أمامه ويرتاب العلم الجاف في صحته ، ولكن هذه القصص والأساطير تدل في كل حال على احترام التاريخ لهذه المرأة الخالدة .

ثم تتحدث الكاتبة بعد ذلك عن مقام الأمومة « عند العرب وحرصهم على صراحة نسبها » ثم تتحدث عن الامهات المشهورات في التاريخ ، مثل أم إسماعيل وأم موسى وأم المسيح ، ثم ينتقل الحديث إلى بيئة السيدة آمنة وعشيرتها فتبحث في البيت العتيق وبني زهرة قبيلتها . ثم ينتقل البحث إلى آمنة ، وزواجها من عبد الله والد النبي ﷺ وما لابس ذلك من أفراح وبشارات ثم خاتمة هذا الزواج الذي لم يدم طويلاً ، وما لقيته آمنة من فراق وأحزان ، وبعد هذا ينتقل الحديث إلى أخطر فترة منه وهي فترة الجنين الذي كان منه أعظم رسول جاء إلى هذه الدنيا فتتكلم عن ولادته ورضاعته ، ثم إعادته من عند حليمة السعدية مرضعته وانتقاله إلى يثرب ، وموت آمنة عليها السلام في الطريق بين مكة والمدينة ، ودفنها في قرية « الأبواء » ثم تختتم الكتاب بالحديث عن ذكريات تتعلق بتاريخ آمنة . عليها السلام .

اننا نكرر شكرنا للكاتبة الكبيرة على هديتها القيمة راجين لها التوفيق في العمل لخدمة العلم والأدب .

ديوان دعبل بن علي الخزاعي

طبع وتحقيق وتقديم وتعليق الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي الخزرجي

طبع في مطبعة الآداب ـ النجف عام ١٩٦٢ م و ١٣٨٢ هـ عدد الصفحات/٣٥٥/ صفحة

أهدى إلينا الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي نسخة من ديوان دعبل بن علي الخزاعي والهدية ذات قيمة أدبية كبيرة لأنها سدت نقصاً وملأت فراغاً ، إذ ليس من الحق في شيء أن تخلو مكتبة من المكتبات من مجموعة شعر هذا الشاعر الكبير الذي كان له أثر أدبي وسياسي وفني في عصره ، وهو أثر قلما يضارعه أثر لأديب أو شاعر آخر . لذلك حمدنا الهدية وشكرنا للمهدي عمله الأدبي القيم متمنين له اضطراداً في النجاح واستمراراً في خدمة الأدب العربي وآثاره .

ولقد قام الأستاذ الدجيلي بكتابة مقدمة للديوان استغرقت اثنتين وثمانين صفحة أوضح فيها الأسباب الدافعة لجمع شعر هذا الشاعر ، والعقبات التي اعترضت مهمته .

وقد تحدث في هذه المقدمة الوافية عن : حياة الشاعر وشاعريته ومواقفه السياسية ، بادئاً باسمه وكنيته ومنتهياً بوفاته .

وهو شاعر عربي صافي العروبة لاتشابه بالتأكيد إلى قبيلة خزاعة المشهورة ، على أن هناك من قال بولائه في خزاعة شاكاً بنسب الشاعر العربي وهو رأي يعزى إلى عبد الله بن طاهر وقد ثبت تاريخياً أن ابن طاهر قصد من وراء ذلك إلى الحط من دعبل لخصومة كانت بينه وبين الشاعر ولأن هذه الطريقة في إخراج الشخص من عروبته طريقة كانت شائعة آنذاك .

كان دعبل تلميذاً لمسلم بن الوليد في الشعر ، فقد انتقل من الكوفة التي ولد فيها عام ١٤٨ هـ على الأصح إلى بغداد ، كما قيل أنه ولد في قرقيسيا « البصيرة عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات » ولكن المعروف المشهور أنه كوفي .

وكان انتقاله إلى بغداد وفيها عرف أول ما عرف مسلم بن الوليد كما قلنا

ولقد عرف دعبل بظاهرتين هامتين : هما الهجاء أولاً ، والتشيع ثانياً .

أما هجاؤه فقد كان من نوع مؤذ ، كان يعتمد على سلاسة التعبير والديباجة الشعرية السهلة التي يسير بها الشعر حفظاً ورواية ، ولكنه كان هجاءاً أشبه بالشتائم ، إذ لم يكن عنده تصوير أو خيال أو نكتة ، لقد كان جرحاً كله وكان صريحاً كله بحيث أن كل لفظة منه كانت تصيب مقتلاً ، كما كان يوغر عليه صدور الناس ، ويورث فيهم السخائم والضغائن ، حتى لقد قضى الشاعر حياته مطارداً من بلد إلى آخر وحتى صدق فيه قوله هو : (لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك) .

يضاف إلى هذا أن دعبلاً كان مختصاً بهجاء الكبار من الرجال لا يعوقه عن ذلك عائق ولا يستثني من لسانه أحداً ولو كان الخليفة ذاته ، وعلى هذا فقد هجا خلفاء بني العباس ، هجا الرشيد وهجا المعتصم وغيرهما .

والميزة الثانية لدى دعبل هي التشيع وقد كان شعره السياسي في أكثره تعبيراً عن هذا الميل فقد كان هاشمي الهوى علويا في فكرته ، وكان هجاؤه موجهاً لخلفاء بني العباس حتى عرض نفسه للتشرد ثم الموت ، وهذه الفكرة هي التي ملكت عليه لبه وسيرته في كل حياته .

أما شاعريته فكانت تعتمد على متانة اللغة وصفاء الديباجة والبعد عن الابتذال ولعل أول أبيات اشتهرت له هي التي يقول فيها :

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل من هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

حتى لقد كانت هذه الأبيات دليلاً على الشاعر يعرف به . وهذه الأبيات هي التي أوصلته إلى الرشيد واعترف له بالشاعرية فيها كل من أبي تمام ومسلم، وهما من علمت مكانة وشهرة .

أما أشهر قصائده .فهي القصيدة التائية الشهيرة التي رثى بها آل البيت وتعرضهم لظلم بني أمية وبني العباس على السواء وهي « مدارس آيات » وقد نظم هذه

القصيدة وقصد إلى الامام علي بن موسى الرضى حين بايعه المأمون وليّاً لعهده ، ولهذه التائية عدة شروح ، ولقد بلغ من مكانة هذه القصيدة أن رويت الأساطير عنها وقيل إن الشاعر قد كتبها لتدرج في كفنه حين وفاته ومطلعها :

تجاوبن بالأرنان والزفرات نوائح عجم اللفظ والنطقات

يخبرن بالأنفاس عن سر أنفس أسارى هوى ماض وآخر آت

وما من شك في أن دعبلا ، وان لم يكن أبرز شاعر في العهد العباسي الأدبي ، إلا أنه كان ، من غير شك من أكبر شعراء هذا العهد ، وأنه يمشي في قرن مع مسلم بن الوليد وأبي العتاهية والشريف ولكنه قد لا يصل إلى مرتبة البحتري وأبي تمام وأبي نواس ، وابن الرومي من الشعراء الأعلام .

أما فيما يتعلق بطبع الديوان ، فقد لاحظنا بعضاً من الأغلاط التي كنا نتمنى ألا تقع ولكن لكل أديب عذره ، فقد ورد في الصفحة (١٦٢) وفي الشطر الأول من البيت الأول من المقطوعة الثالثة : « لولا تكون لكاتب » وصوابه لولا تكون « ككاتب » وورد في الصفحة /١٦٣/ البيت الثالث من المقطوعة الثالثة قوله : أو (كان) مسعدة الكريم نجاره والصواب « أو كابن مسعدة » لأن الممدوح هو عمرو بن مسعدة .

كما لا نتفق في الرأي مع الأستاذ محقق الديوان الذي وجد العذر للشاعر بهجائه الناس على الظن ، أو حين يسيء الاعتقاد في الناس فيتخذ الهجاء ذريعة للارهاب ، كما لا نوافق على أن يتصف الرجل بصفة انكار المعروف وجحود الاحسان ، لأن هذا السلوك مخالف للحياة الانسانية التي تقوم على التعاطف والتآخي وأين قول دعبل فيمن أحسن إليه : (ما كانت لأحد قط عندي منة إلا تمنيت موته) أين هذا القول من قول المتنبي :

وما شكرت لأن المال فرحني سيان عندي اكثار واقلال

لكن وجدت قبيحاً أن يجاد لنا وانتا بقضاء الحق بخال

احمد الجندي

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني (أمين السر العام)
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ « حسني سبح
٦ « حكمة هاشم
٧ « سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ الاستاذ عارف النكدي
١٠ الاستاذ عز الدين التنوخي
١١ الدكتور عدنان الخطيب
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٤ « محمد كامل عياد
١٥ « امجد الطرابلسي
١٦ الاستاذ محمد المبارك
١٧ الدكتور شكري فيصل

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الاستاذ عمر ابوريشة
٣ « محمد سليمان الأحمد
٤ الدكتور قسطنطين زريق
٥ الاستاذ نظير زيتون

الجمهورية العربية المتحدة

٦ الاستاذ احمد حسن الزيات
٧ الدكتور احمد زكي
٨ الأستاذ احمد لطفي السيد
٩ « خليل ثابت
١٠ الدكتور طه حسين
١١ الاستاذ عباس محمود العقاد
١٢ الأمير يوسف كمال

لبنان

١٣ الاستاذ أنيس المقدسي

١٤ الاستاذ بشارة الخوري
١٥ الدكتور صبحي المحمصاني
١٦ « عمر فروخ

فلسطين

١٧ الأب ا . س . مرمرجي الدومنكي
١٨ الاستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الهاشمية الاردنية

١٩ الاستاذ محمد الشريقي

الجمهورية العراقية

٢٠ « احمد حامد الصراف
٢١ « ساطع الحصري
٢٢ « عباس العزاوي
٢٣ الشيخ كاظم الدجيلي
٢٤ الاستاذ كوركيس عواد
٢٥ الشيخ محمد بهجة الاثري
٢٦ الاستاذ محمد رضا الشبيبي
٢٧ الدكتور مصطفى جواد
٢٨ الاستاذ منير القاضي

السودان

٢٩ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٣٠ الأستاذ حمد الجاسر
٣١ « خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٣٢ الاستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٣٣ الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب
٣٤ « محمد الطاهر ابن عاشور

الجمهورية الجزائرية

٣٥ الاستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

٣٦ « عبد الحي الكتاني
٣٧ « عبد الله كنون
٣٨ « علال الفاسي

تركية

٣٩ « احمد آتش

ايران

٤٠ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٤١ الاستاذ آصف علي أصغر فيضي
٤٢ « أبوالحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٤٣ « عبد العزيز الميمني
٤٤ « يوسف البنوري

فرنسة

٤٥ الدكتور بلاشير (رجيس)
٤٦ الأستاذ كولان (جورج)

٤٧ الاستاذ لاوست (هنري)

٤٨ 〃 ماسه (هنري)

بريطانية

٤٩ 〃 أربري (أ٠ ج٠)

٥٠ 〃 جيب (هـ ٠١٠ ر ٠)

٥١ 〃 غليوم (الفرد)

المانية

٥٢ 〃 ريتر (هلموت)

٥٣ 〃 هارتمان (ريشارد)

السويد

٥٤ 〃 ديدرنغ (س ٠)

الولايات المتحدة الاميركية

٥٥ الدكتور ضودج (بارد)

٥٦ الاستاذ فيليب حتي

اسبانية

٥٧ الاستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٥٨ الدكتور اشتولز (كارل)

٥٩ الاستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٦٠ 〃 جبرايلي (فرنشبسكو)

هولاندة

٦١ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمرك

٦٢ الاستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٦٣ 〃 كرسيكو (يوحنا اهتنن)

البرازيل

٦٤ 〃 رشيد سليم الخوري

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ « سليم البخاري
٣ « مسعود الكواكبي
٤ الاستاذ الياس قدسي
٥ « أنيس سلوم
٦ « جميل العظم
٧ « سليم عنحوري
٨ « عبد الله رعد
٩ « رشيد بقدونس
١٠ « اديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الاستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ « محمد البزم
١٦ « سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الأستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الاستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ « جرجس منش
٢٣ الاستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الاستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ « راغب الطباخ
٢٨ « عبد الحميد الجابري
٢٩ « عبد الحميد الكيالي
٣٠ « محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الاستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطوس افرام
٣٦ الشيخ امين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الاستاذ متري قندلفت

الجمهورية العربية المتحدة

٣٩ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٠ « رفيق العظم
٤١ « احمد كمال
٤٢ « احمد تيمور
٤٣ « احمد زكي باشا
٤٤ الدكتور يعقوب صروف

٤٥ السيد محمد رشيد رضا
٤٦ الاستاذ حافظ ابراهيم
٤٧ 〃 احمد شوقي
٤٨ الشيخ احمد الاسكندري
٤٩ الاستاذ اسعد خليل داغر
٥٠ 〃 داود بركات
٥١ الدكتور امين المعلوف
٥٢ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٣ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٤ الدكتور احمد عيسى
٥٥ الأمير عمر طوسون
٥٦ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٥٧ الاستاذ انطون الجميل
٥٨ 〃 خليل مطران
٥٩ 〃 ابراهيم عبد القادر المازني
٦٠ 〃 محمد لطفي جمعة
٦١ الدكتور احمد امين
٦٢ الاستاذ عبد الحميد العبادي
٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٤ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٥ 〃 منصور فهمي

لبنان

٦٦ الاستاذ حسن بيهم
٦٧ الأب لويس شيخو
٦٨ الشيخ عبد الله البستاني
٦٩ الاستاذ جبر ضومط
٧٠ 〃 عبد الباسط فتح الله
٧١ الشيخ عبد الرحمن سلام
٧٢ 〃 مصطفى الغلاييني
٧٣ الاستاذ عمر الفاخوري
٧٤ 〃 بولس الخولي
٧٥ الاستاذ امين الريحاني
٧٦ الامير شكيب ارسلان
٧٧ الشيخ ابراهيم المنذر
٧٨ الاستاذ جرجي يني
٧٩ الشيخ احمد رضا
٨٠ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨١ 〃 فيليب طرازي
٨٢ الشيخ فؤاد الخطيب
٨٣ الدكتور نقولا فياض
٨٤ الشيخ سليمان ظاهر
٨٥ الأستاذ مارون عبود

فلسطين

٨٦ الشيخ سعيد الكرمي
٨٧ الاستاذ نخلة زريق
٨٨ الشيخ خليل الخالدي
٨٩ الاستاذ عبد الله مخلص
٩٠ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي

٩١ الاستاذ عادل زعيتر

الجمهورية العراقية

٩٢ « محمود شكري الآلوسي

٩٣ « جميل صدقي الزهاوي

٩٤ « معروف الرصافي

٩٥ « طه الراوي

٩٦ الاب انستاس ماري الكرملي

٩٧ الدكتور داود الچلبي

٩٨ الاستاذ طه الهاشمي

الجمهورية الجزائرية

٩٩ الشيخ محمد بن ابي شنب

المملكة المغربية

١٠٠ الاستاذ محمد الحجوي

تركية

١٠١ « زكي مغامز

ايران

١٠٢ الشيخ ابوعبد الله الزنجاني

١٠٣ الاستاذ عباس إقبال

الهند

١٠٤ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١٠٥ الاستاذ فران (جبرئيل) فرنسة

١٠٦ « هوار (كليمان)

١٠٧ « بوفا (لوسيان)

١٠٨ الاستاذ مالنجو

١٠٩ « كي (ارتور)

١١٠ « باسه (رينه)

١١١ « ميشو بلّير

١١٢ « مارسيه (وليم)

١١٣ « دوسو (رينه)

١١٤ « ماسينيون (لويس)

بريطانية

١١٥ « مرجليوث (د٠ س٠)

١١٦ « بفن

١١٧ « براون (ادوارد)

١١٨ « كرينكو (فريتز)

المانية

١١٩ « هومل

١٢٠ « ساخاو (ادوارد)

١٢١ « هوروفيتز (يوسف)

١٢٢ « هارتمان (مارتين)

١٢٣ « ميتفوخ (اوجين)

١٢٤ « بروكلمن (كارل)

المجر

١٢٥ « غولد صيهر (اغناطيوس)

١٢٦ « ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الاميركية

١٢٧ الاستاذ ماكدونالد (د. ب.)

١٢٨ « هرزفلد (ارنست)

١٢٩ « سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٣٠ « كراتشكوفسكي (أ)

١٣١ « برتلز (ايفيكين)

اسبانية

١٣٢ « آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٣٣ « لوبس (دافيد)

ايطالية

١٣٤ « جويدي (اغنازيو)

١٣٥ « نالينو (كارلو)

١٣٦ « غريفيني (اوجينيو)

سويسرة

١٣٧ « مونته (ادوارد)

١٣٨ الاستاذ هس (ج. ج.)

بولونية

١٣٩ « كوفالسكي (ت.)

تشكوسلوفاكية

١٤٠ « موزل (الوا)

هولاندة

١٤١ « هورغرنيه (سنوك)

١٤٢ « اراندوك (ك.)

١٤٣ « هوتسما (م. ت.)

الدانيمارك

١٤٤ « بوهل (ف. م. ب.)

١٤٥ « استروب (ج.)

السويد

١٤٦ « سترستين (ك. ف.)

البرازيل

١٤٧ « سعيد ابوجمرة

لويس ماسنيون

١٨٨٣ — ١٩٦٢

(ذكريات وأقوال فيه) [1]

مات ماسنيون .

ولقد نشأت في بيتي ، منذ نعومة أظفاري ، وأنا أسمع أن في الدنيا رجلاً فرنسياً ، محباً للإسلام والعرب ، وقد اختص بالتصوف الإسلامي ، اسمه (ماسنيون) . ثم عرفت من أوراق والدي أن مكاتبة بينهما قد ابتدأت في عام ١٩١٣ ، كانت تدور حول بعض المسائل العلمية . ونكب هذا الجزء من البلاد العربية عام ١٩٢٠ بالانتداب الفرنسي ، فكرهنا أو كدنا نكره كل ما له صلة بفرنسا ، فلم أسأل عنه ، ولم يخطر في بالي أن أتصل به بأي شكل من الأشكال . ومضت السنون ، وجلت فرنسا عن البلاد ، وأصبح الحكم للعقل وحده ، إلى أن كنت في باريس عام ١٩٥٨ ، فزرت هذا الرجل مع صديقي (جاك برك Jacques Bergue) استاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في الكوليج دوفرانس . ولقد دونت وقائع هذه الزيارة في حينها ، وسجلت ما أعقبها من اجتماعات ومباحثات فقلت :

كان أول من تتلمذ من الفرنجة على علامة العراق ومصلحه العظيم المرحوم محمود شكري الألوسي . لقيته مرات ، وكنت أجني من لقائي به في كل مرة فوائد ، عزت على الشبيه والنظير . كان أولها خلال شهر حزيران ١٩٥٨ . زرته في بيته ، مع الصديق الأستاذ (جاك برك) أستاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في الكوليج دوفرانس ، فاستقبلنا في غرفة امتدت فيها الكتب

---

(١) كان لويس ماسنيون رحمه الله من أقدم أعضاء مجمعنا المراسلين . وقد كلف أمين المجمع الأستاذ ظافراً القاسمي أحد أصدقائه أن يكتب بحثاً للمجلة عن ذكرياته وعن أقوال الأدباء والعلماء فيه فكتب هذا البحث .

من أرضها إلى سقفها ، ولم يترك فيها فراغاً للزائرين إلا أريكة صغيرة ، عليها (طراحتان) شرقيتان . بدأنا حديثنا بالفرنسية ، فتناول أول ما تناول قضيتي فلسطين والجزائر . وما كدنا نخوض في الحديث ، حتى امتدت يده إلى كتاب (أو كذا خيل إليّ) دفعه بين يديّ ، وهو يقول بالعربية : (موحرام ؟) قلت : ماذا ؟ قال : انظر ! وإذا الذي حسبته كتاباً مجلة تصدر في باريس باللغة الفرنسية ، اسمها (دراسات متوسطية Etudes Méditerraniennes) أي دراسات عن الدول المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط . ولم ألحظ بادئ الأمر ما يدعو للحلال والحرام في صدور مجلة هذا موضوعها . قلت : لم أفهم ماذا تعني يا سيدي الأستاذ . قال هذه مجلة يصدرها اليهود في باريس ، ظاهرها دراسات كما ترى عن اسبانية وفرنسة وإيطالية واليونان وسورية ولبنان ومصر وشمال أفريقية وتركية وغيرها من الدول الواقعة على هذه البحيرة اللاتينية ، ولكن الغرض الأصلي منها ، هو هذه الصفحات الثلاث عن إسرائيل . لقد احتجب اليهود وراء عشرين دولة ، باسم العلم ، لينفثوا سمومهم ، تحت ستاره . أليس حراماً أن لا توجد مجلة مقابلة للعالم العربي ؟ أليس حراماً أن يتمكنوا من استخدام كثير من العقول والأقلام لهذا الغرض ، متذرعين بالعلم ؟ لقد طلبوا إليّ أن أكتب في هذه المجلة فرددتهم رداً غير جميل . قال الأستاذ برك : لقد طلبوا إليّ كذلك ، ولكني امتنعت . وقد بقينا ساعة كاملة نتحدث ، ثم انفضت جلستنا لأن شيخ المستشرقين كان على موعد مع الكاتب الفرنسي الأشهر (فرنسوا مورياك) ، لبحث موضوع يتعلق بالجزائر .

قلت لنفسي وأنا أغادر داره والأسى يملؤها : ترى مَن من العرب علم بأمر هذه المجلة وسمومها ؟ وماذا أعددنا لمحاربتها ؟

وصل ماسنيون بدمشق في شباط عام ١٩٦٠ ، وتفضل فزارني في بيتي زيارة استغرقت أربع ساعات كاملات . قال فيما قال : كنت في القاهرة ، أحضر اجتماعات مجمع اللغة العربية ، وقد استدعاني محمد الخامس (رحمه الله) لزيارته

في قصر القبة ، بعد أن علم بوجودي فيها من الصحف . إن محمد الخامس صديقي . كنت الفرنسي الوحيد الذي زاره في معتقله بجزيرة مدغشقر . ذلك أني رأيت بطريق الكشف (كذا : فماسنيون صوفي معتقد متعبد) أنه سيفرج عنه بعد ستة أشهر . لقد لقيت صعوبات كثيرة حتى وصلت إليه ، ولكني وفقت ، وطمأنته عما رأيت . وأحمد الله أن ما رأيت قد تحقق فعلاً بعد ستة أشهر كاملات .

لقد آذاني الجند الفرنسيون في مدغشقر ، ولكني صبرت على أذاهم ، فالصوفي يجد في العذاب عذوبة . واني لأسعد الناس إذ أرى أن المغرب العربي قد استقل ، وأن محمداً الخامس قد أعيد إلى عرشه السليب . أما الجزائر ، فقد تجهل أني أصوم من أجلها يوماً في كل أسبوع ، تقرباً إلى الله في أن يعيد إليها السلام ، وفي أن يتمتع أهلها بحقهم في الحياة الحرة الكريمة . قلت : منذ متى تصوم يوماً في الأسبوع ؟ قال : منذ أن وقعت الحرب حتى اليوم .

هذا الذي لم تمنعه السابعة والسبعون من أن يكون في الصف الأول من المظاهرات التي أقيمت في مدينة باريس ، انتصاراً للجزائر .

ولقد وردتني منه رسالة مؤرخة في ٢٨ من تشرين الثاني ١٩٥٩ جاء فيها بعد ذكر قدومه إلى دمشق عام ١٩٢٠ ، وعودته إلى فرنسة في السنة نفسها ، ماترجمته :

« وحيث أني كنت من أنصار عقد معاهدة مع سورية ، فان حكومتي لم تعدني إليها إلا في عام ١٩٢٧ ، بسبب إعادة تنظيم المعهد الفرنسي ، والمفاوضات مع فوزي الغزي ورياض الصلح وابراهيم هنانو ، التي جرت في بيت عبد الله اليافي ، من أجل تسوية العلاقات الفرنسية والسورية . ما كنت أملك خلال هذه الفترة إلا القليل من الوقت للاهتمام بمخطوطات دور الكتب (الظاهرية وغيرها) . إن النص العربي الوحيد الذي أعطيته لمجلة المجمع العلمي العربي هو محاضرتي عن (ملتقى الأدبين) التي ألقيتها في كلية الحقوق بدمشق يوم ٢٩ من تشرين الثاني ١٩٣٠ » .

حاشية — لقد بقيت في دمشق بين ٢٥ — ٣٠ من تشرين الثاني أدرس أسباب مأساة ميسلون . ولكني خلال مروري بدمشق ، لم يكن قلبي يقوى على التحدث في الأدب إلا للجمهور ، بغية إعادة بعض الأمل إلى القلوب المحطمة . أما بين الخاصة ، فلم يكن باستطاعتي أن أعبر عن أعماق نفسي : ذلك لأن مأساة ميسلون مزقت قلبي ، كما قلت ذلك لهاشم الأتاسي ، الذي ذهبت لزيارته في حمص يوم ٣ من كانون الأول ١٩٢٠ ، حيث انسحب إليها موفور الكرامة . والله يحفظكم .

من العبد الخاضع لربه سبحانه

لويس ماسنيون

وذهبت إلى الجزائر في التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٩٦٢ ، وأنا أمني النفس بلقاء هذا الصديق ، في باريس ، بعد انتهاء الاحتفال بالعيد القومي ، الذي صفقت له قلوب جميع المسلمين والعرب ، في جميع الأقطار . وما كنت أدري أن اللقاء لم يعد ممكناً في هذه الدنيا الفانية ، حتى وصلت مدريد في السابع من تشرين الثاني ، ووقع في يدي عدد من جريدة (لوموند Le monde) وإذا بي أقرأ في الصفحة الأولى منها كلمة عن ماسنيون للعلامة (بلاشير) ، وكلمة أخرى لكاتب معروف اسمه (لاكوتور) ، فبلغ مني الأسف مبلغه ، وأيقنت أنه لم تبق بيني وبين هذا الرجل إلا ذكريات قلبي بها ضنين .

وخلال عودتي إلى باريس ، علمت أن ماسنيون قد توفي إلى رحمة الله في الحادي والثلاثين من تشرين الأول ، ونقل غداة وفاته إلى الشمال الغربي من فرنسة ، ودفن في مدينة اسمها (فيومارشه Vieux - Marche) كان يعتقد أن أهل الكهف وجدوا فيها ، وكان يقيم في كل سنة مهرجاناً يتلو فيه أحد القراء المسلمين سورة الكهف ، كما تقام الصلوات المسيحية . ولم يدر أحد بوفاته إلا في الخامس من تشرين الثاني ، فربما كانت تلك وصيته ، احترم أهله إرادته في تنفيذها .

وخلال مروري في باريس ، أقيمت صلاة على روحه ، دعيت لحضورها ، فلبيت ووجدت قرابة أربعمئة عالم ، من مختلف الأديان ، في حال من الخشوع ، ندر أن رأيت مثلها . كانت هذه الصلاة مثلاً رائعاً لتقديس الإيمان ، ولتكريم العلم ، وللوفاء للعلماء .

وفي نفس اليوم أصدرت مجلة (الآداب الفرنسية Les lèttres Françaises) عدداً خاصاً عنه ، كتب فيه علماء من الشرق والغرب ، بينهم أعضاء من المجمع العلمي السوفييتي ، وأساتذة وأدباء كثيرون من فرنسة .

وليست هذه الكلمة دراسة لماسنيون ، فليس ممكناً أن يدرس عالم تعددت آثاره ، كما تنوعت مجالاته ، في مثل هذا الوقت القصير . وإنما هي تحية لروحه ، لن أعدو فيها نقل ما كتب عنه عارفوه من أبناء جلدته وغيرهم ، ففيه إيضاح لنظرته إلى العالمين الإسلامي والعربي ، وكثير من الإنصاف للرجل الراحل .

قال برك Berque أستاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في الكوليج دوفرانس : قصرٌ لم تبق منه إلا الطلول ، في سهوب ما بين النهرين ، ونهر عظيم تحوّم فوقه أسراب الطيور ، وسجن متموج ، وربيع في الصحراء ، تلك هي الأرض التي كانت لماسنيون مكاناً للمطلق . فاذا ما وطئ أرض مصر أيام كرومر ، بعد أن روعتها مذبحة دنشواي ، وجد ماسنيون في ذلك كله مكاناً للنزعة الإنسانية .

ان الانتدابات والحمايات تأفل ، ويبزغ الاستقلال ، وماسنيون لا ينفي يتنبأ ويستبق ويبارك هذه التحولات الزمنية ، التي لم يكن يوليها من الشأن إلا بقدر ما تحمل من ثبات وسمو .

لقد أورثنا شهادة أراد أن تكون إسلامية مسيحية معاً ، شهادة الإيمان في وجه الكفران .

وقال بلاشير Blachere : كانت الانسانية والعلم عند ماسنيون متكاملين باشراقهما وغناهما ، فلم يطغ أحدهما على الآخر .

لقد كان سباقاً في إدراك أن العالم العربي لا يمكن أن يتطور إلا إذا

تحرر . لقد جرح بعنف عمل الحكومة ، والدور الذي لعبه (الجلاوى) ، وناضل ضد توسع حرب الجزائر ، وفي سبيل توقفها . لقد ساند حركات العالم الإسلامي في سبيل الحرية ، بمثالية يقينية ، بغية ضمان مشاركته في النزعات الإنسانية الحديثة . وفي هذا الموضوع ، قاد حملة شعواء على المسؤولين الفرنسيين الذين كانوا يريدون أن يحفظوا للغة الفرنسية تسلطها في الجزائر . قاد هذا النضال ضد الاستعمار دون هوادة ، على الرغم مما لحقه من تهديد واضطهاد .

وقال مورياك Mauriac عضو المجمع العلمي الفرنسي : لقد عرفنا أكثر من مثال عن عالم ، أو أستاذ متميز أخلص لقضية انسانية ، خصص لها أطيب أيام حياته . ولكن ندر أن رأينا عالماً كماسنيون أخصب الحبُّ العميق علمَه الغزير ، كما اغتنى هذا الحب من العلم ، الذي وجد فيه أعمق أسبابه . فمن من أتباع ماسنيون ورث عنه سر هذا التعبير ، الذي كان يرد الروح إلى الحرف الميت ؟

وقال غاستون ويت Wiet الأستاذ الفخري في الكوليج دوفرانس : لقد عرض ماسنيون في كتبه ومحاضراته المتعددة قضية الجزائر ، دون تعب أو ملال ، أمام الجمهور . كان بين الأوائل الذين بشروا بالاعتراف بالقومية الجزائرية ، وبحقها في الاستقلال ، وفي ضرورة مواجهة إقامة وضع لا غموض فيه . إن نواب مدغشقر الذين حكم عليهم بالاعدام مدينون لماسنيون بحياتهم لأنه وحده هو الذي تابع قضيتهم حتى وفق للعفو عنهم .

وقال بول فلامان Flamand ، كان هذا العالم المفتون بالعدالة يمارس احتجاجه في الاجتماعات في الطرقات . قلت له مرة : أنت أكثر المسلمين نصرانية ، ان لم تكن أكثر النصارى إسلاماً . وقد بدا لي أن هذا التعبير لم يسؤه . أن حرب الجزائر مزقت قلبه كلياً ، لأنه كان يرى فيها غرق جميع آماله . وعبثاً ردد التحذير بعد التحذير لسلطات العامة التي كانت تستشيره ، وقلما كانت تصغي إليه . كان يذهب عدة مرات في الأسبوع إلى ضواحي باريس ليعلم الجزائريين القراءة . لقد نظم مع (جماعة أصدقاء غاندي) عدة

مظاهرات سلمية صامتة ، قوامها الصوم والصلاة . وكانت في بعض الأحيان مظاهرات عامة ، كما وقع قبل سنين ، حيث التقطه الشرطة وحشروه في سيارة الأمن . . . .

وقال باتايون Bataillon مدير الكولج دوفرانس : كان مستمعو محاضراته من المسلمين إذ ينصتون إلى الشواهد العديدة الموثوقة التي كان يستند إليها في دراسة الحياة المعاصرة للشعوب الإسلامية ، يلمسون الحب الذي كان يتدفق وهو يبحث في عقيدتهم وتقاليدهم ، التي كانت يعرفها هذا المسيحي أعمق من معرفتهم لها ، كما كانوا يلمسون هذا الكمال في النطق بلغة القرآن والدفاع عنها . ويوم رأى أن حرباً صليبية ضد الإسلام شقت طريقها المدوي لتنال من تقاليد الاسلام ولغته ، وقف في وجهها وقال : إن عين رجل العلم ينبغي أن تكون بسيطة نقية .

وقال جارده Gardet : لقد علمنا ماسنيون أنه لا يمكن أن توجد دراسة موضوعية علمية حقيقية لثقافة أجنبية ، ما لم يرافقها حرص شريف حار على انصاف القيم الأصلية لهذه الثقافة ، وما لم يوجد جو من المودة الفكرية لتكون العدالة في مكانها .

وقال كلود كاهين Cahen : أستاذ التاريخ الإسلامي في السوربون : إن رجل الدين عند ماسنيون هو الرجل الكلي ، الذي يعمل ، ويناضل ، والذي يعيش مشتركاً مع الناس . إنه الرجل الذي يرى في كراسة روحاً ، والذي خلق كذلك من لحم وعظم . ولهذا ، ولهذه الشملة الصوفية التي تحييه ، لم يكن ما يدرسه ماسنيون روحاً محضاً ، ولكنه كان كذلك المظاهر المادية والاجتماعية للحياة الانسانية . . . ولئن كان هذا الرجل يبحث في الماضي ، فإنه نفسه هو الذي يبحث أيضاً في حياة هذا القرن ، حيث حارب الكذب والاضطهاد . . لقد كان فكره وبحثه في غدو ورواح دائمين بين الماضي والحاضر . .

هذه مقتطفات مما قيل عن الراحل الكبير الذي ترك أثراً عميقاً في الثقافتين الإسلامية والفرنسية . أما دراسة هذا الأثر فليس اليوم زمانه ، ولا بد أن يولى ما يستحق من العناية والاهتمام والاعجاب .

ظافر القاسمي

مراجعة

قرأت في الجزء الثالث من المجلد السابع والثلاثين من مجلة مجمعنا الزاهية نقداً علمياً لكتاب القومية الفصحى الدكتور عمر فروخ بقلم الأستاذ محمود الملاح استوقف نظري فيه كلامه على بيت امرئ القيس الشهير :

كأن أبانا في أفانين ودقه　　كبير أناس في بجاد مزمل

أو في عرانين وبله كما رواه الأستاذ . والأمر يتعلق بجر مزمل الذي جعله الأستاذ من قبيل الضرورة لملاءمة القافية وشبهه بما وقع للنابغة في داليته المعروفة من قوله :

زعم الغداف بأن رحلتنا غدا　　وبذاك خبرنا الغراب الأسود

أو زعم البوارح كما رواها الأستاذ . والأمر على ما يظهر فيه تفصيل .

فالمسألة الأولى ذكرها النحاة ، ومنهم سيبويه وخرجوا الجر فيها على وجه له حظ من النظر وهو المجاورة لبجاد ، ومثله ما روي من قول العرب « هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ » ومنه قول الأخطل :

جزى الله عني الأعورين ملامة　　وفروة ثفر الثورة المتضاجمِ

بجر المتضاجم على جوار الثورة . واشتهرت مسألة جر مزمل حتى ضرب الأدباء بها المثل فقال بعضهم :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا　　مضافاً لأرباب الصدور تصدّرا
وإياك أن ترضى بصحبة ناقص　　فتنحط قدراً من علاك وتُحقَرا
فرفع (أبو مَن) ثم خفض (مزمل)　　يبيّن قولي مُغريا ومُحذّرا

أشار إلى رفع الأب في (عرفت أبو من زيد) وخفض (مزمل) في مسألتنا .

وأما المسألة الثانية فهي من باب الإقواء أي اختلاف المجرى بكسر وضم ، وهو عيب من عيوب القافية كما قال الأستاذ ، وكان النابغة يقع فيه كثيراً وقد وقع له في هذه القصيدة مرتين ، في البيت المذكور ، وخرّجه بعضهم على أنه منسوب فقرأه (الأسوديّ) بالياء ، وفي بيت آخر منها حين يقول في وصف المتجردة :

سقط النصيفُ ولم ترد إسقاطَه فتناولته واتقتنا باليدِ
بمخضب رخص البنان كأنه عنمٌ يكاد من اللطافة يعقدُ

ومن الواضح أن هذا لا يصح فيه تخريج ولو على وجه ضعيف وبذلك تختلف هذه المسألة عن المسألة الأولى .

قالوا ودخل النابغة يثرب (المدينة المنورة) فغُنّي بشعره وتعمّد أن يكون الذي أقوى فيه ففطن لذلك ولم يعد .

والخلاصة أن مسألة جر منزل هي من واد غير الإقواء لكونها لها وجه ذكره عدد من النحاة على رأسهم صاحب الكتاب ولها شواهد بخلاف مسألة الإقواء فهي عيب من عيوب القافية لا مسامحة فيه .

وذكر الأستاذ الملاح في مقاله : هذا النحوي ابن آجروم وقال « إنه بربري من أقاصي بلاد المغرب بل لا نكاد ندري أين تقع آجروم ؟ » . وقد توهم حضرته أن آجروم بلدة ، وفي الحقيقة هو اسم بربري لجد مؤلف الآجرومية محمد بن داود بن آجروم الصنهاجي ومعناه بالعربية الفقير الصوفي ، وقد ذكر ذلك جلُّ شراح الآجرومية ولنا في ترجمته الحلقة العشرون من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، وفيها بينا مذهب الرجل النحوي وما كان لمقدمته من انتشار في العالم العربي وما كتب عليها من شروح وحواشٍ وغير ذلك .

وتحيتي لكل من الدكتور فروخ والأستاذ الملاح .

عبد الله كنون

المعجم الوسيط

يحق لمجمع اللغة العربية في القاهرة، أن يعتز بما وفق فيه من إصابة الأهداف التي قام من أجل تحقيقها، لقد عمل المجمع كثيراً في سبيل المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر، فإلى جانب المصطلحات العلمية والفنية والحضارية، التي وضعها أو أقرها، اتخذ الكثير من القواعد القياسية التي تحيي اللغة وتنميها، وتساعد على نقل الكثير من المعاني الجديدة إليها فتجاري بذلك التقدم العلمي والفني والحضاري الذي بلغته الأمم المتمدينة في العصر الحديث.

وقانون المجمع الذي صدر سنة ١٩٣٢، جعل من أهم أغراضه القيام بوضع معجم تاريخي للغة العربية، ولم يستطع المجمع حتى اليوم أن ينجز هذا المعجم، ولكنه شعر بالضرورة الملحة لوضع معجم حديث، سهل التناول، على نمط المعجمات الأجنبية الحديثة، مشتملاً على مصطلحات العلوم والفنون، فأقر سنة ١٩٤٠ العمل الجدي على وضع معجم وسيط، ينتفع به طلاب العلم، وييسر عليهم تحصيل اللغة، وها هي سنة ١٩٦٢ ما كادت تنتصف حتى أخرج المجمع للعالم العربي المعجم الذي كان طلاب العربية ومحبوها ينتظرونه بصبر فارغ، ونفوس متلهفة مشوقة، وها هو ذا المعجم الوسيط مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق صقيل في ١٠٨١ صفحة من الحجم الكبير قسمت على مجلدين، يشتملان على نحو من ٣٠ ألف مادة، وما يقرب من ستمائة صورة.

قامت بإخراج المعجم لجنة ألفها المجمع من أربعة من كبار أعضائه هم الأساتذة: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر،

ومحمد علي النجار ، وقد أشرف على طبعه الأستاذ عبد السلام هارون ، وقدمه للقراء الأمين العام لمجمع اللغة العربية الدكتور ابراهيم مدكور ، ذاكراً في تقديمه قضية المعجم مبيناً كيف كانت الإجراءات الإدارية والمالية تعوقه وتعطل إخراجه ، ثم أثنى الدكتور مدكور على اللجنة المكلفة بوضع المعجم قائلاً : « أما في المعاجم الحديث فقد طبقته اللجنة أحسن تطبيق ، فأحكمت الترتيب والتبويب ، وذللت الصعاب الصرفية والنحوية ، ويسرت الشرح ، وضبطت التعريف ، وصوّرت ما يحتاج توضيحه إلى تصوير ، واكتفت من الشواهد بما تدعو إليه الضرورة في غير ما غموض ولا تعقيد . وبوجه عام كتبت بلغة العصر وروحه ، فجاء المعجم دقيقاً في وضوح ، غزيراً في يسر ، يمت إلى الماضي بصلة وثيقة ، ويعبر عن الحاضر أصدق تعبير . وبرهنت على أن باب الاجتهاد مفتوح في اللغة ، كما هو مفتوح في الفقه والتشريع ، وأن العربية في آن واحد لغة قديمة وحديثة ، وقد استعادت في القرن العشرين حياة وحركة لم يؤلفا فيها منذ عدة قرون » .

وقدمت اللجنة عملها بمقدمة مركزة ، أجابت فيها عن تساؤل افترضت أن القارئ سيلقيه ، حين يتناول المعجم قائلاً : « هل كان قراء العربية في حاجة إليه وبين أيديهم من المعاجم القديم المطوّل ، والمتوسط والموجز ، والحديث المرتب والمصوّر ؟! »

وأجابت اللجنة عن تساؤلها قائلة : « إن وضع هذا المعجم كان عملاً لا بد منه ؛ لأن المعاجم الأخرى سواء منها القديم والحديث ، قد وقفت باللغة عند حدود معينة من المكان والزمان لا تتعداها ، فالحدود المكانية شبه جزيرة العرب ، والحدود الزمانية آخر المئة الثانية من الهجرة لعرب الأمصار ، وآخر المئة الرابعة لأعراب البوادي » .

ثم أخذت اللجنة في مقدمتها توضح منهجها في العمل وفي ترتيبها مواد المعجم، وكيف أنها استرشدت بما أقره مجلس مجمع اللغة العربية ومؤتمره من ألفاظ حضارية مستحدثة، أو مصطلحات جديدة، موضوعة أو منقولة، في مختلف العلوم والفنون، ومن تعريفات دقيقة واضحة للأشياء، وأخيراً كيف أنها سارت في عملها مستقلة بتبعته، وانتهت إلى شكر من أسهم معها في إعداد المعجم، ثم توجهت: « بالرجاء إلى رجال اللغة والأدب، أن يبعثوا إليها بما يستدركون عليها من نقص يلازم الإنسان؛ أو خطأ يفوت جهد الحريص، ليُثْبِت ما يصح منه في الطبعة الثانية ».

وقد كتبت هذه الملاحظات تلبية لرغبة اللجنة غيرَ مدعٍ بأني أحطت بجميع ما حواه المعجم من مواد، ولكني تصفحته ورجعت إليه في مسائل كثيرة، فإذا بي أقع على أمور تسترعي الانتباه فسجلت ما استوقف نظري منها لعل في تداركها فائدة في طبعة المعجم الوسيط التالية.

ولا بد لي قبل البدء بإيراد ما سجلته من ملاحظات، من تسجيل الشكر لأعضاء لجنة المعجم وجميع من شاركوا في وضعه وإخراجه، للجهد العظيم الذي بذلوه في عملهم، وإن كان جهدهم قد وُزِّع على مواد المعجم توزيعاً متفاوتاً من حيث مبلغ العناية بمختلف المواد، ومن هنا كان المجال الذي في حدوده وجدت ما أسجله، ولقد اجتمع في المعجم الوسيط، وهو أحدث معجم في العربية، «ما لم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا» : فمن قبول المعاني الحديثة لبعض الأفعال مثل : (بَرْزَ) و (تطوَّرَ) و (ركَّزَ)؛ أو لبعض الكلمات مثل : (الشخص) و (العائلة) و (الفنان) و (الميزانية)، ومن إجازة النسبة إلى الجمع في كلمات مثل : (أخلاقي) و (دُوَلي) و (أحيائي) و (وظائفي)، أو التركيب المزجي أو النحت في مثل (برمائي)

و (لا أخلاقي) و (تخترُبة) أي تحت التربة ، ومن إيراد كلمات محدثة مع تعريفاتها مثل (القومية) و (الاشتراكية) و (الشيوعية) و (الابتداعية) و (الاتباعية) ، إلى إثبات كلمات معربة حديثة أو قديمة مثل (تكتيك) و (بنكنوت) و (بدروم) و (بيرق) و (نوط) ، إلى ذكر كلمات كانت العربية في غنى عنها ، في نظرنا ، مثل : (القلاووظ) و (اسكري) و (الكبود) و (التنبل) وغيرها .

. . .

ولا شك أن اللجنة الموقرة استعانت لإخراج المعجم الوسيط بالمعجمات المعروفة ، فنقلت عن بعضها ، وكان بعض ما نقلته محتاجاً إلى إعادة النظر فيه ، على أن اللجنة أصبحت تتحمل تبعته لأنها لم تُثبت مع ما نقلته المصدر المنقول عنه ، إلا فيما أخذته من مجمع اللغة العربية ، ومما نُشر في مجلته وفي مجموعات مصطلحاته ، وإلا ما ذكرته من إشارة عابرة في المقدمة تقول فيها : (واستعانت اللجنة في شرحها للألفاظ بالنصوص وبالمعاجم التي يُعتمد عليها) .

وفي الملاحظات التي سأوردها ، لم أتبع ترتيب المعجم ، بل جعلتها طوائف بحسب موضوعاتها ، على أني سأتبعها بجدول للكلمات التي لا تنتسب إلى طائفة خاصة .

وفي طبع هذه الملاحظات في المجلة أذكر كلمة المعجم وتعريفها ، أو كلماته المتقاربة وتعريفاتها ، ثم أذكر تحتها ما بدا لي من ملاحظات عليها .

(يتبع) الدكتور عدنان الخطيب

بيان مشاريع المجمع العلمي العربي

خلال دورة عام ١٩٦٢/١٩٦٣ (١)

أنجز المجمع في الدورة الماضية لعام ١٩٦١/١٩٦٢ جميع مشاريعه التي كان تقرر انجازها في تلك الدورة ، عدا ثلاثة كتب تأخر إتمام طبعها لأسباب قاهرة ، وهي الآن في مراحلها الأخيرة .

المشاريع العلمية — طبع الكتب :

١ — الكتب الثلاثة التي أحيلت من الدورة السابقة إلى هذه الدورة لاتمام طبعها .

آ — تاريخ دمشق لابن عساكر : المجلدة التاسعة بتحقيق الأستاذ محمد احمد دهمان .

ب — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب (الجزء الثالث — قسم شعراء الحجاز واليمن) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

ج — أخبار الوزيرين لأبي حيان التوحيدي : بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

٢ — الكتب التي أنجز المجمع العلمي طبعها في العطلة الصيفية :

آ — معجم المصطلحات الجراحية بالانكليزية والفرنسية والعربية : بقلم الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي .

ب — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني — القسم الثاني) : وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

(١) ألقاه الأستاذ جعفر الحسني أمين المجمع العلمي العربي في جلسة مجلس المجمع العلمي المنعقدة يوم ٢٥/١٠/١٩٦٢ .

ج — شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها للأنباري : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

د — مختصر من الكلام في الفرق بين من اسم أبيه سلام وسلّام لمسر الجواني : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

هـ — كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

٣ — الكتب المقرر طبعها في هذه الدورة :

آ — حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

ب — منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

ج — وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع لابن دريد الأزدي : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

د — كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

هـ — الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره لسليم الجندي : (الجزء الثاني) بتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم .

و — ديوان فتيان الشاغوري (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ أنور العطار .

ز — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الفقه الشافعي) وضعه الأستاذ عبد الغني الدقر .

٤ — الكتب التي تحقق :

آ — كتاب الحيدة للكناني : بتحقيق الأستاذ الدكتور جميل صليبا .

ب — ديوان النقيب : بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري ، ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي .

ج — ما نبنيه على وزن فعال للصاغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

د — معجم الفن والآثار : وضعه الاستاذ الأمير يحيى الشهابي .

٥ — مجلة المجمع العلمي العربي :

انتهى في النصف الأول من هذه الدورة المجلد (٣٧) من المجلة وسنواصل خلالها إصدار المجلد (٣٨) وقد صدر الجزء الثاني من فهرس المجلة العام من المجلد الحادي عشر إلى المجلد عشرين والهمة مبذولة لتهيئة مواد الجزء الثالث من هذا الفهرس .

٦ — الشواغر :

يوجد الآن في المجمع ثلاثة مقاعد شاغرة للاعضاء العاملين شغر اثنان منها بوفاة المرحومين الدكتور مرشد خاطر والأستاذ فارس الخوري وشغر المقعد الثالث بإسقاط العضوية عن الدكتور منير العجلاني . وللمجلس البت في ملء الشواغر الثلاثة أو بعضها .

ومن الشواغر أيضاً منصب نيابة الرئاسة فمن المصلحة ملء هذا المنصب بعد صدور المرسوم التشريعي للمجمع العلمي العربي .

٧ — المشاريع العمرانية :

أقرت موازنة المجمع لعام ١٩٦٢/١٩٦٣ ورصد فيها مبلغ (١٤٠٠٠٠) ل س للاستملاك والانشاء والتدفئة المركزية للمجمع ودار الكتب الظاهرية . وقد باشر المجمع المعاملة اللازمة لاستملاك مقاسم العقارين المجاورين للمكتبة . وهي المرحلة الأولى

من الخطة الرامية إلى عزل دار الكتب عزلاً تاماً عن جميع الأبنية المجاورة لصيانتها ودفع خطر الحريق عنها وسيعمل المجمع بعد أن يتم هذا الاستملاك على توسيع غرف المطالعة وتحسين المستودعات وإيجاد غرف كافية للموظفين ويكون المجمع قد حقق بذلك هدفاً سعى إليه طويلاً .

٨ — دار الكتب الظاهرية :

ستواصل مديرية دار الكتب الظاهرية تصوير أكبر عدد من المخطوطات في أفلام صغيرة ونقلها مكبرة على ورق لكي تستعمل للمطالعة والمراجعة بدلاً من الأصل ، حرصاً على سلامة المخطوطات .

وستواصل دار الكتب بتهيئة فهارس لبقية المخطوطات ويؤمل أن يصدر بهذه الدورة جزء ثالث لبعض العلوم التي ليس لها فهارس .

٩ — الخاتمة :

ونأمل في الختام أن تكون هذه الدورة أخصب أنتاجاً من الدورة الماضية ، وأن يتمكن المجمع فيها من تحقيق جميع مشاريعه ففي تحقيقها برهان على مدى نشاطه ونمو أعماله .

دمشق في ٢٥/١٠/١٩٦٢ .

الجزء الثاني | المجلد الثامن والثلاثون

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان « ابريل » سنة ١٩٦٣ م | ٨ ذي القعدة سنة ١٣٨٢ هـ

الفكر الفلسفي واللغة العربية (١)

لقد كفانا الباحثون الاختصاصيون من علماء النفس وعلماء الاشتقاق مؤونة البحث عن علاقة الفكر باللغة وانتهوا إلى تقرير صلاتٍ عضويةٍ ملتحمة بين التفكير الذي هو طريقة تصورنا للوجود في جملته — بما في ذلك تصور الذات — وبين اللسان على اعتباره أداةً لنقل ذلك التصور وإبلاغه للآخرين . ولهذا جاز ، من حيث المبدأ ، ان يدور بحث عن طبيعة العلاقة بين فكرٍ ما كالفكر الفلسفي ولغةٍ ما كاللغة العربية . ولذلك أثار بعضهم مشكلة من النوع التالي : هل اللغة العربية أداة ميسورة مطواعة للتفكير الفلسفي ؟ وإلى أي حدٍ يمكن اعتبار هذه الأداة كاملة بالقياس إلى اللغات الأخرى ؟ وأبادر فأعترف لكم ،

(١) محاضرة عامة ألقيت على مدرج كلية الآداب الكبير بجامعة الرباط مساء الاثنين العاشر من كانون الأول سنة ١٩٦٢ .

أيها السادة ، أنه قد يبدو لبعضكم أن من باب المفارقة العجيبة إطلاق لفظ « مشكلة » على مثل هذا التساؤل ، وأنتم على حق في هذا العجب لأنكم تعلمون مبلغ إيمان العرب أجمعين باتساع هذه اللغة الشريفة التي شاء لها شاعر النيل حافظ إبراهيم أن تنشد :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظات

وناهيكم بها سمة تروعنا ، نحن الناطقين بالضاد ، وتملأ أذهاننا وقلوبنا وأرواحنا إعجاباً وفتنة وسحراً . بيد أن الأمة العربية بالبداهة ليست وحيدة في هذا الكون ، وهناك إلى جانبها أمم أخرى ذات شأن لا تشعر بأي « مركب نقص » تجاهنا رغم أننا نطويها جميعاً تحت لفظ « الأعاجم » . بل إن من هذه الأمم مجموعة لا يستهان بها تمضي إلى أبعد من ذلك فتنفس علينا ملكة الإفصاح وحسن التعبير . ومنها من يجادل في قابلية بياننا الصريح لأداء الفكر الذي يرقى عن أغراض الحياة الدنيا إلى سماء التجريد زاعماً أن العلم يدلل على ذلك . وإذا كانت الفلسفة أرقى أشكال التفكير المجرد كما هو معلوم (اذكروا كيف كان أريستوفان يمثل سقراط في محفة معلقة بين السماء والأرض) وإذا صح قول جان سكوت اريجين أنْ ما من أحد يلج ملكوت السموات إلا من باب الفلسفة ، فمعنى ما تقدم أننا عاجزون عن الرقي إلى أجواء التفكير الجدي والنظر العقلي ، وأننا — في تلك الميادين الرفيعة — مقضيٌّ علينا أن نظل ، كالطيور زغب الحواصل ، قاصرين مقصّرين . وحسبكم من تأكيد كهذا يرسل باسم العلم أن مآله إلى سُبَّة دائمة على وجه الدهر تلحق بأمة تعتبر نفسها خير أمة أخرجت للناس . ولو لم يكن من خطر هذه الوصمة إلا أنها تُشكك المرء بقيمة ذاته ، فضلاً عن تشكيك الآخرين بمثل تلك القيمة لكفى بذلك حافزاً إلى نخلها وتمحيصها ورجع البصر فيها كرتين . وإذن ،

فنحن نحب في هذه المحاضرة أن نعالج هذه المشكلة متدبّرين وجوه القول فيها ، عارضين عليكم حجج أصحابها بصورةٍ موضوعية ، ثم معترضين على ما يكون فيها من مواطن الضعف لا مسوقين بفكرةٍ سابقةٍ ولا صادرين عن غرورٍ واهم أو عصبيةٍ عمياء ، وإنما نمارس في هذا عملية النقد بالمعنى المتزّه عن الغرض الذي كان البدوي الأول أسرع إلى استعماله يوم قال في ناقته :

تنفي يداها الحصا في كل هاجرةٍ نفي الدراهم تنقادَ الصياريفِ

إلا أن هذه العموميات ممعنة في التبسيط ، والمشكلة أعقد مما نظن ، فهي محتاجة إلى جهد تحليلي قد يؤول إلى عكس ما يتبادر إلى الذهن — باديْ الرأي — من أن اللغة مرآة الفكر ، فلنثرْ مصباحنا قليلاً قبل الدخول في جوف الموضوع ، ولنضع الصورة في إطارها العام .

ولنبتدئْ فنقرر أنه لم يعد يجادل أحد اليوم في معضلةٍ طالما شغلت الباحثين ، وهي التساؤل عن اللغة أهي وحي نُزّل كاملاً على قلوب طائفةٍ من بني آدم ولا يدَ لهم في تبديل خَلقه ، أم هي مجرد اصطلاح اتفق عليه البشر اتفاقاً بصورةٍ من الصور . وقديماً خاض الإمام السيوطي صاحب المزهر في هذه المسألة بالتطويل وعرض لآراء من يقولون إنها « توقيف » متخذين دليلاً من قوله تعالى : « وعلّم آدم الأسماء كلها » ، ثم بيّن حجج مَنْ جزموا بأنها « وضع » و « تواطؤ » . كما أن مفكري العصور الحديثة لم ينتهم الجدل حول هذا الشأن . ومن أواخر أصحاب النظرة الأولى التي تجعل اللغات ضروباً من السجايا الغريزية موهوبةً من تلقاء الفطرة البيولوجية جوزيف دوميستر و دوبونالد ، ومن الذين جعلوها غريزةً عقلية رونان و تين . إلا أن اتجاه العلم البسيكولوجي والسوسيولوجي الحاضر قائم على التسليم بأنها وضع اجتماعي لا مجال للشك فيه .

وعلى الرغم من أن تقرير هذا الأمر ينفي كون اللغة ظاهرةً « حيوية »

تتفاوت بتفاوت العروق وتستلزم تثبتاً لهذا ان تطورها راجع إلى قوانين خارجة عن جبلة البشر الطبيعية وحتى عن إرادتهم الاعتباطية ، فإن مما لا جدال فيه أيضاً أن اللغة لا تقوم إلا في الأذهان وأن ذلك التطور لا معنى له إلا إذا تم في أفهام تتفاعل ديناميكياً مع ما تحمل إليها ، فمن هنا ، كانت للمعضلة جانب نفسي يجب أن يؤخذ في الاعتبار ؛ ولا بد من إدخال عوامل تصورية ذاتية إلى جانب عوامل التطور الخارجية الموضوعية . وهذه المسلمة هي ما اعتمده رجل مثل السيد ڤاندرييس عميد كلية آداب باريز السابق ، وهو من أئمة علم الاشتقاق في كتابه الشهير (Le langage) .

ذهاباً من هذه النقطة ، خاض العلماء في طبيعة اللغة وصلتها بالتفكير ، ولاحظوا أن اللغة إنما هي تعبير رمزي عن التأثرات الداخلية للكائن الحي . فالانفعالات المختلفة التي تعتلج في صدور الأحياء لا تلبث في مبدأ أمرها أن تتلبس سحنة ظاهرة تتجلى بالملامح لكي تفصح عن ذاتها للآخرين . وما ائتلاق الحدق ، وانتفاخ الأوداج وتحريق الأرم وجلجلة الصوت إلا آيات عفوية أولية بها يتميز الحيوان من الغيظ . لكنه منذ يتم للكائن الذكي مستوى عقلي مرتفع من شأنه القدرة على التحكم الإرادي بالصوت جاعلاً إياه إشارة على غرض من الأغراض الباطنة ، أي عندما تتوفر للفرد ملكة الربط بين اللفظ والمعنى يصطنع النطق المفيد أو لغة الخطاب سبيلاً للإبانة عن ذات نفسه . نعم إن هناك أحوالاً من التفكير أشار العلم البسيكولوجي إلى استحالة تلبسها بثوب البيان الكلامي وهذا ما أشار إليه المتنبي منذ ألف سنة في بيته الخالد :

رب ما لا يعبر اللفظ عنه والذي يضمر الفؤاد اعتقاده

ولكن الحال السوية والعامة إنما هي اتخاذ القول وسيلة للإفادة عن المشاعر ، وإن يكن من الواجب التحفظ على هذا الإطلاق بالصيغة التي أجملت في بيت الحطيئة على نحو عبقري :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

كيف كان الأمر فإن الألسنة تظل الأدوات الوحيدة لإبلاغ المقاصد؛ وإن شئتم فقولوا إنها ضروب من « التكنيك » نستعين بها على الخروج من ذواتنا والنفاذ إلى الآخرين . وهي ، ككل ضروب التكنيك قيمتها متوقفة على درجة صلاحها للوصول إلى الغرض الذي ابتُغيت من أجله . وعلى مقدار حظها من التطور (الذي هو مرتبط ببلغ مرونتها وقابليتها للتكيّف) يكون نفعها وجدوها ومردودها . فاللسان المتطور إنما هو ذلك الذي قدّم للفكر من بين جميع المخطَّطات و « السيماوات » الصوتية الممكنة خيرها للترجمة عن الدقائق الخفية التي تدور في خلده ؛ هو ذلك الذي وفّر لصاحبه بما وضعه في يده من آلات التحليل قدرةً على تمييز مفاصل الفكر تمييزاً واضحاً بيّناً ؛ هو ذلك الذي وُفّق لاختراع قوالب في التعبير تنصَبُّ فيها المعاني بيُسر وسلامة ، ولكن دون أن يورثها القالب من جرّاء صلادته تحجراً لا سبيل معه إلى نموّ حيّ ؛ وبعبارة أبسط هو ذلك الذي تجاوب مع التفكير في حركته الموّارة فلم يعوّق مجرى تلك الحركة بل أعانها على التقدّم المطّرد .

ولعلّ هذه الخصلة التي أتينا على بيانها هي التي دعت إلى قيام علم اللغات المقارن لتتضح الخصائص المميزة لكل لغة من اللغات فتتجلّى بذلك خصائص فكر أصحابها ، وعندها يحصل التساؤل بصورة طبيعية : أيّ الألسنة أدّى دوره خير أداء ؟ وأيها أحقُّ أن يصطنع لكونه أدنى إلى المثل الأعلى وأشدّها تكاملاً إن لم يبلغ مرحلة الكمال ؟

والواقع أن قد أُجريت بالفعل أبحاث مستفيضة في فقه الألسنة (في مظهريها السيمانتيكي والمورفولوجي) واستندت هذه الأبحاث على دراسة المعاجم من جهة ، وعلى دراسة الآجرّوميات من جهة أخرى . واهتُدي فيها إلى حقائقَ ثمينةٍ بالنسبة

إلى أكثر اللغات . ولست بحاجة إلى أن أشير إلى الجهد المنقطع النظير الذي بذله علماء العربية الأقدمون في هذا الميدان ؛ وإن كتباً كخصائص ابن جني و « مجمل » ابن فارس و « مزهر » السيوطي هي من الكنوز النادرة التي لا تقل في شأنها بالنسبة للغتنا عن شأن كتاب ككتاب برونو الشهير « الفكر واللغة » [١] بالنسبة للسان الفرنسي . إلا أن هذه الدراسات على جلالة قدرها أشبه بأن تكون « مونوغرافيات » أو تحاليل مستقلة للغتر بعينها . وليس يقوم علم اللغات المقارن إلا إذا كانت هذه التحاليل استنفادية تستغرق لغات الأرض بحذافيرها فلا تدع منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها واستوفتها دون تفريط في جانب من الجوانب ليمكن بعد ذلك قيام « تركيب » سليم بالمعنى العلمي الصحيح . وعلى الرغم من أن تركيباً علمياً كهذا لمّا يتوصّلْ إليه ، فإن المحاولات الجدّية التي باشرها أصحاب فقه اللغات المقارن أسفرت عن بعض الحقائق الخطيرة . ومن هذه الحقائق حقيقة أحب أن أشير إليها بصورة خاصة نظراً لأهميتها بالنسبة للموضوع الذي نعالجه ، وهي عدم التوازي بين المنطق والآجرومية . أي أن نظام الفكر وقواعد العبارة غير متلازمين ولا متساوقين . ولذلك استوى من حيث القيمة تقديم الفعل على الفاعل في بعض اللغات وتأخيره عنه في بعضها الآخر ، على الرغم من قيام ترتيب منطقي بينها من حيث الأصل . وبتعبير آخر ، إن « مقولات » المنطق (وهي الملاقات الصورية المختلفة التي يعتبرها الفلاسفة سائدةً للتفكير : كالكيف والكم والجوهر والعرض الخ ..) لا تطابق « مقولات » النحو وهي أجناسه الكبرى إن صحّ التعبير (كالاسم والفعل والحرف والتذكير والتأنيث والبناء والصرف والإفراد والتعديد واللزوم والتعدية وهلمجرا) فهناك — من جهة — لغات تتفاوت في عدد الصور النحوية

---

(١) Brunot. La pensée et la langue

زيادةً ونقصاً ، والتثنية التي عندنا بالعربية لا وجود لها بالفرنسية . كما أن في بعض اللغات مدلولاتٍ لا جنس لها (شأنها كشأن الملائكة) أي أن أرباب تلك اللغات يزيدون على ما عندنا شيئاً « حيادياً » لا ندخله نحن في تأنيث ولا تذكير . ومن جهة ثانية ، ليس لبعض أنحاء التفكير صور نحوية إلا في بعض اللغات فقط . ولئن كانت أكثر اللغات متسعةً للمقولات التقليدية (كالعشر الشهيرة عند أرسطو) فما أبعد مقولات ذهنٍ كذهن « كانط » أن تجد لها كفاءً في سواء اللغات المتطورة العريقة في المدنية بَلْهَ الابتدائية .

إن لهذه الملاحظة في نظرنا لأهمية ممتازة بصدد ما نحن آخذون فيه . ذلك أنه لو صحّ بمعنى الكلمة الحرفي أن اللغة مرآة التفكير لعكست آجروميات لغاتِ المتمدنين صورةَ منطقهم السليم . والحال أن أهل تلك اللغات الراقية يشاركون غيرهم من أهل اللغات الموهومِ بها التقهقر « لا منطقية » نحوهم على الأقل . وإذن فقد بطل الزعم أن الألسنة مرايا الأفكار فيها ينعكس ظلها وشكلها وهيئتها بل شخصيتها الصحيحة حتى لكأن الناظر إلى التمثال والصورة قد شاهد عين الذات في أصالتها الأولية . ويترتب على هذا — وهنا بيت القصيد — القيمة النسبية فقط التي يجب أن نوليها لضربٍ من الأبحاث ناجم عن تلك النظرات المبسطة : ذلك هو أمر بسيكولوجيا الشعوب المستندة فيما تستند إلى اللغويات المقارنة . إن بعض علماء اللغات المغرمين بالكشوف الطريفة قالوا بإمكان قيام سيكولوجيا « فرقية » لشعب من الشعوب بالاعتماد على طرائقِ تعبيره اللغوية والتغييرات اللاحقة بمدلولات ألفاظه . ونقطة الانطلاق في هذا النهج إنما هو الافتراض بأن اللغة من صنع العقل الجماعي فلا بد أن تكون مستودعاً يستقر فيه كل ما نشأ عن هذا العقل من آثار . ومن أمثلة ذلك انصرافهم إلى تفحص اللغات غنىً وفقراً من حيث التراث اللفظي الذي يدلُّ

على تنظيم بدوي أو حضري والنهوضُ به دليلاً على عقلية غريزية معينة . فإذا اتفق للإنكليزية أن كانت غنيةً بالألفاظ الاقتصادية ، زعم الزاعمون أن أهلها « منطورون » على التجارة ، أو اتفق لليونانية رصيد موفور من الألفاظ المجردة وللعبرانية حصيلة لا بأس بها من الألفاظ الدينية قال القائلون : لأمرٍ ما كانت الفلسفة في يونان والنبوءات في بني إسرائيل ! لا جرم أن النقاد أجازوا مباشرةً مثلِ هذا البحث إلى حدٍ ما من حيث أن هناك تلويناتٍ خاصةً نفسيةً واجتماعية تُفصح عنها دراسة خصائصِ لغةِ قوم من الأقوام ؛ ولكنهم أَبَوْا أن يُبقَرُوا (وهذا موقف ڤاندريس [1] بأن تكون معياراً يمايزون به العقلية القومية اعرق من العروق . ولئن طاب لنا مثلاً أن نستشفَّ من وراء إطلاق أسماء الحيوانات على الأشخاص عند الألمان أو الفرنسيين ميلاً نفسياً عند هؤلاء وأولئك فنتخذ منه شاهداً بحسب الأحوال على عقليتهم المتميزة بالتهكم أو المداعبة أو الاحتقار أو الشتيمة ، فإنه مما لا يجوز بحال من الأحوال أن نتخذه سبيلاً نسقياً إلى بسيكولوجيا عرقية كتلك التي باشرها إرنست رونان (Renan) بحق الساميين — والعرب جزء منهم — والتي سنتناولها بشيء من التفصيل . ولكن قبل أن نمضي لشأننا نحب أن نفتح معترضةً تاريخية فنشير إلى أن القضية ليست جديدةً علينا ، نحن العرب ، وأن تاريخنا الأدبي قد سجل منذ القديم آثار المقارنة بين العرب وغيرهم من الأقوام من زاوية اللون المميز للتفكير أو الهيئة التي تبدو بها على الألسنة ثمار القرائح . ومن أمتع ما في هذا الباب كلام للشهرستاني من رجال القرن السادس الهجري (الثاني عشر م .) فقد قال في الملل والنحل [2] : « من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة ، وأعطى

(١) راجع ص ٢٤٥ Vendryes. *Le langage.*

(٢) راجع طبعة ليبزغ ص ٣ . وكذلك مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية (الطبعة الثانية) ص ٣٣ .

أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأنفس التي تدلّ عليها الألوان والألسن. ومنهم من قسمهم بحسب الأقطار الأربعة التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال، ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع. ومنهم من قسمهم بحسب الأمم فقال: كبار الأمم أربعة: العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين أمةٍ وأمة فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية. والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات واستعمال الأمور الجسمانية» وسواء أُحمل هذا النص — كما فعل أحمد أمين في فجر الإسلام (ص ٤٩) — على محل الشبه بالرأي الذي قرره بعض المستشرقين من أن «طبيعة العقل العربي لا تنظر إلى الأشياء نظرةً عامة شاملة» أم لوحظ فيه — بمثل براعة مصطفى عبد الرازق — استعداد العرب وميلهم إلى «الأحكام الكلية والأمور العقلية والمجردات» ونزوعهم إلى «الروحانيات»، فإن فيه التفاتاً إلى قيام رابطةٍ من شأنها أن تتميز بالدقة والإحكام بين تفكير العرب ومظهر هذا التفكير. وقد سبق لصاعد الأندلسي (المتوفى قبل الشهرستاني بزهاء بضعة عقود من السنوات) أن تحدث بهذا المعنى في طبقات الأمم [1] فقال عن العرب: «وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عزّ شيئاً منه، ولاهيّأ طباعهم للعناية به. ولا أعلم أحداً من صميم العرب شُهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبا محمد الحسن الهمداني». هذا، ولا ننسَ أن ننبه في هذا المقام على موقف ابن خلدون حول المقارنة التي نحن

(١) ص ٤٥ (طبعة بيروت).

بصددها ، ذلك الموقف الذي ربما رُمي بالشعوبية من أجله – ولكن ظلماً وبهتاناً – . فالمعروف أن الرجل خاض في انصراف العرب عن الفلسفة والعلوم العقلية . ولكن التحليل الدقيق الذي تجلّت به نظرية مفكرنا العبقري الفذّ إنما يستند إلى الشرائط الاجتماعية التي أحاطت بالعرب من جرّاء « أحوال السذاجة والبداوة » ثم مشاغل الرياسة و « القيام بالملك » و « والأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع » [١] أكثر مما يعتمد على اعتبارات عرقية راجعة إلى الجبلّة الأصلية .... ولعلّ في وسعنا أن نصل بين كل دعوى من هذا القبيل وما كان جرى على قلم الجاحظ في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٣/١٢) فقد قرر أبو عثمان صادراً ولا شك عن أسلم قلبٍ وأطيب نية « أن كل كلام للفرس وكل معنىً للعجم فإنما هو عن طول فكرة ، وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثاني علم الأول ، وزيادة الثالث في علم الثاني ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم . وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام » .

بعد هذا الاستطراد التاريخي الذي لجأنا إليه ، نرتدّ إلى صلب الموضوع لنستعرض رأياً خطيراً لا يزال يتمتع بالأهمية حتى يومنا هذا ؛ بل لعل أهميته اليوم أشد خطراً مما كانت عليه أيّ يوم .

منذ قرن من الزمان كتب المستشرق الفرنسي الكبير أرنست رونان كتاباً اسمه (مترجماً للعربية) « تاريخ عام ونظم مقارن للغات السامية » . ولقد طارت شهرة هذا الكتاب وأصبحت مادته زاداً يطعمه كلُّ من تناول أمتنا ولساتها برأيه ولسانه . ومحصّل ما انتهى إليه من مذهبٍ في أمرنا يقوم على اكتشاف دعوىً واحدة كانت له بمثابة المفتاح يفتح به أبواب التعليل جميعاً

(١) ص ٥٤٠ (طبعة بولاق) .

ألا وهي دعوى «الوحدانية» التي هي آية السذاجة والبساطة في العقل السامي. الساميون موحّدون بالطبيعة، والتوحيد من شأنه البساطة والسذاجة فعلى ذلك تخريج كل الاستنباطات التي ولدها بنبوغه وطول باعه في الفيلولوجيا. ومن ذلك أن الساميين لا يمكن تعريفهم إلا بالسلب: ليس لهم — والعرب أصفى عناصرهم — لا علم، ولا فلسفة، ولا شعور بالشُّوَيْئات، ولا خيال خلاّق، ولا فنون تشكيلية، ولا آداب ملاحم، ولا أساطير تُبنى على التصور، ولا سياسة معقدة، ولا تنظيم مدني ولا عسكري، ولا أخلاق موضوعية. شعرهم رتيب وذاتي، وفكرهم ينقصه التطلع والمتناقضات لا تفعل فيه: ترى العربي أمام الروايات العجيبة والمشاهد المذهلة خلواً من كل تفكير مكتفياً أن يقول لك: إن الله على كل شيء قدير! كما أنه في حالات الشك بين المذاهب المتناقضة، يفرّ من حيرته بقوله: والله أعلم... ومن غير الوارد أن تحتجّ للعرب بما لديهم من فلسفة؛ إنما هي تلفيقات منتزعة من الاغريق كتبت بالعربية، وليس لها أصل ولا «جذر» في شبه جزيرة العرب؛ لأن العرب غير قادرين على شيء من التعقيد والتركيب؛ فبدلاً من اعتبارها نتاجاً طبيعياً لعقل ساميّ، أولى بالمرء أن يعتبرها بمثابة ارتكاس على الاسلام واجهته به عبقريةُ الفرس الهندو ـ أوروبية [1].

ولقد مضى رونان إلى اللغات يستمدّ منها تأييد هذه الدعوى فلاحظ أن اللغات الآرية هي لغات التجريد والميتافيزياء، على حين أن اللغات السامية لغات الواقعية والحسّ. وهذا نموذج من كلامه: «إن اللغات الآرية تنزع قبل كل شيء إلى المثالية [...] وذلك بمرونتها الرائعة ووجوه إعرابها المختلفة،

---

(١) راجع الفصل الأول من كتابه (الطبعة الثالثة):

E. Renan, *Histoire générale et système comparée des langues sémitiques*

وأدوات ربطها الدقيقة ، وكلماتها المركبة ، وعلى الأخص ، لسرّها العجيب فيما يعرف عند اللغويين بـ « القلب » (Inversion) تلك الطريقة التي تتيح الاحتفاظ بنظام الأفكار الطبيعي دون إضرار بالعلاقات النحوية . أما إذا تأملنا اللغات السامية ، فسرعان ما يسوغ لنا الظن بأن الإحساس وحده ساد أوائل التفكير البشري ، وأن اللسان ما كان — باديَ الرأي — إلا انعكاساً للعالم الخارجي . ولو استعرضنا سلسلة الجذور السامية ، لصعب علينا أن نجد فيها ما يخلو من الابتداء بمعنى ماديّ يُنتقل منه فيما بعد إلى الأمور العقلية بوسائط تتفاوت في درجتها المباشرة زيادة ونقصا »[1] . ثم يسرد بضعة أمثلة عبرية يؤخذ منها أنه للإبانة عن غرض نفسي لا بد من اللجوء إلى مدلولات تتّسمُ بسِماء الحوادث الفيزيولوجية . فالغضب يُلحظ فيه التّنَفّسُ الحار والغليان ، واليأس انحلال القلب ، والهلع انخلاع الكُلى ، والكبرياء ارتفاع الرأس . ويجد مثل هذا في العربية فيأتي بمثالين : « غفر » للمسامحة — وهو ما اقتضى تصوّر طلاء يمحو الذنوب — و « فرض » لتقرير أمر من الأمور — وهو ما يلحظ فيه « حزّ » و « قطع » قطعاً مادياً . وينتهي بعد ذلك إلى تقرير أن « ما يميز أسرة اللغات السامية هو أنها لا تزال تحتفظ احتفاظاً دائماً بالاتحاد المبدئي بين الإحساس والفكرة . . وبالاختصار ، لم تتمّ في تلك اللغات عملية التجريد المثالي (Idéalisation) على نحو كامل ، الأمر الذي تُشتمّ منه كما يرى رائحة « طفولة التفكير البشري »[2] .

وكتاب رونان مشحون بالأحكام العامة التي هي من هذا القبيل . فهو يؤكد مثلاً أن اللغات الآرية لغات « تركيبية » على حين أن السامية

---

(١) ص ٢٢ من المصدر نفسه .

(٢) ص ٢٤ : « L'enfance de l'esprit humain »

« تحليلية » ، وأن العربية على رغم غناها من حيث المادة وأن فيها على ما أحصاه دوهامَّر خمسة آلاف وسبعمائة وأربعة وأربعين اسماً للجمل ، لا تقاس في جانب اللغات الهندية الأوروبية من حيث الضبط والدقة ؛ وأن أساليب البيان العربي على سعة جوانبها تتصف بالجفوة الرتيبة وبالتنطع (١) ؛ وأن المرء إذ يتأمل كتّاب العرب في مادتهم وطريقتهم من الهند وخراسان إلى إسبانيا ومراكش ليُداخله الشعور أنه أمام ثقافة متجانسة « صُنعيةٍ وعليمة » (٢) [ولكن بالمعنى الرديء] .

هكذا نجد أن الأمر آل برونان إلى إيصاد باب التفكير الفلسفي في وجه أهل هذه اللغة لا من جهة أن هذا التفكير غير مستساغ بالنسبة لأذهان طائفةٍ منهم ولا من جهة أنه لم يتهيأ لهم في عهد من العهود لأسباب خارجة عن إرادتهم بفعل العقائد الدينية مثلاً أو السلطة الزمنية بل من تلقاء علةٍ أزلية سرمدية ضُربت علينا في أصل ذكائنا وما رُكّب عليه عقلنا من فطرةٍ ترتبت عليها طريقتنا في رواية الأمور . وهذه العلة لا يُرجى منها شفاء (كالخطيئة الأصلية لزمنا وزرها إلى يوم القيامة مع جميع الساميين) .

ونحن لا ندعي أننا أوتينا المعرفة العميقة التي تميز بها هذا المستشرق النحرير ولا سعة إحاطته : فقد كان علاّمةً فهّامة من الطراز الأول ، استوعب فنون الاشتقاق في عصره ، وأبعد النظر في دراسات الفيلولوجيا المقارنة التي باشرها فطاحل الألمان أمثال إيوالد ، ولاسّن ، وشبيغل ، وغيرهم ، ووقف على لغات مختلفة شرقية وغربية وقوفاً واعياً بصيرا . ولكننا مع ذلك نأذن لأنفسنا أن نبدي بعض التساؤلات والاعتراضات بصدد مقالاته لا سيما وأن الرجل — إلى جانب إلحاده الذي لا يعنينا نحن أن ننكره عليه — متهم بعرق من العصبية

(١) ص ٣٨٥ : « Une froideur monotone et pédante »
(٢) « Artificielle et savante » .

الشعوبية على كل ما هو غير أوروبي . فلعله تحت تأثير منطق عواطفه الخاص ، انزلق إلى نظريات تتجاوز حدّ الحيطة العلمية ، وقد يكشف « التحليل النفسي » ذات يوم عن بواعثها الدفينة .

وأول ما نريد بيانه هو وهن الموضوعة الأساسية التي اعتمدها رونان في دراسة البسيكولوجيا السامية . لا شك أن من عناصر البسيكولوجيا دراسة الظاهرات اللغوية على اعتبار أن اللغة تكشف عن خصائص العقول . وهذا صحيح بشرط واحد هو ألاّ نربط هذه الخصائص بالتكوين البيولوجي الحيوي وألا نجعلها ناشئة عن صورة ذهنية فطرية لصقت بها كالطين اللازب ، بل أن نأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية كالسكنى وطراز العيش وتمازج الثقافات والشعوب . يقول فاندريس : « كما أنه من التحكم أن نستنبط اللغة من الذهن ، فكذلك من الاعتباط أيضاً أن نستخرج العقلية من اللسان . إن كلا الأمرين من فعل الظروف ، إنهما من الوقائع الحضارية »[1] . والحال أن رونان ربط تلك الخصائص التي اكتشفها بالتكوين الغريزي عند الساميين ، فإذا لم يجد عندهم ملاحم فذلك عن أنهم سذج لا خيال لهم . وبديهي أن ما فعل صادر عن نزعة عرقية باطلة لم تعد ترضي العلم الحديث في قليل ولا كثير .

ثانياً : إن طريقة الاستقرائية غير مستوفاة . فالمعلوم أن الاستقراءات التي تصلح لأن تستخرج منها القوانين العلمية إنما هي الاستقراءات الكاملة لا الناقصة . لأن مأتى السفسطة الأول من التعداد الناقص . فلنعرض على محك

---

(١) « Il est aussi absurde de faire sortir la langue de la mentalité que de faire sortir la mentalité de la langue. Toutes deux sont le produit des circonstances; ce sont des faits de civilisation » (Vendreys, *Le Langage* p. 277).

النظر دعواه في أن « اللغات السامية لغات الواقعية والحس بالقياس إلى اللغات الآرية التي هي لغات التجريد والميتافيزياء » لقد بنيت هذه الدعوى على الزعم بأننا لو استعرضنا سلسلة الجذور السامية لصعب علينا أن نجد فيها ما يخلو من الابتداء بمعنى مادي . ولكن هذا يستدعي قبل كل شيء أن تتوفر « مونوغرافيات » مفصلة أتمّ تفصيل للعبرية والكنعانية والفينيقية والسريانية والآرامية والآشورية والبابلية والنبطية والعربية فضلاً عن جميع اللغات الأخرى السامي منها والآري ، وأن تصاحب هذه الدراسات المفردة إحصاءات مضبوطة للألفاظ الحسية والألفاظ المجردة في كل لغة مع نسبتها المئوية . فماذا فعل رونان هنا ؟ إنه اكتفى في أغلب الأحيان بإيراد أمثلة تنحصر في بضع كلمات من العبرية ، وأحياناً من العربية ، ورتّب عليها مثل هذه التعميمات الضخمة . ثم ، بافتراض أن مثل ذلك قد جرى إلى حد ما (وما أبعد مثل هذا الواقع عن ضرورات البحث العلمي !) فعلامَ تشهد كثرة الألفاظ الحسية على الألفاظ المعنوية في لسان ما ؟ – ربما كان فيه دليل على أن ذلك اللسان احتفظ بصوت التطور أكثر من غيره (وقد أورد هذا الاعتراض على رونان كما صرّح بذلك هو نفسه) . ونحن نتساءل : لماذا نتخذ من نقل الألفاظ عن معانيها الأصلية دليلاً على اتصاف الفكر بطابع ثابت ، مع أن مجرد النقل يدل على حركة فكرية . ان من المعلوم أن الكلمات تتغير معانيها على أنحاء ثلاثة :

(ا) التخصيص (وهو المضي من الجنس الى النوع : كالصلاة التي اختص لفظها بضرب من الدعاء) ؛

(ب) التعميم (أي التوسع في اطلاق الجزء على الكل ، نحو « المهجن » وهو في الأصل للمجاورات غير ذات النسب الصريح ثم استعمل لكل خلاسي من البشر) ؛

(ج) النقل من مجال الى مجال بسبب المجاورة (ونلفت النظر الى أننا هنا
نسوّي بين المجاورة المادية والذهنية لكي نطوي تحتها ما يعرفه
لنويونا بـ « الإشراب » الذي يكون مثلاً باستعمال الألفاظ
الحسية لمعاني مجردة كقولك « الجزم » — وهو القطع
المادي — تريد به « التوكيد » ، وكقولك « الاعتماد » —
وهو أصلا التوكؤ — في مقام « الوضع موضع الثقة ») .
وقس على ذلك ضروب الاستعارات والمجازات .

ونحن نظن أن مجرد لجوء العرب الى شراب الألفاظ الحسية معاني مجردة دليل على عكس نظرية رونان لأنه يفرض بالضرورة قيام المعاني المجردة في الذهن ، والا لما حصل الانتقال من الحسي الى غيره . واذا كانت اللغات ، على ما يعتقده رونان في أعقاب هوردمان ، « الحصيلة المباشرة للشعور البشري »[١] فان الاشراب يعكس على أفضل وجه تلك الفاعلية الديناميكية الأصيلة في الذهن العربي القائمة على تصور المجرد وربطه بالمحسوس ، وذلك للاقتران بين ضربَي الانطباعات التي تركها في شعورهم كل من النطاقين (نطاق المجرد ونطاق المحسوس) .

ثالثاً : ان أكبر ما نأخذه على رونان تعسفه في التعميمات التي تجاوز حدود المقدمات . والحقيقة أنه اجترأ على تراكيب فضفاضة ، فوقع في مثل ما رمى به أولئك الذين يستهويهم وضع النظريات الكبرى بعد نظرهم نظراً غير مستوفى في كتب اللغة وفي النصوص . ولئن انحى باللائمة على هؤلاء صارخاً اليهم قوله : « ان الفضاضة التي تلحق بالمرء من أن يكون خيالياً أكبر من الفضاضة اللاحقة به من التقصير »[٢] فغالب الظن أن رونان وقع في العيب

(١) راجع مقدمة ١٨٥٥ .

(٢) « Il est moins fâcheux d'être incomplet que chimérique »

الذي أنكره على غيره يوم رمانا مع الساميين جميعاً بأننا لا فلسفة لنا أصيلة ، ولا خيال خلاّق ، وأن فكرنا يرضى بالمتناقضات . ويظهر أن رونان أدرك ما يمكن أن يوصم به من جراء تعمياته فاعتذر عن ذلك في المقدمة بأن لولاه لبقي التاريخ محصوراً في نطاق الواقعات المادية دون إقدام على استخراج مغزى تلك الواقعات . ولكن إذا كان استخراج المغزى يؤدي إلى مثل هذا التكلف والافتئات ، فكم كان أجدر به وهو في منزلته وبسطة علمه « كراكب الأسد يهابه الناس » أن يكون « لمركبه أهيب » كما يقول كاتبنا العظيم عبد الله ابن المقفع .

وبعد ، فلننظر نظرةً أخرى في تاريخ فكرنا من الناحية السوسيولوجية . لقد كانت لنا حياة فكرية قبل الاسلام صوَّرها الشعر الجاهلي . فهل كان هذا الشعر غير مفصح عن خوالج النفس الدقيقة ؟ نعم إنه لم يكن شعرَ ملاحمَ طويلةِ التنفّس (كالإلياذة) . ولكن ما بالنا لا نقيم وزناً لخيالٍ إلا إذا جاء على طريقة الإغريق ؟ إن ملكة التصوُّر الخلاّق تتخذ أشكالاً مختلفة ، والشكل الأسطوري واحد من عديدها . ولئن كانت الوثنية طوراً من أطوار التاريخ وجاءت الأسطورة معبرة عن خياله ، فإننا لا نطالب شعراء عصرنا الحاضر مثلاً أن يظل خيالهم دائراً على الأساطير . هذا هو الشعر الفرنسي في الأزمنة القريبة منا من رونسار الى سان جون پرس أهو منحطٌ في مرتبة خياله لأنه لا يدور على خلق أساطير ؟ وهل نتخذ شاهداً من ذلك على ضعف ملكة التخييل عند أكبر من تمثّلَ تراث الاغريق أعني الأمة الفرنسية ؟

ثم لقد كان لنا لسان صلحَ لأن يكون محلاً لدين جليل على ما انبعث عن هذا الدين من عقيدةٍ وشرع وفقه ونحو وصرف وكلام وجدل ومنطق وعلوم عقلية . فكيف استطاع لسان يعتبر رونان أن آجروميته تمثل طفولة الفكر

الانساني أن يقوى على النهوض بكل ذلك ؟ بل لقد اتسع لساننا بالذات لاستيعاب حكمة فارس ورياضيات الهند وفلسفة يونان ، فبأي لغة يا ترى وصلتنا آثار إفلاطون وأرسطو والاسكندر الأفروذيسي وبقراط وجالينوس وإقليدس وأرخميدس وذيوفانت وباليناس وبطليموس ؟ وهل عجز آل بختيشوع وآل الكرخي وبنو موسى بن شاكر وثابت بن قرّة والحجاج بن مطر ويوحنا البطريق وابن ناعمة الحمصي وأبو عثمان الدمشقي ومتّى بن يونس القُنّائي ويحيى بن عدي والبلاذري أحمد بن يحيى وإسحق بن يزيد وعلي بن زياد التميمي والحسن بن سهل وعشرات غيرهم عن أداء المعاني المجردة العويصة بالعربية وبالسريانية وحتى بالعبرية ؟ بل كيف فهم عنا تراجمة العصر الوسيط اللاتيني حكمة اليونان الرفيعة التي نقلناها أولا ، فحملوها إلى أوروبا عن طريق لساننا ليغنى بها التفكير الغربي ؟

ليس هذا كل ما في الأمر . لقد كان لنا فلسفة خاصة يوم لم يكن للفرنجة ولا للقوط ولا للهون ولا للسلت ولا للكرولنجيين ولا المروفنجيين فلسفة . أفيكفي في الحط من شأن هذه الفلسفة أن يقال إنها دخيلة علينا ؟ أو لم يعترف لنا رونان بأصالة علم الكلام وهو جدل رفيع نبت في جو إسلامي صافي العروبة . وهب أن من صنعوا الفلسفة بمعناها الأضيق كانوا من أصل فارسي أو أعجمي ، فليت شعري بأي لسان فكروا ؟ ولمَ اختار الفارابي لغة العرب لبيان نظرية « العقول » والشيخ الرئيس ابن سينا لغة العرب لكتابة الشفاء والنجاة ؟ ولمَ تناول الغزالي « مقاصد الفلاسفة » ، ثم بيّن « تهافتهم » بلسان غير الفارسي ؟ وكيف صلحت مؤلفات ابن رشد أن تكون ، كما يقول جلسُن ، مصدراً « لا أبعد الأثر وأقواه في الاسكولائية المسيحية » وينبوعاً تَرَوت منه فلسفة اللاهوتيين ، أمثال غيليوم الأوفيرني ، وروجه باكون ، وحنا بيكام ؟

لم يكن العرب ، أمة غالبة دائما حتى نقول إن لسانهم إنما انتشر بقوة السيف . نعم لقد امتد ملكهم ذات يوم من جبال البرانس وأعمدة هرقل الى الهند والصين . ولقد كانوا على رأس العالم المتمدن في عهود زاهرة كحقبة بغداد في القرن الثامن المسيحي أيام الرشيد والمأمون ، ويوم أضحت مملكة الأغالبة على سردينية وصقلية ونابولي ، وكعهد قرطبة في القرن العاشر في ظل الحكم الثاني والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ، ثم في حقبة القاهرة الفاطمية وفي المغرب الاسلامي على عهد المرابطين والموحدين . ولكنهم واجهوا نكبات ومصائب كان من حقها منطقياً أن تمحو لغتهم محواً كأداة حضارية . ومع ذلك ، لا هولاكو البوذي الذي ذبح أهل بغداد ذبحاً وجعل مياه دجلة سوداء من مداد ثقافتنا ، ولا الحروب الصليبية التي عاشت في أرضنا قرنين كاملين ، ولا الفتح المغولي ولا الغزو الطوراني ، ولا غلبة الأعاجم علينا من كل ملة ونحلة ، ولا الاستعمار الغربي نالت من عنفوان العربية . لماذا ؟ لأن هذه اللغة أثبتت حيويتها أمام الكوارث ، لأنها وقد ألقحتها الثقافات الفارسية واليونانية البيزنطية والهندية ، عرفت كيف تستصفي عصارة تلك الثقافات فيتمثلها نسغها اليعربي الأصيل . إن سر حياتها القوية العنيفة قائم في مرونتها وقابليتها للتكيف . وهذه هي النهضة العربية اليوم تأتي شاهداً مصدقاً لما نقول : ففي أقل من قرن من الزمان استطاع أهل هذه اللغة أن يتناول لسانهم ما شئت من علم وفن وفلسفة وتكنيك . وكثير من جامعات العالم العربي ومن مراكز البحوث تتولى معالجة العلوم الايجابية المضبوطة بفكر أداته هذه اللغة المضرية لغة معدّ وعدنان .

وإذا بدت هكذا مقاتل نظرية رونان ، فما أحرانا أن نردد مع صديقنا

لويس غارديه [١] أن الخميرة العربية العاملة في جوف كل الشعوب التي استهواها الإسلام إنما هي (والتعابير ها هنا للمستشرق المرحوم ماسينيون [٢] الذي ستحيي الكلية ذكراه غدا) « وهذا اللسان الرائع ذو الأزمنة « الثيوسانطريه » — أي المركزة حول الذات الإلهية — ؛ هذا الضبط في الصورة تتلبس بها [مادة] موارة مضطربة مرجحنة ؛ هذا المزاج الرقراق من مجردات [عريت عن كل زيادة] وإفادات ائتصنت بتمام الجذوى ؛ هذا القران المدهش بين آثار عليها مسحة الخشونة وبينات تتميز برونق منقطع النظير »

وبذلك نرى أن أحمد مظهر لعبقرية العرب لسانهم العظيم وأن أبا الريحان البيروني — نضر الله جنة خلده بالروح والريحان — كان على حق يوم أن قال : لأن أهجا بالعربية خير من أن أمدح بالفارسية ؟

الرباط : الدكتور حكمة هاشم

---

(١) ص ٥٨ L. Gardet, *Connaître l'Islam*

(٢) Louis Massignon, Lexique technique de la mystique musulmane ص ٣٤٦ — ٣٤٨ .

الاصطلاحات الفلسفية

- ١٥ -

التمييز

في اللاتينية	Discriminatio, Discrimen
في الفرنسية	Discrimination, discernement
في الانكليزية	Discrimination

ميّز الشيء عزله وفرزه ، والتمييز بين الأشياء فصل بعضها عن بعض ، وتمييز الشيء من الشيء التفريق بينهما ، وفي التنزيل العزيز : « حتى يميز الخبيث من الطيب » .

والتمييز في النحو إسم يرفع الابهام عن ذاتٍ مذكورةٍ مثل : َليسَ ثوبين حريرا ، أو مقدّرةٍ مثل : لله درّه فارسا .

والتمييز قوة نفسية تستنبط بها المعاني . قال الغزالي : « فيخلق فيه التمييز (أي في الطفل) وهو قريب من سبع سنين ، وهو طور آخر من أطوار وجوده ، فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات لا يوجد منها شيء في عالم الحس » (المنقذ من الضلال ، الطبعة السادسة ، مطبعة جامعة دمشق ص ١٠٨ !) .

وسن التمييز عند الفقهاء هو وقت معرفة المضار والمنافع .

والتمييز عند قدماء الفلاسفة هو التفريق بين الشيئين بحسب الفصل الذي

يقال على أحدهما . وهم يسمون كل معنى تميز به شيء عن شيء ، شخصياً كان أو كلياً ، فصلاً ، ثم نقلوه بعد ذلك إلى ما يتميز به الشيء في ذاته . قال ابن سينا : « مثل الناطق الذي يميز الإنسان عن الفرس وهما حيوانان » (النجاة ص ١١٢) .

والتمييز عند الفلاسفة المحدثين هو التفريق بين الأمرين المشخصين نفسيين كانا أو حسيين ، مثال ذلك تمييز الحالات الشعورية أو تمييز المحسوسات . والفكرة المتميزة (idée distincte) هي الفكرة البينة .

ويطلق التمييز عند علماء الاجتماع على التفريق بين العروق البشرية أو الطبقات الاجتماعية أو غيرها . ومنه التمييز العنصري (Discrimination raciale, Ségrégation raciale) الذي ينكر المساواة بين الأجناس البشرية فلا يعترف للأسود مثلاً بما يعترف به الأبيض من حقوق طبيعية أو اجتماعية .

التناسخ

في اللاتينية	Metempsychosis
في الفرنسية	Métempsychose
في الانكليزية	Metempsychosis

وهو لفظ يوناني مؤلف من لفظين : (ميتا) ومعناه الانتقال و (بسيشه) ومعناه النفس .

تناسخ الشيئان نسخ أحدهما الآخر . وتناسخوا الشيء تداولوه ، وتناسخت الأزمنة تتابعت . وفي الحديث : لم تكن نبوة إلا تناسخت ، أي تحولت من حال إلى حال .

والتناسخ في الفرائض والميراث أن تموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم .

والتناسخ عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مؤدّاها ان روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات . ومعنى ذلك عندهم ان نفساً واحدة تتناسخها أبدان مختلفة — انسانية كانت أو حيوانية أو نباتية .

قال ابن سينا في بطلان القول بالتناسخ : « فإذا فرضنا نفساً تناسختها أبدان وكل بدن فانه في ذاته يستحق نفساً تحدث له وتتعلق به فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً » (النجاة ص ٣٠٩) .

وإذا قيل ان من مقتضيات هذه العقيدة القول بخلود النفس قلنا إن تناسخ النفس لا يوجب بقاءها اضطراراً ، لأنها قد تنتقل من بدن إلى بدن حتى تنتهي إلى العدم ، أو تغور في حقيقة روحية كلية تفقد معها فرديّتها .

التناقض

في اللاتينية	Contradictio
في الفرنسية	Contradiction
في الانكليزية	Contradiction

نقض الشيء أفسده بعد إحكامه ، ونقض اليمين أو العهد نكثه ، ونقض ما أبرمه فلان أبطله ، وناقض في قوله مناقضة تكلم بما يخالف معناه ، وناقض غيره خالفه وعارضه . وتناقض القولان تخالفا وتعارضا ، والكلام المتناقض هو الذي يكون بعضه مقتضياً إبطال بعض .

والتناقض في اصطلاح الفلاسفة هو اختلاف تصورين أو قضيتين بالايجاب

والسلب . مثل قولنا (ب) و (لا - ب) ، أو قولنا (ب) صادقة و (ب) غير صادقة أي كاذبة . قال ابن سينا : التناقض هو اختلاف قضيتين بالايجاب والسلب بحيث يلزم عنه لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة . (منطق المشرقيين ص ٧٤) . وإنما تكونان كذلك إذا اتفقتا في الموضوع والمحمول لفظاً ومعنى ، واتفقتا في الكل والجزء والقوة والفعل والشرط والاضافة والزمان والمكان ، أما إذا اختلفتا في شيء من هذه الأشياء لم يجب أن تقتسما الصدق والكذب ، وإذا كانت القضيتان مخصوصتين كفى في تناقضهما هذه الشروط ، أما إذا كانتا محصورتين زاد شرط آخر وهو اختلافهما في الكمية أعني الكلية والجزئية . مثال ذلك ان الكلية الموجبة والجزئية السالبة متناقضتان ، لأنك إذا قلت : كل انسان كاتب كان نقيضه ليس بعض الناس بكاتب ، والكلية السالبة والجزئية الموجبة متناقضتان ، لأنك إذا قلت : ولا واحد من الناس بكاتب كان نقيضه بعض الناس كاتب .

والتناقض أيضاً هو الجمع في تصور واحد أو في قضية واحدة بين عنصرين متنافيين كقولنا دائرة مربعة أو الضياء مظلم . الخ . .

وقد يكون التناقض صريحاً كالتناقض الذي نعبر عنه بقضيتين متناقضتين ، وقد يكون ضمنياً كالتناقض المقدر بين القضية الظاهرة ونتائجها أو مقدماتها الخفية . وإذا حملت على الموضوع صفة مناقضة لتعريفه كان التناقض إضافياً (Contradiction in adjecto) .

والتناقض عند الأصوليين هو تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن معه الجمع بينهما ، ويسمّى بالتعارض أو المعارضة .

والنقيضان (Contradictoires) هما الأمران المتنافيان بالذات بحيث يقتضي تحقق أحدهما انتفاء الآخر . ونقيض كل شيء رفعه ، والمراد بالرفع

ما يستفاد من كلمة (لا) و (ليس) كقولنا الانسان واللا انسان .

ومبدأ التناقض (Principe de Contradiction) بديهي وهو القول ان الشيء نفسه لا يمكن أن يكون حقاً وباطلاً . وهذا القول انما هو نتيجة لمبدأ الهوية (Principe d'idendité) أي لقولنا (ما هو هو) .

وعلى ذلك فالشيء المتناقض مناف للمعقولية ، لأن من شرط العقل أن يكون متفقاً مع نفسه ، فإذا كان العقل يقع في التناقض أحياناً فرد ذلك الى انشغاله بأمور تمنعه من تذكر ما قاله سابقاً ، ولو قرّب بين الحكمين المتناقضين اللذين صدق بهما في زمانين مختلفين لأثبت أحدهما وأبطل الآخر . لذلك قيل ان الزمان هو علة الوقوع في التناقض . والوسيلة الوحيدة لاجتناب الوقوع في التناقض هي التحليل . (راجع : التحليل ، والقياس ، ومبادىء العقل) .

التوازن

في الفرنسية	Équilibre
في الانكليزية	Équilibrium

توازن الشيئان تساويا في الوزن .

يقال في علم (الميكانيك) إن جملة من الأجسام تكون متوازنة إذا كانت محصلة القوى المؤثرة فيها مساوية للصفر . ومعنى ذلك انك تستطيع أن تحذف هذه القوى المؤثرة من غير أن يؤدي ذلك إلى تغيير حال الجملة أو حركتها . إن في كل زمن من أزمنة حركة النقطة المادية توازنا بين القوى المؤثرة فيها والقوة التي تجمدها وتجعلها معطلة . وهذا كله يدل على أن التوازن غير مرادف للسكون . فتوازن الجسم إما أن يكون مستقراً ، وإما أن يكون لا مستقرا . فإذا أزحت الجسم المتزن إتزاناً مستقراً عن موضعه عاد إليه ، وإذا

أزحت الجسم المتزن اتزاناً لا مستقراً عن موضعه لم يعد إلى وضعه الأصلي واختل التوازن .

ويقال في علم (الفيزياء) إن الجملة الخاضعة لتأثير بعض القوى الخارجية لا تكون متوازنة إلا اذا كان من شأنها ، وهي متأثرة بهذه القوى ، أن تبقى على حالها الى غير نهاية .

وهذا يصدق أيضاً على علم الكيمياء ، فيقال فيه إن التوازن صفة جسم أو جملة من الأجسام خاضعة لشروط البيئة المحيطة بها (درجة الحرارة ، الضغط الخ . .) بحيث يقابل كل حالة محددة من هذه الشروط المسمّاة بعوامل التوازن حالة معينة من أحوال ذلك الجسم أو تلك الجملة من الأجسام مهما يكن اتجاه التغيرات الطارئة .

وتوازن الميول في علم النفس إنما يطلق على الحالة التي تعتدل فيها الميول فلا يبلغ أحدها درجة من الشدّة يستطيع معها أن ينفرد بتوجيه نشاط العقل .

والإرادة المتزنة هي التي لا يكون في إقدامها على الفعل أو احجامها عنه افراط ولا تفريط .

والمتزنون من الناحية العقلية هم الذين يكون تقيدهم بالمنطق فطرياً وطبيعياً وضرورياً بخلاف الذين يناقضون أنفسهم أو الذين لا تنكشف لهم الأمور بالمقاييس العقلية الا لماما .

والتوازن العقلي أيضاً هو الحالة التي تكون فيها القوى العقلية تامة الانسجام تامة الاتساق لا تسيطر احداها على الأخرى .

وحاسة التوازن هي الحاسة التي تطلع الانسان والحيوان على أوضاع بدنيهما وتقيهما من السقوط الى الأرض عند وقوفهما أو سيرهما . اذا اختلت هذه الحاسة اختلت حركات الحيوان وأصيب بدوار . وقد بين علماء النفس أن آلة

هذه الحاسة هي المجاري نصف الدائرية الموجودة في الأذن الداخلية ، وأن المصابين ببعض الأمراض العصبية يفقدون اتزانهم لاختلال هذه الحاسة فيهم .

حرية التوازن . — اذا انقسمت الأسباب المؤثرة في الارادة الى جملتين متعارضتين ومتساويتين حصل بينها توازن تام . ولكن الإنسان يستطيع بالرغم من توازن هاتين الجملتين أن يختار أحداهما . ولولا اتصافه بالحرية لما استطاع أن يختار شيئاً ، بل لظل متردداً بين جهتي السلب والايجاب لا يفعل شيئاً أبدا .

التوحيد (مذهب)

في الفرنسية Monothéisme

في الانكليزية Monotheism

وهو مشتق من لفظين يونانيين (مونو) ومعناه الواحد و (تيوس) ومعناه الله

وحّد الشيء جعله واحدا ، ووحّد الله سبحانه أقرّ وآمن بأنه واحد . فالتوحيد اذن هو الإيمان بالله وحده لا شريك له . قال الجرجاني : « التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد . وفي اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصوّر في الافهام ويتخيل في الأوهام والأذهان » (التعريفات) فإذا قلنا انه تعالى واحد عنينا بذلك أنه منفرد الذات في عدم المثل والنظير ، وانه لا يقبل التجزيء والانقسام والتكثير ، وانه لم يزل وحده ، ولم يكن معه آخر . وأهل العربية يجوزون أن ينعت الشيء بأنه واحد ولكنهم لا يجوزون أن ينعت بالأحدية غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له . ومعنى ذلك كله أن للتوحيد معنيين :

الأول هو القول أن الله تعالى واحد لا يوجد في ذاته تغير ولا كثرة ، وليس له أجزاء تجتمع فيقوم منها ، بل هو واحد من جميع الوجوه .

والثاني هو القول بإله واحد لا شريك له مباين للعالم ومدبّر له ، لأن الوجود الذي يوصف به لا يمكن أن يكون لغيره ، خلافاً للثنوية القائلين بإلهين أو الأصحاب التكثير القائلين بتعدد الآلهة .

لذلك قيل ان التوحيد هو معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار له بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة . ومعنى الوحدانية ان للحق سبحانه وتعالى كمالاً لا يشاركه فيه غيره ، وانه منفرد بالإيجاد والتدبير بلا واسطة ولا معالجة وانه لا مؤثر سواه .

والفرق بين مذهب التوحيد ومذهب وحدة الوجود أن وجود العالم في مذهب التوحيد متوقف على وجود الله ؛ وأن وجود الله غير متوقف على وجود العالم ، على حين ان وجود كل منهما في مذهب وحدة الوجود يلزم عن وجود الآخر اضطرارا ، لأن نسبة الله الى العالم كقياس الجوهر من اعراضه . الجوهر واحد والأعراض متكثرة ، ولكن لا جوهر بلا أعراض ، ولا أعراض بلا جوهر (راجع : وحدة الوجود) .

التوليد المباشر (مذهب)

في الفرنسية Nativisme

في الانكليزية Nativism

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني (Nativus) و (Nativitus) .

ولّد الشيء من الشيء أنشأه ، وتولد الشيء من الشيء نشأ عنه .

والتوليد عند المعتزلة هو الفعل الصادر عن الفاعل بوسط ويقابله المباشرة .

أما في الفلسفة الحديثة فالتوليد نوعان توليد مباشر وتوليد غير مباشر .

ومذهب التوليد المباشر هو القول أن بعض الحواس أو كلها أو حاسة البصر على الأخص تدرك خواص المكان إدراكاً طبيعياً ومباشراً .

ويطلق اصطلاح التوليد المباشر أيضاً على جميع المذاهب القائلة بفطرية الصفات والوظائف والأفكار ، بمعنى انها تتولد في العقل مباشرة بلا وسط ، من هذه المذاهب أيضاً القول ان الانطباعات الناشئة عن شبكة العين تولّد في النفس صوراً حسية مكانية تجعل النفس تدرك الأشكال والمسافات ادراكاً مباشراً بغير كسب ولا تربية سابقة . ومنها القول ان الاحساسات الناشئة عن شبكة العين ، وان كانت غير مشتملة على مخصصات مكانية معينة ، إلاّ أنها في الأصل ذات حجم وامتداد تنضجها التربية . ومنها القول باشتمال النفس على معان أو مبادئ فطرية .

وعلى ذلك فإن مذهب التوليد المباشر مرادف للتجريبية ومضاد لمذهب التكوين . (راجع : التجربة ، والتكوين) .

التوفيق (مذهب)

في الفرنسية Éclectisme

في الانكليزية Eclecticism

أصله في اليونانية اكلكتيكوس (Eklektikos) ومعناه المنتخب ويقابله في اللاتينية (Eligere) .

طريقة التوفيق (Méthode éclectique) هي أن تختار من المذاهب الفلسفية المختلفة أو المتقابلة آراء متطابقة ، وان تحاول الجمع بينها في رأي واحد ، أو هي الكشف عن وجهة نظر عالية تطابق بين الآراء الفلسفية المتعارضة .

ومذهب التوفيق (Eclectisme) هو الجمع بين الآراء والمذاهب المختلفة ومحاولة التأليف بينها لتكون مذهباً واحداً متماسكاً . من أمثلة ذلك مذهب المدرسة الاسكندرانية (أو على الأخص مذهب (بوتامون « Potamon »

من فلاسفة الاسكندرية) ومذهب الفيلسوف (فكتور كوزان - Victor Cousin) من فلاسفة القرن التاسع عشر . (راجع مذهب التلفيق) .

حرف الثاء

الثالث (نفي)

في الفرنسية Tiers exclu

مبدأ نفي الثالث من المبادئ الأولية ، تقول إذا صدقت إحدى القضيتين المتناقضتين كذبت الثانية والعكس بالعكس ولا ثالث بينهما . ويشترط في المتناقضتين أن يكون موضوعهما ومحمولهما واحداً وان لا تختلفا إلا بالإيجاب والسلب ، فإذا كانت إحداهما صادقة كانت الثانية غير صادقة ، ولا وسط بينهما . وينطبق مبدأ نفي الثالث على القياسات الاستثنائية المؤلفة من الشرطيات المنفصلة ، فإذا استثنيت عين أيهما كان نتج عن ذلك نقيض الآخر ، مثاله : اما أن يكون العدد زوجاً واما أن يكون فرداً ، لكنه زوج فينتج أنه ليس بفرد ، أو فرد فينتج أنه ليس بزوج ، وإذا استثنيت نقيض أيهما كان نتج عن ذلك عين الآخر ، مثاله : اما أن يكون العدد فرداً ، واما أن يكون زوجاً ، لكنه ليس بزوج فهو إذن فرد ، ولكنه ليس بفرد فهو إذن زوج ، ولا وسط بينهما .

الثروة

في الفرنسية Richesse

في الانكليزية Wealth

الثروة هي الكثير من المال والناس ، يقال ثروة رجال وثروة مال . وفي

الحديث : ما بعث الله نبياً بعد لوط إلاّ في ثروة من قومه . والثراء المال الكثير . قال حاتم :

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر

والثروة عند علماء الاقتصاد هي كل ما يرضي حاجة الانسان أو رغبته ، وهم يقولون بنوعين من الثروة ، الأول مشترك ، كالماء والهواء ونور الشمس وإن كان حظ الناس منه غير متساو ، والثاني خاص ، وهو كل ما يملكه الفرد أو الجماعة من متاع أو عروض تجارة أو عقار أو نقود أو حيوان الخ .. ومعنى قولنا يملكه أنه يستطيع أن يبيعه أو أن يهبه ، لأنه ذو قيمة ، ويسمّى هذا النوع أيضاً مالاً ، والكلام عليه يشمل البحث في انتاجه وتوزيعه وتداوله واستهلاكه .

وإذا كان الانسان كثير المال كان غنياً أو ثرياً ، وأنا ثري بك عن الناس أي غني بك عنهم . ويطلق ذلك مجازاً على من كان غني الألفاظ ، غني الأفكار والعواطف ، وهذه نظرية غنية بالحقائق ، ومن قبيل ذلك أيضاً قولنا الثروة الفكرية ، والثروة الأدبية ، والثروة العلمية ، الخ ..

الثقافة

في اللاتينية	Cultura
في الفرنسية	Culture
في الانكليزية	Culture

ثقف الرجل ثقافة صار حاذقاً ، وثقفتُ الشيْ حذقته ، والرجل المثقف الحاذق الفهم ، وغلام ثقف أي ذو فطنة وذكاء ، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه .

والثقافة بالمعنى الخاص هي تنمية بعض الملكات العقلية أو تسوية بعض الوظائف البدنية ، ومنها تثقيف العقل ، وتثقيف البدن . ومنها الثقافة الرياضية ، والثقافة الأدبية أو الفلسفية .

والثقافة بالمعنى العام هي ما يتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحس انتقادي وحكم صحيح ، أو هي التربية التي أدت إلى إكسابه هذه الصفات . قال (روستان) « العلم شرط ضروري في الثقافة ، لكنه ليس شرطاً كافياً ، إنما يطلق لفظ الثقافة على المزايا العقلية التي أكسبنا إياها العلم حتى جعل أحكامنا صادقة . وعواطفنا مهذبة » (D. Roustan, La culture au cours de la vie)

ومن شرط الثقافة بهذا المعنى أن تؤدي إلى الملاءمة بين الانسان والطبيعة وبينه وبين المجتمع ، وبينه وبين القيم الروحية والانسانية .

وإذا دلّ لفظ الثقافة على معنى الحضارة (Civilisation) كما في اللغة الألمانية كان له وجهان وجه ذاتي وهو ثقافة العقل ، ووجه موضوعي وهو مجموع العادات والأوضاع الاجتماعية والآثار الفكرية والاساليب الفنية والأدبية وانماط التفكير والاحساس والقيم الذائعة في مجتمع معين ، أو هو طريقة حياة الناس وكل ما يملكونه ويتداولونه اجتماعياً لا بيولوجياً (قاموس التربية وعلم النفس التربوي للدكتور فريد جبرائيل نجار ، بيروت ١٩٦٠) تقول بهذا المعنى : الثقافة اليونانية ، والثقافة العربية ، والثقافة اللاتينية ، والثقافة المدرسية (الكلاسيكية) والثقافة الحديثة . وتقول أيضاً : امتزاج الثقافات ، والنشاط الثقافي ، والعلاقات الثقافية والتخلف الثقافي الخ ...

ومذهب الحتمية الثقافية هو القول أن الحضارة تولد الحضارة بمعزل عن العوامل الطبيعية المؤثرة في سلوك الإنسان وعمله .

الثنوية

في الفرنسية Dualisme

في الانكليزية Dualism

وهو مشتق من الأصل اللاتيني Dualis

الثنوية فرقة تقول بالهين إثنين إله الخير وإله الشر ، قالوا انا نجد في العالم خيراً وشراً ، والواحد لا يكون خيراً وشراً بالضرورة ، فكل من الخير والشر فاعل إذن على حدة ، وفاعل الخير هو النور ، وفاعل الشر هو الظلمة ، والمجوس منهم ذهبو إلى أن فاعل الخير هو (يزدان) وفاعل الشر هو (أهرمن) ثم ذهبوا الى عبادة النار لأنها عندهم أساس الحياة وأصل الوجود .

والأثنينية هي كون الطبيعة ذات وحدتين أو هي كون الشيء الواحد مشتملاً على حدّين متقابلين ومتطابقين كتقابل الفكر والعمل في الحالات الثلاث التي يتألف منها قانون التطور الانساني عند (اوغوست كومت) وهي الحالة الالهية المطابقة للمجتمع الحربي ، والحالة الفلسفية المطابقة للمجتمع الانطاعي ، والحالة الوضعية المطابقة للمجتمع الصناعي ، أو كالتقابل المنطقي الذي نجده بين العلوم العقلية والعلوم التجريبية ، فان فيه اثنينية كاثنينية العقل والتجربة ، والخيال والحقيقة ، والامكان والوجوب ، والحق والواقع .

ومن معاني الاثنينية (Dualité) أيضاً كون الشيء مشتملاً على مبدأين مستقلين لا ينحل أحدهما إلى الآخر كاثنينية الحقية والخلقية في فلسفة القديس توما الاكويني ، أو الهوى والحرية ، أو الارادة والعقل ، أو الجسم والروح في فلسفة ديكارت ، أو الخير والشر أو النور والظلمة في المانوية . ومن معاني الاثنينية أخيراً الثنائية

كما في قانون التناقض ، وهو أن (آ) لا يمكن أن يكون (ب) و (لا — ب) في وقت واحد ، ويسمّى ذلك بقانون الاثنينية ويمثل في الجبر المنطقي بـ (س) × (١ — س) = ٠ أو بـ س — س٢ = ٠ أي س٢ = س ومعناه أن ضرب الحد في نفسه أو القضية في نفسها معادل لمجرد تصور ذلك الحد أو للتصديق بتلك القضية تصديقاً بسيطاً . والقضية الثنائية هي القضية الحملية التي لم تذكر الرابطة فيها ، كقولنا : زيد قائم ، بخلاف القضية الثلاثية التي ذكرت الرابطة فيها ، كقولنا : زيد هو قائم . (راجع : الجمع المنطقي ، والضرب المنطقي) .

جميل صليبا

استدراك وتعليق

ونظرة إلى تاريخ بني العباس

— ٩ —

القادر بالله (١) :

مولده سنة ٣٣٦ — خلافته سنة ٣٨١ (٩٩١ م) — وفاته سنة ٤٢٢ (١٠٣١ م) .

لم يُروَ له شعر . غير أنه كان ينشد أبياتاً في الزُهد منها :

سبق القضاء بكل ما هو كائنٌ   والله يا هذا لِرزقك ضامنُ

تُعنى بما يَفنى وتترك ما به   تَغنى كأنك للحوادث ضامن

واعلم بانك لا ابا لك في الذي   اصبحتَ تجمعه لغيرك خازن

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر . أمه أمَة اسمها : دِمنة ، وقيل تَمني .

كان في غاية الديانة والعبادة ، والفضل والسيادة : كثير الصدقات ، حسنَ الطريقة . صنف كتاباً في الرد على القائلين بخلق القرآن . عدَّه ابن الصلاح في علماء الشافعية ، وذكره في طبقاته .

طالت خلافته حتى بلغت إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر .

تفقه على العلاّمة أبي بشر المروي وصنف كتاباً في الأصول .

ومن دلائل ما كان عليه من مكارم الأخلاق ، ومن مخالفته لما درج —

يا عامر الدنيا! اتعمرُ مَنزلاً لم يبقَ فيه مع المنية ساكن
الموت شيء انت تعلم أنه حق وانت بذكره متهاون
ان المنية لا تُؤامِر مَن أتت في نفسه يوما ولا تستأذن (١)

ـــ عليه الخلفاء ، ولا سيما العباسيين ، من إساءة الخليفة القائم إلى سلفه في الخلافة ، أنه لما جيء إليه بالطائع ، أنزله حُجرة من خاص حُجَره ، ووكّل به من ثقاته مَن يقوم بخدمته ، وأحسن ضيافته . وكان يطلب الزيادة في الخدمة ، فيؤمر له بذلك .

وأرسل إليه يوماً القادر عدَسية ، فقال : ما هذا ؟ قالوا عدس وسلق ! قال : أأكل أبو العباس من هذا ؟ قالوا نعم !

قال : قولوا له عني . أما وقد أردت أن تأكل عدسية ، لِمَ اختفيت ؟ فما كانت العدسية ، تعوزك ، ولمَ تقلدت هذا الأمر ؟

فأمر حينئذ القادر أن يفرد له جارية من طبّاخاته تطبخ له ما يلتمسه كل يوم . فأقام على هذا إلى أن توفي .

وكان القادر يخرج من داره في زي العامة . وإذا وصل إليه حال ، أمر فيه بالحق . (نقول الحال هنا بمعنى الشكوى ومنه أخذ (عرضحال) .

(١) قال أبو الحسن الأبهري : أرسلني بهاء الدولة في رسالة إلى القادر ، فسمعته ينشد هذه الأبيات . فقلت له : الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين لانشاد مثل هذه الأبيات .

فقال : بل لله المنة إذ ألزمنا بذكره ، ووفقنا لشكره !

ألم تسمع قول الحسن البصري في أهل المعاصي : « هانوا عليه ، فعصَوه ، ولو عزوا عليه لعصَمهم »

يقول بعض من كتب عنه من المؤرخين : إنه في أيامه تراجع وقار ـــ

— الدولة العباسية ، ونما رونقها ، وأخذت أمورها في القوة ، وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الترك والديلم . فلما وليها القادر ، أعاد جدتها ، وجدد ناموسها ، وألقى الله هيبته في قلوب الخلق ، فأطاعوه أحسن إطاعة وأتمها .

حتى قال فيه الشريف الرضي :

شرفُ الخلافة يا بني العباس   اليومَ جدّده أبو العباس
ذا الطودُ ابقاه الزمانُ ذخيرةً   من ذلك الجبل العظيم الراسي

ليس من شك أن القادر كانت له حرمة في النفوس . قد يكون مردها إلى أمور منها :

آ — أن الترك والديلم الذين كانوا بلاء الخلافة ، وقتلة الخلفاء ، كان قد ضعف في عهد القاهر أمرهم ، فزال عن الدولة خطرهم ، وسكنت ثوراتهم المتعاقبة . كما أن القرامطة كان قد انتهى أمرهم أو زال .

ب — مسلكه المعتدل ، وتعففه عن الأموال ، وتحرجه من سفك الدماء .

ج — ما كان عليه من تدين وزهد ، وحسن سيرة ، أوقع له في النفوس حرمة وهيبة .

أما أن يكون أعاد للدولة العباسية وقارها ، وأنه جعل أمورها تأخذ في القوة ، وأنه كان الذخيرة « من ذلك الجبل العظيم الراسي » .

فمحاباة مؤرخ ، ومغالاة شاعر ، قد يشفع لهما في بعض ما قالاه : أنهما قاسا الامور بما كان قبله . وإلا فالحكم كان للملوك ، وكانت الخلافة في عهده — كما كانت في عهد أكثر الخلفاء المتأخرين — شبه منصب ديني ، كمثل البابوية في يومنا هذا .

القائم بأمر الله (١) :

مولده سنة ٣٩١ — خلافته سنة ٤٢٢ (١٠٣١م) — وفاته سنة ٤٦٧ (١٠٧٥م) .

هو أبو جعفر عبد الله بن القادر . أمه أم ولد أرمنية وقيل رومية اسمها « بدر الدُجى » وقيل « قطر النَدى » .

(١) كان القائم من أفاضل خلفائهم وصُلحائهم . وطالت مدته في الخلافة . وزاد به وقار الدولة ، وتمت قوتها — وفي أيامه انقرضت دولة بني بويه ، وظهرت دولة بني سلجوق .

يقول ابن الأثير : كان القائم ورعاً ديناً زاهداً عالماً ، قويَّ اليقين بالله ، كثيرَ الصدقة والصبر . له عناية بالأدب ، ومعرفة حسنة بالكتابة ، ولم يكن يرتضي أكثرَ ما يُكتب من الديوان ، فكان يصلح فيه أشياء ، وكان مؤثراً للعدل والاحسان ، وقضاء الحوائج ، لا يرى المنع من شيء يُطلب منه .

قال محمد بن علي بن عامر الوكيل :

دخلت يوماً إلى المخزن . فلم يبقَ أحد إلاّ أعطاني قِصة ، فامتلأت أكمامي منها . فقلت في نفسي : لو كان الخليفة أخي ، لأعرض عن هذه كلها . فألقيتها في بِركة . والقائم ينظر ، ولا أشعر . فلما دخلت إليه أمر الخدم بإخراج الرِقاع من البِركة . فأخرجت . ووقف عليها ووقّع فيها بأغراض أصحابها . ثم قال لي :

يا عاميْ ! ما حملك على هذا ؟

قلت : خوف الضجر منها .

فقال : لا تعُدْ إلى مثلها ! فانّا ما أعطيناهم من أموالنا شيئاً ، انما نحن وكلاء .

ولم يزل أمره مستقيماً إلى أن قُبض عليه . —

— وكان السبب في ذلك : أن أرسلان التركي البساسيري ، كان قد عظُم أمره ، واستفحل شأنه ، لعدم نظرائه ، وانتشر ذكره ، وتهيبته أمراء العرب والعجم ، ودُعي له على المنابر ، وجبى الأموال وخرّب القرى . ولم يكن القائم يقطع أمراً دونه . ثم صح عنده سوء عقيدته ، وبلغه أنه عزم على نهب دار الخلافـــة ، والقبض على الخليفة . وهاجم البساسيري بغداد ، ومعه الرايات المصرية . وقبض على الخليفة القائم ، وسيّره إلى غانة وحبسه بها . ثم غُلب البساسيري ، وظُفر به ، فقُتل . وأعيد الخليفة القائم من محبسه في غانة إلى بغداد ، فدخلها بأبهة عظيمة ، والأمراء والحجاب بين يديه .

ولما رجع القائم إلى داره ، لم ينم بعدها إلا على فِراش مُصلاّه ، ولزم الصيام والقيام ، وعفا عن كل من آذاه ، ولم يسترد شيئاً مما نُهب من قصره ، إلا بالثمن . وقال :

هذه أشياء احتسبناها عند الله . ولم يضع رأسه بعدها على مِخدّة . ولما نُهب قصره لم يوجد فيه شيء من آلات الملاهي .

وروي : أنه لما سجنه البساسيري كتب قصته ، وأنفذها إلى مكة . فعُلّقت في الكعبة وفيها : « إلى الله العظيم من المسكين عبدِه . اللهم انك العالم بالسرائر ، المطلع على الضمائر . اللهم انك غني بعلمك واطلاعك على خلقك ، عن اعلامي . هذا عبد قد كفر نِعَمك وما شكرها ، والغى العواقب وما ذكرها . أطغاه حِلمك حتى تعدى علينا بغياً ، وأساء إلينا عتواً وعدواناً . اللهم قلّ الناصر ، واعتز الظالم ، وأنت المطلع العالم ، والمنصف الحاكم . بك نعتز عليه ، وإليك نهرب من يديه . فقد تعزز علينا بالمخلوقين ، ونحن نعتز بك . وقد حاكمناه إليك ، وتوكلنا في انصافنا منه عليك ، ورفعنا ظُلامتنا هذه إلى حَرمك ، ووثقنا في كشفها بكرمك . فاحكم بيننا بالحق ، وأنت خير الحاكمين » . —

المستظهر بالله (١) :

مولده سنة ٤٧٠ — خلافته سنة ٤٨٦ (١٠٩٤ م) — وفاته سنة ٥١٢ (١١١٨ م) .

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله .

من شعره :

اذاب حرُّ الهوى في القلب ما جمَدا ... لما مددتُ الى رسم الوداع يدَا

وكيف اسلُكُ نَهج الاصطبار وقد ... ارى طرائقَ في مَهوى الهوى قِدَدا

— يقول السيوطي : « زوج الخليفة القائم بنته لطغرلبك ، بعد أن دافع بكل ممكن ثم لان لذلك برغمٍ منه ، وهذا أمر لم يفعله أحد من ملوك بني بويه ، مع قهرهم الخلفاء ، وتحكمهم فيهم .

قلت : والآن زوج خليفة عصرنا ابنته من أحد مماليك السلطان ، فإنا لله وانا إليه راجعون .

(١) كان المستظهر لين الجانب ، كريم الأخلاق . يحب اصطناع الناس ، ويسارع إلى أعمال البر والمثوبات ، لا يرد مكرُمة تطلب منه ، كثير الوثوق بمن يوليه ، غير مصغٍ إلى سعاية ساعٍ .

غير أن أيامه كانت مضطربة ، نجمت فيها الفتن ، وكثرت الحروب .

استولى العبيديون على بقاع من الشام وانفجرت ثورات الباطنية .

وجاءت الفرنجة ، فما زالت تأخذ البلاد : بلدةً بلدة ، وينهبون ويستبيحون ما يستولون عليه ، إلى أن سقطت القدس في يدهم ، فقتلوا منها ما زاد على السبعين ألفاً ، فيهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد . وهدموا المشاهد ، وجمعوا اليهود في الكنيس ، وأحرقوه عليهم .

هذا وملوك المسلمين ، مشغولون عن عدوهم بمنازعاتهم الشخصية ، —

— وبحروبهم الداخلية ، وفيهم ، وفي ما كان من الخطب العظيم على البلاد يقول الآبيوردي من قصيدة طويلة :

مزجنا دماءً بالدموع السواجم … فلم يبقَ منا عُرضة للمراحم
وشرُّ سلاح المرء دمع يُفيضه … إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايهاً بني الاسلام إن وراءكم … وقائعَ يلحقن الأذى بالمناسم
أتهويمة في ظل أمن وغبطة … وعيش كنوّار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملءَ جفونها … على هبوات أيقظت كل نائم
واخوانكم في الشام يضحي مَقيلهم … ظهورَ المذاكي أو بطونَ القشاعم
تسومهم الرومُ الهوانَ وأنتم … تجرون ذيلَ الخفض فعلَ المسالم

★ ★ ★

وتلك حروب من يغب عن غمارها … ليسلم ، يقرع بعدها سن نادم
أترضى صناديد الأعارب بالأذى … ويُغضي على ذلّ كُماة الأعاجم
فليتهم إذ لم يذودوا حميّة … عن الدين ضنوا غَيرةً بالمحارم
وان زهدوا بالأجر إذ حمي الوغى … فهلا أتوه رَغبةً في الغنائم
دعوناكم والحربُ ترنو مُلحة … إلينا بألحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارةً عربيةً … تطيل عليها الروم عضَّ الأباهم

وجاء مودود صاحب الموصل بعسكر ليقاتل الفرنجة ، وبينما هو يصلي الجمعة في الجامع بدمشق وثب عليه باطني فقتله .

وزعموا أن ملك الفرنجة كتب إلى صاحب دمشق كتاباً فيه :

« ان أمة قتلت عميدها ، في يوم عيدها ، في بيت معبودها ، لحقيق على الله أن يبيدها » وهذا الكتاب المسجع .... ان لم يكن صدر من ملك الفرنجة ، فهو وصف لواقع الحال .

قد أخلف الوعد بدرٌ قد شُغفت به — من بعد ما قد وفى دهري بما وعدا

ان كنت انقض عهد الحب يا سَكَني — من بعد هذا فلا عاينته ابدا

وفي رواية :

« ان كنت انقض عهد الحب في خلدي »

وهي أبيات مقبولة من خليفة على كثرة ما فيها من « قد » .

* * *

المسترشد بالله العباسي (١) :

مولده سنة ٤٨٥ خلافته ٥١٢ (١١١٨ م) — مقتله ٥٢٣ (١١٣٥ م) .

من شعره لما أسره السلطان مسعود السلجوقي :

ولا عجبًا للأُسد ان ظفِرت بها — كلاب الاعادي من فَصيح وأعجم

فحربة وحشي سقت حمزةَ الردى — وموت عليٍّ من حسام ابن مُلجَم

وله ، وقد كسر ، وأشير عليه بالهزيمة فلم يفعل وثبت حتى أسر .

قالوا تقيم وقد احاط — بك العدو ولا تفر ؟!

---

(١) هو أبو منصور بن المفضل بن المستظهر .

قال فيه السيوطي : « كان ذا همة عالية ، وشهامة زائدة ، وإقدام ورأي ، وهيبة شديدة ، ضبط أمور الخلافة ، ورتبها أحسن ترتيب ، وأحيا رسم الخلافة ، ونشر عظامها ، وشيّد أركان الشريعة ، وطرّز أكمامها ، وباشر الحروب بنفسه . »

وذكره ابن الصلاح في طبقات الشافعية وناهيك بذلك فقال :

« هو الذي صنف له أبو بكر الشاشي كتاب العُمدة في الفقه ، وبلقبه اشتهر الكتاب . فانه كان حينئذ يُلقب عُمدة الدنيا والدين . » —

فاجبتُهم : المرءُ ما لم يتعظ بالوعظ غِر
لا نِلتُ خيْرًا ما حييـــت ولا عداني الدهرَ شر
ان كنت اعلم أن غير الله ينفع أو يضر

(له بقية) ـــــ عارف النكدي

ـ وذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية ، وقال : «كان في أول أمره تنسك ولبس الصوف وانفرد في بيت للعبادة .

وكان مليح الخط ، ما كتب أحد من الخلفاء قبله مثله . يستدرك على كُتّابه ، ويصلح أغاليطَ في كتبهم . »

وكانت أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين . وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ، إلى أن وقع في أسر السلطان مسعود .

وأكبَرَ أهلُ بغداد ذلك ، حتى قيل : إنهم مشَوا في الأسواق ، وحثوا التراب على رؤوسهم ، وبكَوا وضجوا ، وخرجت النساء حاسرات يندبن الخليفة . ومنعوا الصلوات والخطبة .

ووقعت زلازل يومئذ دامت أياماً . فكتب السلطان سنجر إلى ابن أخيه مسعود يقول :

« ساعةَ وقوف الولد غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب ، يدخل على أمير المؤمنين ، ويقبل الأرض بين يديه ، ويسأله العفو والصفح . وينتصل غايةَ التنصل . فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية ، ما لا طاقة لنا بسَماع مثلها ، فضلًا عن المشاهد من العواصف والبروق والزلازل . . . . وتشويش العساكر ... وامتناع الناس من الصلاة في ـــ

ــ الجوامع ... ومنع الخطباء . فالله الله تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين الى مقر عزه ... »

غير أن سبعة عشر باطنياً من العسكر ، هجموا على الخليفة في خيمته ، فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ، ومثلوا به ، فجدعوا أنفه ، وأذنيه وتركوه عرياناً . وأطلقوا ما ظهر من الآيات السماوية والأرضية ... وقتلوا معه جماعة من أصحابه . قيل ان مسعوداً ما علم بهم ، وقيل بل علم ، وقيل بل هو الذي دسهم .

وفي المسترشد يقول وزيره : جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة :

وجدت الورى كالماء طعماً ورقةً وأن أمير المؤمنين زلاله
وصوّرت معنى العقل شخصاً مصوراً وأن أمير المؤمنين مثاله
ولولا مكانُ الدينِ والشرعِ والتقى لقلت من الاعظام جل جلاله

ومن قول المسترشد :

« اللهم أصلحني في ذريتي ، وأعني على ما وليتني ، وأوزعني شكر نعمتك ، ووفقني وانصرني » .

ما كُتب عن الشاعر

دعبل بن علي الخزاعي

في القديم والحديث

– دراسة نقد وتقويم –

كان ينبغي أن تجتمع لدينا – منذ بدأنا نعنى بفهم تراثنا الأدبي ودرسه – دراساتٌ نقدٍ وتقويم ، تجمع ما كتب عن كل شاعر وكاتب ولغوي ، فتصنفه وتعرض بعضه على بعض ، وتنقده وتبين قيمته وتظهر خطأه وصوابه ؛ فتكون – بذلك – في يد الباحث دليلاً ميسراً جامعاً يسهل له طريق البحث ويوسع رقعته ، ويجنبه بعض مزالقه .

ولو عني الدارسون فينا – كلٌّ في نطاق درسه – أن يصنع هذا الصنيع لاجتمع لدينا من ذلك مقدار لا يسهل حصره ، وتيسر لمن بعدنا ما لم يتيسر لنا . وإني عنيت بدرس شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي دراسة منهجية خرجتُ منها بهذا التقويم ؛ فأرجو أن يكون فيه نفع لكل من له بالشعر السياسي أو بهذا الشاعر الكبير وشعره صلة .

* * *

يمكن أن نجعل ما كتب عن هذا الشاعر – في القديم والحديث – في ثلاث فئات :

١ – كتب التراجم قديمها وحديثها : وهي التي تضم ترجمة للشاعر تطول أحياناً حتى تجاوز الصفحات ، وتقصر أحياناً حتى لا تجاوز السطور .

٢ — كتب الأخبار : وهي التي لا تضم ترجمة للشاعر ، ولكنها تسوق أخباراً عنه تأتي في مواضعها ، فهذه قديمة كلها .

ويمكن أن تعد بعض كتب التراجم السابقة في هذه الفئة أيضاً ، لأنها تحوي أخباراً عن الشاعر ، فضلاً عن الترجمة التي جمعتها له .

٣ — الدراسات التي كتبت عن الشاعر وشعره . ونعد منها :

(أ) المقالات المتفرقة التي نشرت في بعض الدوريات أو صدرت في الكتب .

(ب) والكتب الصغيرة التي كتبت عن الشاعر وشعره .

(جـ) والبحوث التي كانت لها بالشاعر وشعره صلة من الصلات .

— ١ —

فأما التراجم فقد وقفنا منها على ما يقرب من الأربعين [1] ، يعود أقدمها إلى عصر الشاعر (القرن الثالث) ، وينتهي بعضها في هذا العصر .

وتعتبر الترجمتان اللتان كتبتا في عصر الشاعر مصدرين ثمينين : فقد كتب الأولى عالم عرف الشاعر وسمعه وحدثه . وكتب الثانية شاعر كانت أخبار الشاعر وشعره في يديه ، ولعله عرف من عرف الشاعر ولقيه .

فالترجمة الأولى كتبها ابن قتيبة [2] (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه : الشعر والشعراء . وهي ترجمة صغيرة مثل التراجم الصغيرة التي كتبها ابن قتيبة للشعراء الآخرين . وأثمن ما فيها الرأي الذي أبداه دعبل في شعره على مسمع من

---

(١) يقع كثير من هذه التراجم في الكتب التي عنيت برجال الحديث ، لأن دعبلا روى بعض الأحاديث عن المأمون ومالك بن أنس وشريك بن عبد الله وغيرهم (انظر تاريخ دمشق ٣/ ورقة ٢٧ و — ظ) .

(٢) الشعر والشعراء ٢/٨٢٥ — ٩ ؛ وفي الكتاب أخبار أخرى عن الشاعر (ارجع إلى فهرس الأعلام) .

ابن قتيبة . ويلفت نظرنا في الترجمة — وكاتبها من أعلا رجال السنة في عصره — خلوها من الطعن والتشنيع على الشاعر . وهي — فيما عدا ذلك — نقول مختصرة من شعره في الهجاء ، مع تعقيب سريع على بعضها .

والترجمة الثانية كتبها ابن المعتز [1] (ت ٢٩٦ هـ) في كتابه : طبقات الشعراء . وهي مثل الترجمات في هذا القرن : صغيرة تجتمع فيها بعض الأخبار على غير صلة . وخير ما فيها لقاء المبرد (ت ٢٨٥ هـ) — وهو شاب — لدعبل ، فان شيئاً هاماً يمكن أن يستخلص منه . ويلفت نظرنا أيضاً خلو الترجمة — وكاتبها ممن ينعتون بالنصب وبغض الشيعة — من الطعن والتجريح . بل ان فيها النص على مكانة دعبل وشعره في عصره ، وبعد عصره قليلاً .

وفي القرن الرابع يكتب أبو الفرج الأصفهاني [2] (ت ٣٥٦ هـ) في موسوعته الكبيرة : الأغاني أوفى ترجمة للشاعر . فهذه الترجمة تعتبر — إلى اليوم — أوفى ما جاءنا عن الشاعر . وعنها أخذ الذين ترجموا للشاعر بعد أبي الفرج ، بحيث اقتصر جديدهم على بعض الأخبار المتفرقة القليلة . وما كان يمكن أن يعرف دعبل على نحو ما نعرفه اليوم لولا ما كتبه أبو الفرج .

والترجمة طويلة في أكثر من سبعين صفحة ، يمكن أن نستخلص منها ملامح الشاعر الأساسية . والأخبار فيها مسندة كلها ، ولكن الاسناد لا يخليها — حين نجمع بعضها إلى بعض — من التناقض في بعض الأحيان . وقد يصعب على الباحث أن يوفق بين الروايات المتضاربة في بعض المواضع . وليست هناك صلة بين هذه الترجمة والترجمتين المتقدمتين ، فقد أخذها أبو الفرج عن رواة عرفهم .

---

(١) طبقات الشعراء ٢٦٤ ــ ٨ ، وفي الكتاب أخبار كثيرة أخرى عن الشاعر : (فهرس الأعلام) .

(٢) الأغاني ٦٨/٢٠ ــ ١٤٥ ، وفي الموسوعة أخبار كثيرة أخرى عن الشاعر .

وكتب المرزباني (ت ٣٨٤ ﻫ) — في هذا القرن أيضاً — ترجمة أخرى في كتابه : تلخيص أخبار شعراء الشيعة [١] ، وانفرد فيها بايراد روايات شاذة تفسح المجال للبحث والنظر .

وفي القرن الخامس كتبت ثلاث ترجمات للشاعر . الأولى كتبها رجل من رجال الشيعة ، والأخريان كتبهما رجلان من كبار رجال السنة .

فالترجمة الأولى للنجاشي [٢] (ت ٤٥٠ ﻫ) في كتابه المعروف بكتاب الرجال . وليس فيها شيء غير التعريف بنسبه وتشيعه ومؤلفيه . ولكن ترجمة أخرى مفيدة — على قصرها — كتبها النجاشي في الكتاب [٣] لأخي دعبل (علي بن رزين) وروى خبرها — بالاسناد — عن ولده إسماعيل ، تعتبر مكملة لترجمة دعبل . وقد أفاد منها الخطيب البغدادي [٤] (ت ٤٦٣ ﻫ) — كاتب الترجمة الثانية — في الترجمة الصغيرة التي كتبها للشاعر في تاريخه الكبير : تاريخ بغداد . وقد طعن الخطيب — وهو من رجال السنة — على دعبل ، وروى من صفاته ما يقبح في العين وينقض ما نعرف من صفات الشاعر في المصادر المتقدمة . وتعتبر هاتان الترجمتان — على كل حال — مفيدتين في تحقيق بعض الأخبار وتوقيت بعض الأحداث في حياة دعبل .

والترجمة الثالثة وردت في الكتاب الموسوم بتراجم الشعراء والمنسوب إلى

---

(١) وصلت إلينا نبذة مختارة من الكتاب فيها ترجمات ٢٨ شاعراً بينهم دعبل . وهي مخطوطة بمكتبة محسن الأمين ، نقل ما فيها من شعر الشاعر وأخباره في كتابه : دعبل الخزاعي .

(٢) كتاب الرجال ١١٦ — ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ١٩٧ — ٨ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٨٢/٨ — ٨٥ .

الثعالبي [١] (ت ٤٢٩ هـ) ، وجاءت في موضعها من الكلام على بيوتات الشعر العريقة . وهي تتميز بالعطف الواضح على الشاعر . وفيها أحكام استقرئت من مجموع شعره . وفيها جديد في الأخبار لا يوجد في غيرها [٢] ، فهي — بهذا — تعد ترجمة فريدة لا غنى عنها للباحث .

وفي القرن السادس كتب مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر [٣] (ت ٥٧١ هـ) في تاريخه الكبير : تاريخ دمشق ، ترجمة كبيرة لدعبل اهتم في مطلعها بما حدّث من الحديث عن المأمون ومالك بن أنس وغيرهما . ونقل جملة من هذه الأحاديث وضعفها . ثم انصرف إلى أخباره فجمع الروايات المتعارضة عن اسمه ونسبه . ونقل ما جاء في تاريخ بغداد عن صفاته . وأعاد رواية بعض الأخبار التي نجدها في الأغاني بإسناد جديد خاص . والجديد عند ابن عساكر — من أخبار الشاعر — تسميته امرأة الشاعر ورده خبر قتله على يد المعتصم . وقيمة الترجمة في أن أخبارها كلها تقع بإسناد دقيق حي يحسنه رجال الحديث ، فهذا يعين على التحقيق والموازنة .

وفي القرن السابع كتبت ثلاث ترجمات للشاعر . فأما الأولى فكتبها ياقوت [٤] (ت ٦٢٦ هـ) في معجمه الكبير : معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . وهي قصيرة ليس فيها جديد . ولكن احاطته بالترجمات السابقة واطلاعه على شعر الشاعر هيأ له أن يوازن بين بعض الأخبار ويصدر بعض الأحكام . فهذا هو الجديد عنده . ولم يبد ياقوت تحاملاً على الشاعر ،

(١) يغلب أن يكون ذلك خطأ لأننا عارضنا بعض ما بيد من شعر دعبل على ما ورد منه في كتب الثعالبي الأخرى فاختلفا .

(٢) تراجم الشعراء ورقة ٨٤ — ٩٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٣/ ورقة ٢٧ و — ٣٣ و .

(٤) معجم الأدباء ١١/١٠١ — ١٠٦ .

على ما يرى به في بعض كتب الشيعة . وقد كان قادراً على أن ينقل من صفات الشاعر ما تفرق في بعض التراجم السابقة ، ولكنه لم يفعل .

والترجمة الثانية كتبها ابن العديم [١] (ت ٦٦٠ هـ) في تاريخه الكبير الذي سماه : بغية الطلب في تاريخ حلب . وهي طريقة أخذ فيها كثيراً عن ابن عساكر ، وزاد عليه أشياء هامة لا يستغنى عنها في تأريخ حياة الشاعر .

والترجمة الثالثة كتبها بعده ابن خلكان [٢] (ت ٦٨١ هـ) في وفيات الأعيان معتمداً الأغاني وتاريخ بغداد . وليس فيها جديد على الاطلاق . إلا أنه جعل الشاعر في أولها خزاعياً صليبة ، ثم جعله في آخرها خزاعياً بالولاء ! وقد نقل عنه القولين — على ما يبدو — ابن حجر [٣] (ت ٨٥٢ هـ) بعد ذلك في لسان الميزان .

وفي القرن الثامن كتبت سبع ترجمات للشاعر لا يكاد يكون فيها جديد . فالثلاث الأولى كتبها الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في ميزان الاعتدال [٤] وسير أعلام النبلاء [٥] وتاريخ الاسلام [٦] . وأكبرها ما جاء في تاريخ الاسلام ، وأصغرها في ميزان الاعتدال . والجديد فيها رأي الذهبي الصريح — وهو من أعلام رجال السنة — في دعبل . وهو رأي لا ينتهي قبحه . ثم إضافة قبيحة أيضاً إلى صفاته الجسدية التي بدأ خبرها عند الخطيب البغدادي . وما تبقى — في تاريخ الإسلام — فمأخوذ كله عن المصادر المتقدمة دون اسناد . وفي إيراده

---

(١) بغية الطلب ٥/ ورقة ٣١٨ وما حولها .
(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٤ ـ ٨ .
(٣) لسان الميزان ٢/٤٣٠ ـ ٣٢ .
(٤) ميزان الاعتدال ١/٣٢٨ .
(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ورقة ١٣٨ ظ .
(٦) تاريخ الاسلام ٢/ ورقة ١٨٧ ـ ٩٤ .

التفات خاص إلى أخبار هجائه وتقول من شعره فيه ، بحيث تومئ كلها إلى شذوذ الشاعر وتمثل ما أعلن — في الميزان والسير — من « رفضه » و « خبث لسانه ونفسه » .

وقد عني الذهبي — بصفته من رجال الحديث — عناية خاصة برد الأحاديث التي حدث بها دعبل رداً صريحاً قاطعاً ، وأعاد قول الخطيب البغدادي فيها ، وسمى الذين روى عنهم ورووا عنه .

والترجمة الرابعة كتبها ابن فضل الله العمري [1] (ت ٧٤٩ هـ) في كتابه الكبير : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، بلغته المسجوعة . وهو ممن يبغضون الشاعر بغضاً شديداً لأنه أطلق لسانه في الناس . ويبدو أنه متأثر — في ذلك — ببعض المصادر المتقدمة التي أكثرت من ذم الشاعر . وليس فيها جديد على كل حال .

والترجمة الخامسة التي كتبها ابن شاكر الكتبي [2] (ت ٧٦٤ هـ) في عيون التواريخ لخص فيها أخباراً من تاريخ دمشق وتاريخ بغداد كان ابن خلكان نقلها من قبل ، فليس فيها إذن شيء خاص نقف عنده . ولم يبد ابن شاكر ميلا إلى النظر في أي خبر ليقول فيه قوله .

ويصح ما قلناه هنا أيضاً على الترجمة السادسة التي كتبها الصفدي [3] (ت ٧٦٤ هـ) في الوافي بالوفيات . على أنه أفاد — على عادته — من جهد ابن شاكر في التلخيص ، ونظر فيما كتبه الذهبي في تاريخ الاسلام ، ونقل قوله فيما حدث دعبل من الحديث .

---

(١) مسالك الأبصار ٩/ ورقة ٢٨٤ ـ ٨٨ .

(٢) عيون التواريخ ١/ ورقة ١٦٣ و ـ ١٦٥ و .

(٣) الوافي بالوفيات ٨/ ورقة ٥٣ و .

والترجمة الأخيرة كتبها اليافعي [1] (ت ٧٦٨ هـ) في مرآة الجنان . وهي أسطر تحمل أخباراً قليلة معروفة عن موته ونسبه ورثاء البحتري له ، وما رواه دعبل — ونقله الجاحظ ورددته بعده بعض المصادر — عن دبك سهل ابن هارون .

وفي القرن العاشر كتبت ترجمتان سنيتان . الأولى قصيرة كتبها طاشكبري زاده [2] (ت ٩٦٢ هـ) في مفتاح السعادة ، وليس فيها شيء : نقل بعض ما تفرق من صفات الشاعر الجسدية التي أبرزتها بعض مصادر أهل السنة منذ الخطيب البغدادي في القرن الخامس كما قلنا ، وذكر « تخرجه » على مسلم بن الوليد ، وقوله في فضل الشعر ، وحدد تاريخ وفاته .

والثانية طويلة كتبها عبد الرحيم العباسي [3] (ت ٩٦٣ هـ) في معاهد التنصيص ، ونقل فيها أطرافاً من أخبار الشاعر في الأغاني ووفيات الأعيان ، من الكتب المتقدمة .

وفي القرن الثاني عشر كتبت ترجمتان . كتبها يوسف بن يحيى [4] (ت ١١٢١ هـ) في : نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، واليبتي العلوي [5] (ت ١١٨٣ هـ) في مواسم الأدب ، واتكأا فيهما على مصادر أهل السنة ، ونقلا أشياء عن معاهد التنصيص والأغاني . ويبدو أن زبدية الكاتب الأول

---

(١) مرآة الجنان ٢/١٤٦ — ٧ .

(٢) مفتاح السعادة ١/٢٠١ — ٢٠٢ .

(٣) معاهد التنصيص ٢/١٩٠ — ٢٠٦ .

(٤) نسمة السحر ١/ ورقة ١٨٩ ظ وما بعدها .

(٥) مواسم الأدب ١/١٦١ — ٦٤ ولدعبل فيه أخبار أيضاً : ١/١٧٣ — ٧٥ و ١/١٧٧ و ٢/١٣٩ .

(يوسف بن يحيى) حجزته عن الارتقاء في مصادر الامامية ، فبدا — في ترجمته — قريباً من أهل السنة ، متحرراً — في بعض أحكامه — من اعلال المذهب .

وكتبت في القرن الذي نحن فيه ترجمات يمكن أن تلحق بالترجمات القديمة : فما أورده المامقاني [1] (ت ١٣٥١ هـ) — وهو من رجال الشيعة — في تنقيح المقال تعريف بمقام الشاعر في أهل الحديث من الشيعة ، نقل مادته عن رجال النجاشي وغيره من مصنفات الشيعة . وتنفعنا فيه لمحات يمكن استغلالها في تحديد صلات الشاعر ببعض الأئمة من آل البيت .

وما كتبه حسن الصدر [2] (ت ١٣٥٤ هـ) — وهو من رجال الشيعة أيضاً — في : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام أخذه عن جملة من كتب الأخبار والترجمات القديمة سنية وشيعية . على أنه حاول أن ينظر في بعض الأخبار التي تعنيه ويحققها .

* * *

هذه هي جملة الترجمات القديمة وشبه القديمة التي كتبت عن الشاعر [3] ، يمكن أن نخلص منها بالملاحظات التالية :

---

(١) تنقيح المقال ٤١٧ ـ ١٩ .

(٢) تأسيس الشيعة ١٩٣ ـ ٩٥ .

(٣) أغفلنا ترجمات أخرى لا غناء فيها مع ما ذكرنا . ويمكن الرجوع إليها في الكتب التالية : كتاب الرجال للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ونهاية الأرب للنويري (ت ٨٢١ هـ) وخلاصة الأقوال في معرفة الرجال لابن المطهر الحلي (ت ٧٢٦ هـ) . ولسان الميزان لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) وجامع الرواة للأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ) وشذرات الذهب لابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ) ومنتهى المقال لأبي علي المازندراني (ت ١٢١٥ هـ) وهدية العارفين للبغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) ومنهج المقال لميرزا محمد (ت ١٣١٢ هـ) والذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك . وترجمات أخرى صغيرة في بعض كتب الحديث .

ا — بعد ما كتبه أبو الفرج في الأغاني عمدة هذه الترجمات وما جاء من الجديد في بعض الكتب بعده — حتى القرن السادس — يسير قد ينفع في التحقيق والموازنة . وليس بعد ذلك شيء يضاف إلى ما تقدم .

ب — ينتهي الاسناد في أخبار الشاعر ، في القرن السادس . وما جاء بعده نقل عن المصادر المتقدمة نقلا ولم يؤخذ بطريق الرواية الحية .

ج — تفترق مصادر أهل السنة عن مصادر الشيعة في تصوير الشاعر : فعلى حين تصوره الأولى شاعراً شاذا خبيث اللسان أصم أحدب في قفاه سلعة ، تعده الثانية بطلاً من أهل الايمان والمنزلة ، لا تأخذه في الحق لومة لائم .

د — تكون هذه الترجمات — على اختلافها — من أخبار مخلخلة تنوقلت — أحياناً — لطرافتها وإثارتها . على أنها تعتبر مادة أساسية يمكن أن تستغل في كتابة حياة الشاعر أو تحديد ملامحها على الأقل ، على أن تخضع للنقد ، وتصفى ، وتسد ثغرها ، وتوضع الأحداث في مواضعها — قدر الامكان — حتى يبدو عمل الحياة فيها نمواً واطراداً .

ولننظر الآن في الترجمات الحديثة التي كتبت عن الشاعر ، في ضوء هذه الملاحظات :

فأما الترجمة الأولى فقد كتبها شاده (A. Shaade) في دائرة المعارف الاسلامية (١) ، معتمداً فيها — على ما يبدو — الأغاني وحده ، مع نظرات في معجم البلدان ، وان جهد أن يحيط بكل ما كتب عن الشاعر ، مما ذكره في مصادر المادة التي كتبها . فهذا قصر خطوه ، وأغرقه في افتراضات كان يمكن أن ينفصل في بعضها لو وسع الاحاطة بالمصادر الأخرى ، فان فيها

(١) Encyclopédie de l'Islam 1/994 — 5 وانظر الترجمة العربية ٩/٢٤١ — ٤٤ ، ر .. وقد لاحظنا أن هذه الترجمة لا تتسم بالدقة في أكثر من موضع .

— كما رأينا — روايات تنفع في التحقيق والموازنة ، وقد تسد بعض الثغر . وأغفل — من ناحية أخرى — حقائق في حياة الشاعر لعل الترجمة المختصرة لم تسعها .

على أنه يحمد له أن يسلم — منذ مطلع الترجمة — بعجزه عن كتابة حياة الشاعر ، ويقصر الترجمة على استخلاص بعض الحقائق ومحاولة ترتيبها ترتيباً تاريخياً ، وان بدأ ذلك في بعض جوانبه مختلا . على أنه لما انتهى إلى أن ينظر في شعر دعبل « نظرة نقدية » — على نحو ما سماها — أخطأ خطأً بليغاً ظهر أثره فيمن كتب بعده عن الشاعر من المستشرقين .

والترجمة الثانية كتبها بروكلمان C. Brockelmann في كتابه الكبير : تاريخ الأدب العربي [1] ، واعتمد فيها الأغاني أولاً ، ثم بعض الإشارات المتفرقة في معجم البلدان والعمدة ورسالة الغفران . ولعله نظر نظرة خاطفة إلى ما كتبه Schaade في دائرة المعارف الاسلامية ، فقد لحق به حيناً ثم اختط لنفسه سبيلاً أخرى أكثر اعتدالاً وحرصاً على الارتباط بالنصوص . ولكنه أخطأ في أكثر من موضع ، وذلك — في النصف الثاني من الترجمة — على أنه لم يحرص على ترتيب حقائق حياة الشاعر ترتيباً تاريخياً بقدر حرصه على أن يعرف به تعريفاً عاماً .

ويبقى فضل ما كتبه — باعتباره فهرسة مفيدة — قائماً .

والترجمة الثالثة كتبها جرجي زيدان [2] (ت ١٩١٤ م) في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية . وهي مكونة من مجموعة صغيرة من أخباره وشعره انتقاها

(١) Geschichte der Arabischen Litteratur : الأصل 1/77 والملحق : 2 — 1/121 وانظر الترجمة العربية (ترجمة النجار) ٢/٣٩ ـ ٤١ (وقد ضم نبها الملحق إلى الأصل) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٨١ ـ ٢ .

من الأغاني أولاً ، ووصفها بحيث قدر أن تبدو منها « شاعرية » دعبل وقدرته على « انتقاء الألفاظ » وتسلطه على الهجاء وانصرافه إلى مديح آل البيت بمدائح « بغاية البلاغة » . فالترجمة إذن تعريف سريع بالشاعر لم يرم كاتبها إلى أبعد منه . وقد تبدو بعض الأخبار التي ساقها نابية في موضعها ، وقد يحتاج بعضها إلى أن ينظر فيه .

والترجمة الرابعة كتبها هيوار Cl. Huart في كتابه أدب عربي (١) . وهي مختصرة أفاد فيها من الأغاني ومما كتبه Schaade في دائرة المعارف الإسلامية . ولم يرم إلى أكثر من أن يعرف بالشاعر وبمكانته الفنية تعريفاً عاماً . وبعض ما قاله في حاجة إلى تصحيح .

والترجمة الخامسة كتبها بطرس البستاني (٢) في كتابه : أدباء العرب في الأعصر العباسية ، فأحسن — أحياناً — فهم الأخبار . ولكنه ظن أن ما قرأه منها جامعاً لأخبار حياة الشاعر كلها فأجاز لنفسه أن يخطئ ويصوب ويقرر الأحكام في غير حرج ، ويؤخذ عليه — في الجملة — ابرامه الأحكام القاسية العامة في غير كلفة ، من مثل قوله : « فليس في أخلاق دعبل ما يستحق الحمد والثناء ، فهو عصارة اللؤم المصفى » . ولو قدر له أن يطلع على أخبار الشاعر في كتاب الفهرست لابن النديم لرجع عن كثير مما قاله . ولو اطلع على نماذج أخرى من شعره — غير التي قرأها — لغير ذلك مما قاله في شعره ومسلكه فيه . وربما كان اطلاعه على ترجمة الشاعر في تاريخ دمشق لابن عساكر ينفعه في نقد بعض الروايات التي قرأها في الأغاني ، عن طريق مقابلتها بروايات أخرى في تاريخ دمشق أكثر اتفاقاً مع ما نعرف من أحداث حياة الشاعر وما نقرأ من شعره .

---

(١) Litterature arabe P. 78 — 9

(٢) أدباء العرب في الأعصر العباسية ١٢٣ ــ ٣٦ .

والترجمة السادسة كتبها محمد سيد كيلاني [1] في كتابه : أثر التشيع في الأدب العربي ، ووثق فيها — من حيث لا يدري على الأغلب — إلى أن عد الشاعر كيسانيًا مثل كثيّر والسيد الحميري ! ولم يفرق بين موضع ولادته وموضع موته . ولم يكن لكاتبها — فيما يبدو — غرض غير التعريف بالشاعر على الوجه الذي اختاره !

والترجمة السابعة كتبها حنا الفاخوري [2] في كتابه : تاريخ الأدب العربي ، فأحسن فيها قراءة النصوص فلم يشذ عنها . واقتصر على ملامح حياته الكبيرة المقررة . وأفاد مما كتبه العقاد في المراجعات فخرج — في دراسة سلوكه باعتماد النص — بحكم يماثل حكمه . ويؤخذ عليه التعميم الذي يضيع في ثناياه كثير من المفارقات الانسانية ذات الأثر الواضح في تكوين ملامح الإنسان النفسية وتفسير سلوكه . على أن الترجمة — وهي تعتبر دراسة أيضًا — تؤدي غرضها المدرسي الذي كتبت من أجله . وقد بثت فيها نظرات نقدية سليمة على الاجمال أفاد في بعضها مما كتبه مارون عبود في الرؤوس .

والترجمة الثامنة كتبها الدكتور ناصر الحاني [3] في كتابه : النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ، واعتمد فيها الأغاني وحده تقريبًا . وكان غرضه أن يصور مسلك الشاعر في الهجاء (وهو المسلك التقليدي في رأيه) فأكثر من عرض النماذج التي تدلل على « شرة الشاعر واستعداده للهجاء » .

والترجمة التاسعة — وهي الأخيرة — كتبها الدكتور محمد نبيه حجاب [4]

---

(١) أثر التشيع في الأدب العربي ١٢٦ — ٣٠ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ٥٠٥ — ٨ .
(٣) النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ١٥٦ — ٦٣ .
(٤) مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ٣٠١ — ٤ .

في كتابه : مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري . وهي — كلها — ورطة كبيرة ساقه إليها وهم وقع فيه ابن خلكان إذ أخرج الشاعر من العرب ، وزاد عليه هو فأدخله في الفرس ! وقد كان نظر بسيط في خبر ابن خلكان بعطفه على مطلع الترجمة كفيلاً أن يجلو الأمر . ثم لم يكفه ذلك فأخرج الشاعر من الشيعة أيضاً وعد تشيعه « لمآرب سياسية فارسية » ! ودلل على ذلك بما ذكره من افتراء الشاعر للحديث على أنس بن مالك — ولم يقل بذلك أحد غير الكاتب — وبما قاله فيه أبو العلاء في رسالة الغفران ! ثم فسر — بعد ذلك — بعض هجائه تفسيراً يصفه بهذه المقدمات .

☆ ☆ ☆

نخرج من تقويمنا للترجمات الحديثة [1] التي كتبت عن الشاعر بغير طائل كبير . وقد كتب معظمها للتعريف بالشاعر . وما كتب منها للدراسة والبحث قصر عن الإفادة من مصادر كثيرة ونماذج مدونة من شعره كانت تعين على تصحيح بعض الأحكام وجلاء بعض الغوامض . ويبقى ما كتبه Schaade في دائرة المعارف — على ما فيه — أقربها إلى التدقيق والالتزام بمنهج من المناهج ، وأكثرها شعوراً بالتبعة ورغبة في مواجهة الصعاب . ثم يليه في ذلك بطرس البستاني وحنا الفاخوري .

— ٢ —

فأما كتب الأخبار فليست كثيرة . والأخبار فيها متفرقة مبتورة . وهي

---

(١) أغفلنا ذكر الترجمتين الواردتين في كتاب عصر المأمون لأحمد فريد الرفاعي (٣/٢٥٥ — ٦٤) والحياة الأدبية في العصر العباسي لعبد المنعم خفاجي (١٧٨ — ٨٩) لأنهما محمودة من النقول عن الأغاني بخاصة ، ويمكن أن تلحقا بالترجمات شبه القديمة التي ذكرناها هنا من قبل .

أكثر ما تعين على دراسة شعر الشاعر ومعرفة قدره في الرواية وذوق الشعر. وقد يعنى بعضها بتفصيل واقعة من الوقائع في حياة الشاعر أو حياة بعض من كانت له بهم صلة لصيقة ذات أثر في حياته. وربما عجزنا عن استغلال بعض الأخبار فيها لما يتخلل حياته من غموض وانقطاع في بعض الأحيان.

وأم هذه الكتب (١) :

كتاب بغداد لابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ) وهو يلقي ضوءاً حسناً على صلات الشاعر ببعض رجال العصر في خلافة المأمون.

وديوان ابن الرومي المخطوط بدار الكتب المصرية (١٢٩ أدب). وهو لا غنى عنه في دراسة تأثير شعر الشاعر على كبار الشعراء بعده، وما سبق إليه من طرق الهجاء.

وكتاب الورقة لابن الجراح (ت ٢٩٦ هـ) ويكاد يحفظ لنا ملامح كثيرة متكاملة من كتاب دعبل الضائع: طبقات الشعراء، ويصور لنا منهجه الذي اتبعه في تصنيفه. وربما أعان على تقدير مكانته في الدراية بالشعر والشعراء وصفته ببعض معاصريه منهم.

وكتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (ت ٣٣١ هـ) ويعين على فهم صلات الشاعر ببعض وزراء العصر وكتابه.

وكتاب أخبار أبي تمام والأوراق للصولي (ت ٣٣٥ هـ) صانع ديوان دعبل.

(١) أغفلنا الكتب الثانية لأن في بعض ما سنذكره غناء عنها: الفرج بعد الشدة للتنوخي (ت ٣٨٤ هـ) ومعرفة أخبار الرجال للكشي (القرن الرابع) والارشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) وبشارة المصطفى للطبري الآملي (القرن السادس) وروضة الواعظين للفتال النيسابوري (القرن السادس) والغرر والعرر للوطواط (ت ٧١٨ هـ).

ويعنى الأول ببعض أخبار الشاعر مع أبي تمام . وقد يفتح بذلك باباً لتبين صلات الشاعر بشعراء عصره . ويعنى الثاني بأخبار الشاعر مع إبراهيم بن المهدي ؛ وهي أخبار معروفة تعين على توثيق ما جاء منها في المصادر الأخرى .

وكتاب الولاة (لولاة مصر) للكندي (ت ٣٥٥ هـ) ويجلو أحداثاً وصلات تتصل بحياة الشاعر في مصر .

وكتاب الموازنة والمؤتلف والمختلف للآمدي (ت ٣٧٠ هـ) والموشح ومعجم الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) وتنفع في دراسة شعره وأحكامه النقدية ومعرفته بالشعراء وشعرهم ، وفي استكمال ملامح ناقصة من كتابه الضائع : طبقات الشعراء .

وكتاب عيون أخبار الرضا لابن بابويه (ت ٣٨١ هـ) وهو من كتب الشيعة المتقدمة . وينفع في تصوير ما عنوا به من أخبار مقابلة الشاعر للإمام الرضا في خراسان ، وما تناقلوه — من بعد — عن انتفاعه بجبة الإمام .

وكتاب مرآة المروءات للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) وفيه خبر هام يعين على تقدير ما عرف في عصر الشاعر من حسبه ومروءته .

وكتاب الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي (ت ٤٣٣ هـ) وينفع في دراسة مكانة شعره وتأثيره على كبار الشعراء من بعده .

وكتاب الأمالي للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) وهو من مصادر الشيعة ، وينفع في تصوير مقابلة دعبل للمأمون وانشاده رائيته الكبيرة .

وكتاب العمدة لابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) وفيه أخبار متميزة تنفع في دراسة شعره وتلقي ضوءاً على بعض أحداث حياته .

وكتاب معجم البلدان لياقوت (ت ٦٢٦ هـ) وفيه أخبار كثيرة هامة ترد

في مواضعها من الكلام على بعض البلدان والمواقع . وهي أخبار تفرد بها ياقوت بحيث لا يمكن أن يستغنى عن معجمه هذا في معرفة الشاعر .

وكتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (أواخر القرن السابع) وينفع في معرفة ما وقع لدعبل مع الشاعر التاهرتي بكر بن حماد الذي كان يزور بغداد أيام المعتصم . ويبين جانباً من عطف أبي تمام على دعبل ودفعه المكروه عنه . وخبره في ذلك فريد .

وكتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥ هـ) وهو من كتب الشيعة المتأخرة . وقد نقل وصف زيارة الشاعر للإمام الرضا في خراسان ، على نحو ما وردت في كتب الشيعة من قبل . على أن فيه ما يعين على فهم عقيدة الشاعر فهما حسناً .

* * *

ونعتقد أنه لا يمكن أن يستغنى عن كتاب من هذه الكتب في كتابة حياة الشاعر وفهم تجاربه ودراسة شعره ، فان في كل منها أخباراً ينفرد بها بحيث يضيء جانباً ليست للكتب الأخرى صلة بها [1] .

---

(١) يمكن أن نضيف الى ما ذكرنا الكتب التالية ـ وفيها أخبار متفرقة ينتفع ببعضها : العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) ، والأمالي وذيله للقالي (ت ٣٥٦ هـ) ، وزهر الآداب وذيله للحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) ، والأمالي والحماسة لابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ) والحماسة البصرية للبصري (ت ٦٥٩ هـ) ، وجمهرة الإسلام للشيزري (ت ٦٢٢ هـ) ومعالم العلماء لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨ هـ) ، ومقتل الحسين لأخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ) والدر الفريد لابن أيدمر (ت ٦٩٤ هـ) ، وكتب التذكرات لابن حمدون (ت ٥٦٢ أو ٦٠٨ هـ) والصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، وتحفة المجالس للسيوطي (ت ٩١١ هـ) والمنتخب في المراثي والخطب لابن طريح النجفي (ت ١٠٨٠ هـ) والمجموعة المخطوطة (٨٧٥ أدب تيمور) بدار الكتب المصرية .

أما الدراسات التي كتبت عن الشاعر فلا تتعدى — كما قلنا من قبل — :

أ — مقالات قليلة نشرت في بعض المجلات والكتب .

ب — وكتباً صغيرة صدرت في بغداد ودمشق .

ج — وآراء وأحكاماً تتصل بالشاعر وشعره ، في بعض البحوث .

نعد من المقالات ما كتبه العقاد في كتابه : مراجعات في الآداب والفنون ، وما كتبه مارون عبود في كتابه : الرؤوس ، وما نشره عبد الحليم عباس وعبد العظيم علي القناوي في مجلة الرسالة .

ونعد من الكتب كتاب السيد محسن الأمين الذي سمي (دعبل الخزاعي) ، وهو طبعة مستقلة لما نشر — في الأصل — في كتابه الضخم أعيان الشيعة . والكتاب الصغير الذي أصدره جرجس كنعان وسماه (دعبل الخزاعي) أيضاً . والفصل الذي عقده خليل رشيد في كتابه الصغير : ثلاثة من الأعلام .

ونعد من البحوث التي وردت فيها آراء وأحكام تتصل بالشاعر وشعره كتاب ابن الرومي : حياته من شعره للعقاد ، وكتاب صريع الغواني للدكتور جميل سلطان ، وكتاب المدائح النبوية في الأدب العربي للدكتور زكي مبارك وكتاب تاريخ الشعر السياسي لأحمد الشايب ، وكتاب Langue et littérature arabes لبلا (Cl. Pellat) ، وكتاب Un poète arabe du III siècle de l'Hégire : Buhture للدكتور صالح الأشتر ، وكتاب حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق للدكتور محمد جابر عبد العال ، وكتاب أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري لعبد الحسيب طه حميدة ، وكتاب الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري للدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، وكتاب مسلم بن الوليد صريع الغواني لفؤاد حنا ترزي ، وكتاب فن الهجاء لايليا حاوي .

* * *

١ — ونعتبر مقالة العقاد [١] — على قصرها وضعف التثبت من النصوص التي اعتمدتها والرغبة العميقة في التعميم — مقالة رائدة ، ألقت ضوءاً كاشفاً على نفس الشاعر ، فأعطت بهذا تفسيراً جامعاً لسلوكه . وقد أفاد منها كثير من الباحثين تابعوا العقاد ، على غير وعي أحياناً بما يضيعه التعميم من مفارقات عظيمة الخطر .

وتقل عنها كثيراً المقالة التي كتبها مارون عبود [٢] ، فقد درج فيها على نهجه الذاتي المفرط . ولم يفلح تظرفه وأسلوبه المسرحي في إلقاء الأحكام في أن يخفي ابتسارها . وغرق — وهو يسبح وراء العقاد — في محاولة لقياس شخصية الشاعر بقياس واحد مستخلص من فروق ذهنية غامضة بين كلمتي : الظرف والشطارة .

فأما مقالة عبد الحليم عباس : دعبل الخزاعي الشاعر المتمرد [٣] ، فقد انطلق فيها مما كتبه العقاد . ولكنه فرط — في النصف الأول منها — بالكلام على شعره ، فلما بدأ — في النصف الثاني — الكلام على نفسه لتفسير تمرده بدا معوله كليلا ، فاكتفى بأن ضرب أمثلة من هجائه ، ثم انتهى إلى أن نفسه « فطرت على الشعر » ، « فالسر في تركيبه » !

ومقالة عبد العظيم علي القناوي : دعبل الشاعر الشجاع الوفي [٤] ، محاولة رقيقة — نظر فيها إلى العقاد أيضاً — لتفسير ما قرر الكاتب من شجاعة الشاعر ووفائه . ولكنه اضطرب بين الأسباب والمسببات فقرر — في البدء — أن « السر في شجاعته أنه كان أول أمره وبدء نشأته من الطريق وولغة دماء

(١) مراجعات في الآداب والفنون ١٦٤ وما بعدها (مع كلامه على بشار بن برد) .
(٢) الرؤوس ١٣٦ ــ ٩ .
(٣) الرسالة : السنة ٥ ص ١٥٨٧ ــ ٩ .
(٤) الرسالة : السنة ١٤ ص ١٠٦٠ .

البشر » ! ثم عاد فتحدث عن « نفسيته الحانقة على البشر » ، ثم رآه — مع ذلك — وفيا لآل البيت !

فمقالة العقاد إذن هي المقالة الأصيلة التي تحكم هذه المقالات وتأسرها ، بحيث تضطرب كلها في شباكها .

ب — فأما كتاب السيد محسن الأمين : دعبل الخزاعي [١] ، فمجموعة من النقول عن المصادر القديمة — سنية وشيعية — جهد أن يرتبها من حول الموضوعات التي قررها ، فأخفق أحياناً . وقد يعجز الباحث أن يلقى الكاتب على صفحات الكتاب إلا في مواضع قليلة ، في مثل الموضع الذي اتهم فيه ياقوتاً بالنصب [٢] . ويبقى للكتاب فضل جمع النصوص من بعض مصادرها الشيعية التي تبعد عنا أحياناً .

وكتاب جرجس كنعان : دعبل الخزاعي [٣] ، محاولة لترتيب مادة الأغاني ترتيباً تاريخياً مع النظر إلى بعض المراجع القليلة الأخرى . وغرضه « إظهار الوجه الأبيض من حياة دعبل » و « الطلوع على العامة بأثر هذه الشدة التي كان يقاسيها أصحاب العقائد [٤] » . وقد كلفه التزام العمل لهذا الغرض أن يصطنع التأويل والافتراض ليغطي على القارئ بعض الحقائق . فكان يتلمس لدعبل

---

(١) يقع في حوالي مائة صفحة من القطع المتوسط .

(٢) دعبل الخزاعي للأمين ٧٥ ، وبذلك يبين خطأ من قال فيه : « أن المؤلف يمحص الأخبار ويطرح الزائف منها وينقد المشكوك فيه ، ويقارن ويوازن ، وقد يستنبط فوائد كثيرة تدل على ميله إلى التحليل العميق » : ابراهيم الوائلي : كلمة في الكتاب : الرسالة : السنة ١٨ ص ٢٣٠ — ٣١ .

(٣) يقع في ١١٤ صفحة من القطع المتوسط .

(٤) دعبل الخزاعي لكنعان ٢ وهو — في الأصل — رأي السيد محسن الأمين الذي أبداه في كتابه : دعبل الخزاعي للأمين ٨ و ١٩ .

الأعذار جاهداً في كل خطوة ، وبالغ على معاصريه – ممن خالفهم – إصر ما فرط من دعبل !

على أن الكتاب لم يؤت من هنا بقدر ما أتى من معرفة الكاتب بالرجال والأحداث معرفة ناقصة ، ومن جرأته – مع ذلك – على إصدار الأحكام وتخطئة أعلام المؤرخين في أيسر كلفة ! .

والفصل القصير الذي كتبه خليل رشيد في كتابه : ثلاثة من الأعلام[1] ، نظر فيه نظراً حاداً إلى كتاب جرجس كنعان وترسم طريقه ، ولكنه لم يبلغ مبلغه . فما زاد الفصل على أن يكون تعقيبات انشائية – ذات صبغة مذهبية واضحة – على بعض الأحداث والنصوص الشعرية .

وتبقى بعد ذلك محاولة مدرسية كتبها بدر المقداد – في جامعة دمشق – بعنوان : حياة دعبل بن علي الخزاعي[2] ، وقدم لها بوصف « الحالة السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية » في عصر دعبل . وتطرق إلى الكلام على عقيدته ونسبته واتصاله بالخلفاء والأمراء وبعض شعراء العصر . والمحاولة في مستوى مدرسي لا يضير صاحبها .

فليس يكاد يكون في هذه الكتب إذن ما يضيف إلى القديم إضافة حقيقية ملحوظة . ويبقى كتاب الأمين خيرها ، لأنه يجمع بعض المواد المشتتة أو البعيدة فيقربها إلينا .

ج – ويذكر العقاد في كتابه : ابن الرومي : حياته من شعره ، دعبلا

(١) يقع الفصل في اثنين وعشرين صفحة من القطع الصغير : ثلاثة من الأعلام ٩٤ – ١١٦ .

(٢) تقع في تسع وثلاثين صفحة من القطع الكبير .

في موصفين : الأول كلامه على هجاء ابن الرومي [١] ، ويأتي فيه برأي في هجاء دعبل لا تؤيده الشواهد القريبة من شعره . والثاني كلامه على ابن الرومي وشعراء عصره [٢] ، وفيه بيان لتأثر ابن الرومي — في مطلع حياته — بدعبل ، قائم على شواهد صحيحة مما حفظ ديوان ابن الرومي من معارضةٍ لبعض قصائد دعبل . وفيه رأي جريء في تأثير دعبل على ابن الرومي ليس هنا موضع تفصيله .

وعرض الدكتور جميل سلطان [٣] في كتابه : صريع الغواني ، لصلة دعبل بأستاذه مسلم بن الوليد بما لا يخرج عن الروايات المعروفة في المصادر القريبة .

وخصص الدكتور زكي مبارك [٤] في كتابه : المدائح النبوية في الأدب العربي فصلا للكلام على تائية دعيل في مديح آل البيت . ولكنه لم يتكلم عنها ، وانما نقل — في آخر الفصل — أخباراً عنها وردت في الأغاني ثم أوردها كلها عن معجم الأدباء . فأما الجزء الأول من الفصل فخصصه للنظر في « المشكلة الحقيقية في نفسية دعبل » وهي — في رأيه — اجتماع « الشر » و « التصوف في حب أهل البيت » في نفسه . وقد انتهى — في « حلها » — إلى مقالة العقاد سابقة الذكر ، وما نشك أن الكاتب قرأها قبل أن يكتب هذا الفصل . على أنه قدر أن يتلمس — لأسباب لعلها لا تبعد كثيراً عن نفس الكاتب — عقدة المزية في نفس دعبل ، فهذا وحده اضافة كبيرة .

وفطن أحمد الشايب [٥] في كتابه : تاريخ الشعر السياسي إلى صفة هامة من

---

(١) ابن الرومي : حياته من شعره ٢١٧ — ١٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٣٥ ـ ٨ .

(٣) صريع الغواني ٢٨ ـ ٣٦ .

(٤) المدائح النبوية في الأدب العربي ١٠٢ ـ ١١٦ (الفصل الخامس) .

(٥) تاريخ الشعر السياسي ١٦٢ وقد عرف الكاتب بالشاعر في مواضع أخرى من كتابه : ص ٩ و ١٧١ ـ ٢ .

صفات شعر الشاعر السياسي ، في انصرافه عن الحجاج إلى التصوير المؤثر . ولكنه قصر ذلك على الثانية لأنه — على ما يبدو — وقف عندها من دون شعره السياسي كله .

وضرب (١) Charles Péllat في كتابه Langue et littératures arabes شعر دعبل مثلا على اختلاط الهجاء بالمديح عند شعراء العصر . وأظهر — في حكمه على شعره — تأثره بما كتبه Schaade في دائرة المعارف الاسلامية .

وعرض الدكتور صالح الأشتر — في مواضع كثيرة من رسالته (٢) : Un poète arabe du IIIe siècle de l'Hégire : Buhturi. لصلة البحتري بدعبل ، فنحا في تفسيرها نحواً مذهبياً حقيقاً بالنظر ، لما لمس من ميل البحتري إلى التشيع ميلا جهد في اخفائه كي لا يفسد حياته (٣) .

وذكر الدكتور محمد جابر عبد العال (٤) في كتابه : حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق ، دعبلا ، فوضعه في الشعراء الجان الذين اتسم هجاؤهم — لتأثرهم بجرأة « الرافضة » في الكوفة بخاصة على الثلب والطعن — بالفحش والاقذاع . وضرب لذلك أمثلة من شعره السياسي . وانتهى إلى أن الشاعر آمامي يدين بعقيدة الامامية !

وورد ذكر الشاعر في كتاب : أدب الشيعة إلى نهاية القرن الهجري ، لعبد الحسيب طه حميدة مرات قليلة حشر فيها في زمرة الامامية المنادين بالرجعة والواصلين « إلى قمة التصوف في الحب الشيعي والإخلاص في الرأي والفناء في العقيدة (٥) » .

---

(١) Langue et littérature arabes p. 114

(٢) V. l'index des noms propres p. 347

(٣) Une poete arabe du III siècle ... p. 93. 1645

(٤) حركات الشيعة المتطرفين ١١٤ ــ ١١٥ ، ١٢٣ ــ ١٢٥ (على التعاقب) .

(٥) أدب الشيعة ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٥٩ ــ ١٦٠ (على التعاقب) .

وذكر الدكتور أحمد عبد الستار الجواري [١] في كتابه : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث ، دعبلاً في مواضع كثيرة : فضرب من شعره أمثلة من المعاني التي كان شعراء العلوية في عصره يرددونها ، من رثاء آل البيت وهجاء الخلفاء العباسيين . وأشار إلى إسهامه في إثارة العصبية القبلية وتأثره — في أول حياته الفنية — بأستاذه مسلم بن الوليد ، ثم خروجه عليه وعوده إلى « تقليد القدماء واتباع طريقتهم » . وضرب من شعره أمثلة على الهجاء الساخر الذي شاع عند شعراء القرن الثاني وأخذ به دعبل .

وعرض فؤاد حنا ترزي [٢] في كتابه : مسلم بن الوليد صريع الغواني ، لصلة دعبل بمسلم ، فأشار إلى الرعاية الفنية التي شمل بها مسلم دعبلا في مطلع حياته . ولكنه لم يبين أثرها في شعر دعبل ، واكتفى بأن أعاد ما روته المصادر المختلفة من اتفاقهما على المجون يوماً ، وافتراقهما على أثر زيارة دعبل لأستاذه في جرجان .

وعقد ايليا حاوي [٣] في كتابه : فن الهجاء وتطوره في الشعر العربي ، فصلاً تكلم فيه على هجاء الشاعر ودلالاته النفسية . ولكنه قصر اطلاعه على ما في الاغاني ، وعمم أحكامه أحياناً حتى ليعد كلامه — فيها — صورة أمينة لما تحفل به بعض دراساتنا العامة من تفصيلات خاطئة . فاذا تجاوزنا ذلك وأغضينا عن كلف الكاتب — في بعض الأحيان — بالتعبير الغريب الغامض ، خرجنا

---

(١) الشعر في بغداد ١٠٦ ــ ٩ ، ١١٧ ، ١٤٠ ــ ٤٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢ ، ــ ٤٣ ، ٢٤٦ (على التعاقب) .

(٢) مسلم بن الوليد ١٧٧ ــ ٨٠ .

(٣) فن الهجاء ١٣٥ ــ ٥٢ .

من الفصل بتفسير تفسي مهوش لهجاء الشاعر ، ولكنه — على هذا — لا يخلو من صدق التصوير وحسن التقويم في عرضه للنماذج المختلفة .

ويعد هذا الفصل — إلى جانب ما كتبه العقاد ومبارك والجواري — أحسن ما وقفنا عليه من هذه البحوث [١] ، لأنها خرجت عن مجرد التعريف والعرض إلى التفسير والنقد ، فأضافت بذلك جديداً يعين على تقويم القديم وفهمه وتذوقه ، وهو ما لم توفق إليه البحوث الأخرى .

الدكتور عبد الكريم الأشتر

---

(١) أغفلنا ما كتبه محمد جواد مغنية في كتابه : الشيعة والحاكمين ، لأنه تكرار لما توصف به الثانية ، في بعض مصادر الشيعة : الشيعة والحاكمون ١٧١ — ٢ .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا · ل · كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات الطبية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ٣ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
1497	Ballonné, ée météorisé, ée	مُتَطَبِّل ، حَبِط	١٤٩٧
1498	Ballonnement, gonblement V. météorisme	تطبّل ، انتباج ، انظر حبَط	١٤٩٨

وأرجح في ترجمة اللفظة الأولى منتفخ البطن وفي الثانية انتفاخ البطن وانتباجه (١)

1507	Bandage, pansement	رَبْط ، تَضْميد	١٥٠٧

(١) ليس في اللغة فعل تطبّل ونحن في غنى عن استعماله ما دامت لفظة انتفاخ تفيد المعنى نفسه وكذلك لفظة حَبَط وحَبيط فهي الانتفاخ أيضاً . فقد جاء في اللسان : والحَبَط وجع يأخذ البعير في بطنه من كلاء يستوبله وقد حبط حَبَطاً فهو حَبِط . إلى أن قال : وحَبِطت الشاة بالكسر حَبَطاً انتفخ بطنها عن أكل الذُّرَق .

وأقر مجمع اللغة ضمادة للفظة (Bandage) .

1527 Bandelette, ruban سبيبة ١٥٢٧

وأرجح شُرَيطة تصغير شريط . أما سبيبة فهي خاصة بخُصلة الشعر [١] .

1529 Bandelettes du colon, Taenia coli سبائب القولون ١٥٢٩

وأرجح شُريطات القولون ، شريط القولون (وقد أهملته اللجنة) .

1533 Barbe de plume, barbe de caoutchouc بُرائل الريشة ، بُرائل المَطّاط ١٥٣٣

وأرجح أن يقال خيوط الريشة ونوائت المَطّاط . فقد جاء في معجم لاروس في شرح اللفظة الأولى الخيوط (Filaments) المفروشة في جوانب ريشة الطير ، وفي شرح اللفظة الثانية الخيوط التي تبدو في حافات بعض الأشياء بعد قطعها . ولا أرى لفظة بُرائل تدل على المعنى المطلوب [٢] .

1575 Bassin nain حَوْضة قَزَمة ١٥٧٥

وأرجح حوضة صغيرة أو حُويضة .

1584 Bassin transversalment rétreci par ankylose, bassin de Robert حَوْضة ضَيّقة عرضانياً بالجَسْأة ، حوضة روبير ١٥٨٤

والأفضل حوضة ضيقة عرضانياً بالقَسَط [٣] ، حوضة روبير .

1591 Bâton de pommade قَلَم من مرهم ١٥٩١

(١) في اللسان : والسَّبيب والسَّبيبة الخُصلة من الشعر .

(٢) في لسان العرب : البُرائل ما استدار من ريش الطائر حول عنقه وهو البُرْؤُلة ، وخص اللحياني به عُرْفَ الحُبارى فاذا نفشه للقتال بَرْأَل ، وقيل هو الريش السَّبْط الطويل لا عرض له على عُنُق الديك فاذا نفشه للقتال قيل قد ابْرَأل الديك وتبرأل والخ .

(٣) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح عُود مرهم ان لم يكن أنبوب مرهم أو قلم مرهم ·

1598 Bandruche ١٥٩٨ جِلدة مصنوعة من المرغة

وأفضل جُليدة مصران ·

1611 Béchique ١٦١١ دَافِعُ سُعال ، صدري

1612 Béchiques, pectoraux ١٦١٢ دَافِعات السُعال ، صدريات

وأرجح مهدئ للسعال في الأولى ومهدئات السُعال أو صدريات في الثانية ·

1613 Bégayment bégaiement ١٦١٣ تأتأة ، لكْنَة ، جَلْجَة

ودرجت على ترجمة اللفظة بلكن مخصصاً لفظة جَلَجة ترجمة لـ (Paraphasie)

وقد أهملها المعجم الأصلي ·

1618 Belladone (fruit de la) ١٦١٨ البَلادون ، الحسناء (ثَمَرُ) اللُفّاح

وأقر مجمع اللغة ست الحسن ·

1655 Bile, fiel ١٦٥٥ صفراء ، مِرَّة

وأقر مجمع اللغة المرّة معرفاً إياها بسائل يفرزه الكبد · وخصص لفظة الصفراء للمزاج الصفراوي أو الخلط الصفراوي (Biliary humour) ·

1659 Bilirubine ١٦٥٩ يافوتين

والأفضل تعريبها بيليروبين ·

1669 Biscuit ١٦٦٩ كُبَيْبَة (بسكوت)

1670 Biscuit pour diabétique ١٦٧٠ كُبَيْبَة السكريين

1671 Biscuit sec ١٦٧١ خشكنان (بُقْسُماط)

والأفضل استعمال هذه اللفظات معرّبة بسكوت · أما كُبَيْبَة فهي الخبزة كما جاء في لسان العرب · وليس المقصود من هذه اللفظات الخبز بل نوع من

المجنّات الجافة شائعة الاستعمال . وعلى ذلك فقد جاء في ترجمة اللفظة إلى الألمانية في المعجم الأصلي الخبز السكري[1] وتصبح الترجمة لهذه اللفظات الثلاث : بسكوت وبسكوت السكريين وبسكوت جاف .

1680 Bistouri ١٦٨٠ مِبضَع ، مِشْرَط

وأقر مجمع اللغة مِبْزَغ .

1683 Bitume ١٦٨٣ قار ، قِير ، زفت

وجاءت ترجمة هذه اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية : حُمَر ، كُفْر ، قُفْر ، قفر اليهود وزفت البحر .

1686 Bivitellin, ine ١٦٨٦ ذو مُحّينين

والصحيح ذو مُحَّيْن أو ذو البيضتين[2] إذا لم تقل ثنائي الوتيللوس تعريباً وكذلك ذات مُحّين أو بيضتين .

1686 Bizarreries, v. humeur capricieuse ١٦٨٦ غَرابة ، انظر غرابة المزاج

والأرجح غَرابة ، انظر غرابة الأطوار .

1692 Blastoderme ١٦٩٢ أدَمة جِذْعية

1693 Blastomère ١٦٩٣ قُسَيْمة جِذْعية

1694 Blastophtorie ١٦٩٤ مُفسِد الجذعة

1695 Blastula, Vésicule blastodermique ١٦٩٥ جُذَيْمة ، حُوَيْصل جِذْعي

وأقر مجمع اللغة ترجمة Blast بجرثومة ، وتصبح ترجمة هذه الألفاظ

(١) Zuckerbrot

(٢) كذا جاءت في الترجمة الألمانية (Zwei - eig) .

أدَمة الجرثومة أو غشاؤها ، قسيمة جرثومية ، أذى الجرثومة ، جريثة ، حويصل جرثومي . وعندي إن تعريب هذه الألفاظ أفضل بأن يقال بلاستودرما ، بلاستومير ، أذى البلاستا وبلاستولا لحويصل بلاستولي .

1698 Blennorragie, gonorrhée (تعقيبة) حُرْقة البول ١٦٩٨
blennorrhée Chaudpisse سيلان بُني

1699 Blennorragique متعلق بحرقة البول ١٦٩٩

وأقر مجمع اللغة السيلان وتصبح اللفظة الثانية سيلاني .

1707 Bleu de méthylène زُرقة المتيلين ١٧٠٧

1709 Bleu sombre زُرقُم ، أزرق قاتم ، زرقة قاتمة ١٧٠٩

وأرجح أزرق المتيلين في اللفظة الأولى ، وزرقة قاتمة في الثانية .

1732 Bomber, saillir حَدَّبَ ، قَبَّبَ ، سَنَّم ١٧٣٢

وأرجح بَرَز ، نتأ .

1737 Bord alvéolaire des حافة عظمي الفكين النُخروبية ١٧٣٧
(os maxillaires)

حافة عظمي الفكين السِّنخية كما أقرها مجمع اللغة [١] .

1745 Borgne أعور ١٧٤٥

وأقر مجمع اللغة أصم [٢] .

1750 Bosse sanguine, حَدَبة دَمَوية ، ورم دَمَوي ١٧٥٠
hématome

وأقر مجمع اللغة الدَّمَّة .

(١) الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) ترجمة اللفظة (Blind) الصفحة ٤١٠ من الجزء الرابع عشر من مجلة المجمع .

١٧٥٦ إنسمام بالبَخْص، انسمام فصيدي Botulisme. allantiasis 1756

وأقر مجمع اللغة البيتولية تعريبًا وسبق لي أن استعملت الانسمام الوشيقي [1]

١٧٧١ سِدادة مُحِّيْنية Bouchon vitellin 1771

وأرجح سِدادة مُحية [2] .

١٧٧٧ طينٌ، معدني Boue, minérale 1777

وأقر مجمع اللغة وَحلٌ معدني .

١٨٠٧ مِقلاة ، مِحَمّة Bouillotte 1807

وأرجح قِرْبة ماء حار . وهي كيس من المطاط يملأ ماءً حارًا .

١٨١١ سُعار ، ضَوَر Boulimie 1811

وأقر مجمع اللغة أخيرًا الضور [3] .

١٨١٤ دَوِيّ ، طنين Bourdonnement 1814

١٨١٥ دَوِيّ الأذن، Bourdonnemenet d'oreilles 1815

طنين الأذن tintement de l'oreille

وأفضل طنين في الأولى وطنين الأذنين في الثانية مخصصًا لفظة دَوِيّ

ترجمة لِـ (Clangor) .

١٨٣١ جُراب ذنبي أو جُراب Bourse caudale 1831

المزاوجة ou copulatrice

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Bourse) بجزدان ولا شك أن جراب أفضل .

---

(١) الصفحة ٦٢٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٤٩ من هذا العدد .

(٣) سبقت ملاحظتي عن هذه اللفظة في الصفحة ٦٣٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

1851 Bradydactylie ١٨٥١ قِصَر الأصابع

وأقر مجمع اللغة الكَزَم .

1853 Branchies, ouïes ١٨٥٣ غَلاصِم

وأقر مجمع اللغة خَياشيم (مفردها خيشوم) وعرفها بأنها أعضاء التنفس في كثير من الحيوانات المائية كالأسماك .

1866 Brom(h) idrose, Osmidrose ١٨٦٦ صنة ، عَرَق مُصِنّ

والأفضل صَهَك[1] .

1872 Bromure d'ammonium ١٨٧٢ برومُ النُّشادر

وأرجح بروم الأمونيوم تاركاً النشادر ترجمة لـ (Ammoniac) .

1875 Bronche ١٨٧٥ قَصَبة

وأقر مجمع اللغة شُعْبة هوائية .

1882 Bronchectasie, bronchiecta ١٨٨٢ توسع القصبات ، تمدد
- sie, dilatation des bronches القَصَبات

وأقر مجمع اللغة توسع الشُّعَب .

1883 Bronchiole ١٨٨٣ قصيبات

وأقر مجمع اللغة شُعَيبة هوائية .

1885 Bronchite ١٨٨٥ التهاب القصبات

وأقر مجمع اللغة التهاب شُعَبي .

---

(١) في اللسان : الصَّهَك ريح كريهة تجدها من الانسان إذا عرق تقول إنه لَيَصْهك الريح وقد صَهِك صَهَكاً فهو صَهِك .
وأما الصنة المنتنة خاصة بالعَرَق فقد جاء في اللسان : والصِّنان ذَفَر الإبط أصن الرجل صار له صنان .

١٨٨٧ التهاب القصبات والرئة Bronchopneumonie 1887

وأقر مجمع اللغة التهاب شعبي رئوي .

١٩١٧ دُبَيْلة Bubon 1917

وأقر مجمع اللغة دبل .

١٩١٩ فَوْهي Buccal 1919

وأقر مجمع اللغة شدقي .

١٩٣١ التهاب الأكياس الآحينية Bursite 1931

وأقر مجمع اللغة التهاب الجُزْدان ولا شك أن الكيس الآحيني أو الجراب افضل .

C

١٩٥٠ كِفافات ، رُكُن الحَباب (أشعة) Cadres - Supports d'ampoules (rd.) 1950

وأرجح إطار حامل الأمبولة أو المصباح (أشعة) [1] .

١٩٥٠ هَرِم ، هَرِمة ، ساقط (زائل) وَعبَل (في أوراق الشجر) [2] Caduc, Caduque 1950

١٩٦٤ مُتكلِّف الزُّهد ، مُتَلَهْوِق Cagot 1964

والصحيح كَرَتين [3] جبال البرانس [4] كما جاء في ترجمة اللفظة الانكليزية في المعجم الأصلي ولا صلة بها بتكلف الزهد ولا التقشف .

---

(١) الصفحة ٦٥٣ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة ،

(٢) معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

(٣) الصفحة ٢٨٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) (Cretin of the Pyrences) وجاء في الترجمة الألمانية (Kretin der Pyrenaen) .

1977 Calcinose ١٩٧٧ داء كلسي ، استكلاس

وأرجح الكِلْسية (أي الحالة الكلسية) قياساً على ما يشابهها من الألفاظ .

2005 Calenture ٢٠٠٥ هَذَيان هائج

وحمى شديدة كما جاء في ترجمة اللفظة الألمانية (Hitziges Fieber)

وجاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) أنها لفظة تستعمل في جزر الفيليبين

للدلالة على حمى وافدة تصيب الخيل والعامل فيها المثقبيات (Trypanosome) .

2006 Calibrage, jaugeage ٢٠٠٦ عيار الحيّز ، قياس السَّعة

وأرجح معايرة ومقايسة .

2023 Calotte aponévrotique ٢٠٢٣ قَلَنْسُوة غشائية ، غشاء العضلات

aponévrose épicranienne حول الجُمْجُمة

والأفضل قلنسوة صفاقية [1] ، صفاق ما حول الجمجمة وتخصيص لفظة

غشاء ترجمة لـ (Membrane) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٨٣٨٢) .

2026 Calque ٢٠٢٦ تقليد ، نقل صورة ، نَسْخ

والأفضل تَرَسُّم وتَرْسيم ومُرَسَّمة كما جاء في المعجم العسكري .

2028 Camisole de force ٢٠٢٨ قميص جَبْري

وأرجح قميص التقييد . وهو ما يُلبس للمريض المائج بغية تقييد حركته .

2036 Canal alvéolaire ٢٠٣٦ قَنَاةٌ نُخْرُوبية

والأرجح قناة سنخية [2] .

2044 Canal cystique ٢٠٤٤ قناةٌ مراريّة

وأقر مجمع اللغة المَسال المراري والمَسيل المراري .

---

(١) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٠٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

2049 Canal gynécophore (parasit.) — متحمّل الزوجة (طفيليات) ٢٠٤٩

والأفضل القناة الأنثوية .

2077 Cancer, carcinome — سَرَطان و سرطان غدي ٢٠٧٧

سرطان ، كرسينومة كما أقرها مجمع اللغة .

2080 Cancer encephaloïde — سَرَطان نظير الدماغ، شبه دماغي ٢٠٨٠

سرطان نظير الدماغ فقط .

2092 Cannelure — مخاريم ٢٠٩٢

والصحيح فرضة ، تفريض [1] كما جاء في المعجم العسكري .

2114 Capsule (lab.) — جُفَينة (مُختبر) ٢١١٤

وأقر مجمع اللغة كبسولة تعريباً .

2114 Capsules surrénales glandes surrénales — كُظْر، غدد فوق كلوية ٢١٢٦

وأرجح محفظتا فوق الكلوتين والكُظران .

2172 Caroncule — لُحَيمة ، رَعْثة ٢١٧٢

وأقر مجمع اللغة لُحَيْمة .

2176 Carotène, carotine, provi- -tamine A — كاروتين ، كاروتين جزَرين طليعة الحَيَين آ ٢١٧٦

2177 Caroténémie, carotinémie — تَجَزْرُنُ الدم ٢١٧٧

وأرجح التعريب في هذه الألفاظ فأقول كاروتان و كاروتين وطليعة الفيتامين A في الأولى و كاروتينيميا في الثانية .

(١) في اللسان : والفُرْضة كالفَرْض والفَرْض، والفُرْضة الحزّ الذي في القوس وفرضة القوس الحز الذي يقع عليه الوتر . اقول المقصود من هذه اللفظة الحز أو الشق الذي يحدثه المنشار وغيره ، ولم اهتد الى معنى مخاريم .

2181 Carphologie, crocidisme عَبَث يَدَوي ، نتف ٢١٨١

عبث يَدَوي في اللفظة الأولى وتزيق الدثار في الثانية [١] وليس للفظة نتف أن تدل على المعنى المقصود .

2185 Carreau, tuberculose des ganglions mésentériques تَصَلّب البَطن ، سل العُقَد المساريقية ٢١٨٥

وأرجح قساوة البطن أو يبوسته ، تدرن العقد المساريقية ، مخصصاً للفظة تصلب ترجمة لـ (Sclérose) . وما يحدث في هذه العلة هو قساوة البطن .

2203 Cas (malade) مُصاب (مريض) حادث ٢٢٠٣

وأرجح حادث فقط .

2109 Cas désespéré حالة ميئوس منها ٢٢٠٣

وأفضل حادثٌ حَرِض أو مُحْرَض [٢] .

2204 Cas limite حد أقصى ٢٢٠٤

وأرجح حادث في الحد [٣] تاركاً حد أقصى ترجمة لـ (Maxima) .

2205 Cas sujet à l'internement مُصاب مُعَدّ للحَجْر ، حادثة تستحق الحَجْر ٢٢٠٥

وأرجح حادثٌ أو حالة حرَجي أو حرَجية بالايواء . والمقصود إيواء العليل

(١) فقد جاء في الترجمة الانكليزية للفظة الثانية في المعجم الأصلي (Picking at bed clothes) .

(٢) في فقه اللغة للثعالبي : عليل حَرِضٌ ومُحْرَضٌ وهو الذي لا حيّ فيرجى ولا ميت فينسى . وفي لسان العرب : وحَرَّضه المَرَض وأحرضه إذا أشفى منه على شرف الموت ، والمُحْرَض الهالك مرضاً الذي لا حي فيرجى ولا ميت فيؤاس منه .

(٣) في اللسان : وحَدُّ كل شيء منتهاه ، لأنه يرده ويمنعه عن التمادي .

المصاب باحدى العاهات النفسية في المأوى أو دار العجزة وما إليها تاركاً الحَجْر إلى منع المصاب عن التصرف بأمواله وحقوقه المدنية وإقامة وصي عليه وهو ما يقابل لفظة (Interdiction légale) وقد أقرها مجمع اللغة .

2218 Catalepsie, Rigidité catale- -psique آخذة ؛ صَمَل آخذي ٢٢١٨

وأقر مجمع اللغة الجُمْدة .

2219 Catalyse وساطة ٢٢١٩

2220 Catalyseur وسيط ٢٢٢٠

وأقر مجمع اللغة حفّاز وعامل حفّاز في ترجمة اللفظتين وقد عرفها بأنها كل مادة تزيد عادة في سرعة التفاعل دون أن تتأثر هي بهذا التفاعل .

2220 Cataphorèse إدخال العلاجات بالتيارات المتواصلة ٢٢٢٠

وأقر مجمع اللغة الكتفرة تعريباً ويقابلها الأنفرة [1] .

2221 Cataplasme كمادة ٢٢٢١

لصوق (لجنة) في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

2223 Cataracte ساد ٢٢٢٣

وأقر مجمع اللغة السد ، ولعلّ الساد أفضل .

2285 Cavité naso- -pharyngienne cavum, nasopharynx, épipharynx, pharynx nasal, rhinopharynx تجوف انفي بلعومي ، كهف بلعوم أنفي فو ـ بلعوم أنفي خيشوم ٢٢٨٥

(١) الصفحة ٦٥٤ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأفضل أن تكون ترجمة هذه الألفاظ : جوف أنفي بلعومي ، كهف ، بلعوم أنفي ، ما فوق البلعوم ، بلعوم منخري وحلقوم فقد سبق استعمال خيشوم من قبل مجمع اللغة ترجمة لـ (Branche) (١) .

٢٢٨٦ جوف غشاء الجنب — 2286 Cavité pleurale

تجويف الجَنَبة كما أقرها مجمع اللغة .

٢٢٩٦ خلية معد الكريات المشجرة — 2296 Cellule quadrillée d'un hématomètre

وأرجح خلية مقياس الكريات المُربّعة .

٢٣٠٥ خلايا إنبائية ، كُرَيّات كثيرة النوى قاعدية (ماستسيلين) — 2305 Cellules engrais, labrocytes, leucocytes polynucléaires basophiles (Mastzellen)

ودرجت على ترجمة لفظة (Mastzellen) بالخلايا البدينة أو السمينة وكذلك تدل لفظة (Engrais) . وأقول الخلايا الصاخبة في ترجمة (Labrocytes) الحرفية (وقد أهملتها اللجنة) ثم الكريات البيض الكثيرة النوى المستقعدات (كما أقر مجمع اللغة ترجمة لفظة basophiles معرفاً إياها بكريات بيض تألف الأصباغ القاعدية) .

٢٣١١ خلايا مُنْتَشِئة — 2311 Cellules germinales

(١) خلايا منوية — (1)Gonocytes

والصحيح خلايا التبذير لأن هذه الخلايا ليست خاصة بالانطاف .

٢٣١٦ خلايا غير مميَّزة مضغية أصلية خلايا ذرارية — 2316 Cellules indifférenciées embrionnaires, cellules-souches

---

(١) الصفحة ٢٥٢ من هذا العدد

وأرجح في ترجمة هذه الألفاظ : خلايا لا مُمَيَّزة جنينية (كما أقرها مجمع اللغة) بَدْئية وخلايا أرومة . إذ المقصود منها الخلايا البدئية التي تتوالد منها الخلايا الأخرى فهي إذن أرومتها لا ذراريها .

٢٣٢١ خلايا مُهاجرة — 2321 Cellules migratrices

وأقر مجمع اللغة خلايا جَوَّالة .

٢٣٢٥ خلايا وَحْمية — 2325 Cellules nœviques,

والصحيح خلايا شاميّة نسبة إلى شامة كما أقرها مجمع اللغة ولا صلة لها بالوَحْم .

٢٣٢٦ (٦) تَشَجّر انتهائي (للمحور العصبي) — 2326 Arborisation terminale (du cylindre - axe)

والأرجح الغصون الانتهائية (للمحور العصبي)[1] .

٢٣٤٣ نُساج ، التهاب النسيج الخلالي — 2343 Cellulite

وأقر مجمع اللغة التهاب هَلَلي معرفاً إياه بأنه التهاب يصيب الأنسجة المَلَلية أو اللبنية .

٢٣٤٤ خَلْيُوز ، سلولوز — 2344 Cellulose

وأقر مجمع اللغة سليلوز .

٢٣٤٧ حِسّ مُشترك ، حس باطن عام حسيات عامة — 2347 Cénesthésie, sensibilité interne commune, sensation générales

وأرجح إحساس شامل ، حس باطن عام وإحساسات عامة .

٢٣٦٥ مَركز التَّنخب والتخلية — 2365 Centre de triage et d'évacuation

---

(١) الصفحة ٧٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح مركز التصنيف واخلاء السبيل أو التسريح . ويقصد الموضع الذي يتم فيه تفريق الجرحى في الحروب أو في الحوادث وإخلاء سبيل من لا تستدعي حالته البقاء .

2374 Céphalée musculaire cellulitique ٢٣٧٤ صُداع عَضَلي نُساجي

صُداع عضلي هَلَلي كما أقره مجمع اللغة .

2377 Céphalique ٢٣٧٧ الأكحل (وريد رأسي)

وأقر مجمع اللغة القيفال وهي اللفظة التي استعملها الأطباء العرب معربة ، وعرفها المجمع بالوريد في الجانب الوحشي من العضد .

2386 Cerclage (d'un os fracturé) ٢٣٨٦ تطويق (عظم مكسور)

وأقر مجمع اللغة تحويط .

2392 Cerfeuil ٢٣٩٢ مَقدونس إفرنجي

سَرْفيل ، مقدونس إفرنجي في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .
وقد ذكر أن الأولى معرَّبة شاعت والثانية مترجمة .

2397 Cerumen ٢٣٩٧ صِملاخ ، آف

الصِملاخ – الصُلوخ كما أقره المجمع اللغوي .

2401 Cervelet ٢٤٠١ مُخَيخ

الرُّخ – المُخيخ كما أقره مجمع اللغة .

2407 Cétogènes ٢٤٠٧ مُخَلّون

2408 Cétones, alcanones ٢٤٠٨ خلالين ، آلكانون

2409 Cétoses (corps cétoniques) ٢٤٠٩ خلونوز (أجسام خلونية)

وأرجح التعريب في هذه الألفاظ بـ كتوجن (اومولد الكتون) ، كتونات ، آلكانونات ، كتوزات (أجسام كتونية) .

2411 Chagriné, ée محبّب ٢٤١١

وأرجح خَشِن وخَشِنة [1] تاركاً لفظة محبّب ترجمة لـ (Granuleux) .

2419 Chalage سُرّة داخلية ، خُيوط البيضة ٢٤١٩

وأرجح خيوط الآح (حول المحّ) .

2420 Chalazion بَرَدَة ٢٤٢٠

وأقر مجمع اللغة البرَد وأرجح الظَبْظاب [2] أو الورم الظِفْري . وللفظة بَرَدَة معنى معروف [3] . ويقصد من هذه اللفظة ورم صغيرة ملتصق على الجفن .

2427 Chalicose, caillouts, mal de St-Roks, phtisie des tailleurs de pierre, Silicose pulmonaire تَصَوُّن الرئة داء الرئة الصواني داء القديس روكس ، سل النحاتين ٢٤٢٧

وأقر مجمع اللغة السُّحار [4] الرخامي .

---

(١) في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي : (Shagreened, rough) .

(٢) في اللسان : الظبظاب البَثْرة في جفن العين .

(٣) في اللسان : البَرَدة التخمة وفي حديث ابن مسعود كل داء أصله البَرَدة وكله من البَرْد . البَرَدة بالتحريك التخمة وثقل الطعام على المعدة .
وفي الوجيز في أمراض العين للأستاذ الدكتور ممدوح الصباغ ، وقد استعمل البَرَدة في ترجمة (Chalazion) انها سميت البرَدَة لأن علماء العرب قديماً ظنوها ماء يتجمد في الأجفان ومنه شبهه بالبرَدَ كما جاء في تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى . أقول لا أرى هذه اللفظة تصلح في المعنى المقصود طالما استعملت للدلالة على علة أخرى .

(٤) في اللسان : السَّحر الرئة والجمع أسحار وسُحُر وسحور .

2433 Chambre d'ionisation حجرة التشرد ٢٤٣٣

حجرة التأين كما أقرها مجمع اللغة تعريبا ·

2437 Champ cortical ساحة قشرية ٢٤٣٧

2438 Champ électrique ساحة كهرباوية ٢٤٣٨

2438 Champ magnétique ساحة مغناطيسية ٢٤٣٨

2439 Champ opératoire ساحة البضع ٢٤٣٩

2440 Champ de regard ساحة النظر ٢٤٤٠

2441 Champ visuel ساحة بصرية ٢٤٤١

2442 Champ visuel pour les couleurs ساحة رؤية الألوان ٢٤٤٢

وأقر مجمع اللغة ترجمة Champ بمجال · فتكون ترجمة هذه الألفاظ : مجال قشري ، مجال كهربائي ، مجال مغناطيسي ، مجال البضع أو التوسط الجراحي ، مجال النظر ، مدى البصر ، مجال تمييز الألوان ·

2450 Chancre simple, mou قرحة بسيطة، لينة ، قريحة ٢٤٥٠

وأقر مجمع اللغة قرحة رخوة ترجمة لـ (Chancre mou) ·

2467 Charbon symptomatique جمرة عرض (بيطرة) ٢٤٦٧

وأرجح الجمرة العرضية ·

2471 Chariot d'induction عجلة تحريض ٢٤٧١

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Induction) بالتأثير ، فتصبح اللفظة عجلة التأثير ·

2481 Chataigne, marron كستنة ٢٤٨١

قسطلة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي ·

2488 Chauve صلع ، جلح ٢٤٨٨

٢٤٨٨ أصلع ، أجلح — 2488 Chauve

وأرجح متمعّر وزعّر في الأولى وأمعر [1] وأزعر في الثانية . وما يقصد بهذه اللفظة هو ذهاب شعر الرأس كليًا أو جزئيًا . بينما الصلَع هو انحسار شعر مقدّم الرأس وكذلك الجلَح . وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (Calvitie) بصلَع وجلح (اللفظة ٢٠٣٧) .

٢٤٩٥ إملِيلَج أصفر، بقلة الخطاطيف، عروق صفر — 2495 Chélidoine

بقلة الخطاطيف ، عروق الصباغين ، العُروق الصفر . في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

٢٤٩٧ مُتقبِّل التنبيهات الكيمياوية المنشأ — 2497 Chémo - récepteur

الصحيح مستقبل الإثارة الكيميائية . لأن المقصود هنا الجانب من الخلية الذي باستطاعته ضبط المواد الكيميائية وكذلك تكسين الجراثيم (عن بلاكستون Blakiston's) .

٢٤٩٨ قمَع ، وَرْدينَج — 2498 Chémosis

وأقر مجمع اللغة كيموزس تعريبًا ووَرْدينج (عن ابن سينا) ويعني بهذه اللفظة وذمة التهابية تحيط بالقرنية وليس للفظة قمَع [2] هذه الدلالة .

(١) في المخصص : المَعَر ذهاب شعر الرأس وغيره مَعِر فهو أمعَر وهي مَعْراء . والزَّعَر قلة الشعر في الرأس أو أن يذهب أطوله وأحسنه وقد زَعِر زَعَرًا فهو أزعر وزَعِير وهي زَعْراء وزَعِرة .
وفي اللسان : المَعَر سقوط الشَّعر ومَعِر الشعر والريش مَعَرًا فهو مَعِر ، وامعرّ قلّ ومَعِرت الناحية مَعَرًا وهي مَعْراء ذهب شعرها كله حتى لم يبق منه شيء وخص بعضهم به ناصية الفرس . والزَّعَر في شَعر الرأس وفي ريش الطائر قلة ورقة ومَعَر .

(٢) في اللسان : والقَمَعة قُرحة تكون في العين وقيل ورم يكون في موضع العين والقَمَع فساد في موق العين واحمرار ، والقَمَع كَمَدُ لون لحم الموق وورمه والقَمَع بَثْر يخرج في أصول الأشفار ، والقَمَع قلة النظر من العمش والخ .

٢٥٠١ أساريع حاكّة 2501 Chenilles urticantes

وأقر مجمع اللغة يساريع (جمع يسروع) وأساريع صحيحة [١] . أقول أساريع مُشْرِية أي محدثة للشرى . يبناحاكّة ينبغي تخصيصها لـ (Prurigineuses) .

٢٥٠٢ طالبُ عِلم ، بَحّاثة 2502 Chercheur scientifique

وأرجح باحث عِلمي .

٢٥٠٣ رَتْعة ، غذاء 2503 Chère, nourriture

وأرجح طعام ، غذاء . ورتعة [٢] لا تفي بالمعنى . إذ المقصود كما جاء في معجم لاروس صفات المآكل .

٢٥٠٤ حِمارَة ، سِباج 2504 Chevalet protège - point

وأرجح حافظة الإبر . إذ ما بعني بهذه اللفظة العلبة التي تحوي إبر الحاقن محافظة على نهايتها المؤنفة . ولم أهتد إلى معنى سباج إلا إذا كانت مصحّفة عن سِباي ، ولا تفي حِمارة [٣] بالمعنى المقصود .

---

(١) في اللسان : واليَسْرُوع واليُسْرُوع والأُسْروع والأَسْروع دودٌ يكون على الشوك والجمع الأساريع وقيل الأساريع دود حُمْرُ الرؤوس بيض الأجساد تكون في الرمل تشبّه بها أصابع النساء وقال الأزهري هي ديدان تظهر في الربيع مخطّطة بسواد وحمرة .

(٢) في اللسان : الرَّتْع الأكل والشرب رَغَداً في الريف رَتَع يَرْتَع رَتْعاً ورُتوعاً ورِتاعاً والاسم الرِّتْعة والرَّتَعة . يقال خرجنا نَرْتَع ونلعب أي نتنعّم ونلهو .

(٣) في اللسان : الحمائرُ حجارة تنصب حول قُتْرة الصائد واحدها حِمارة ، والحمارة أيضاً الصخرة العظيمة والحمارة حجارة تنصب حول الحوض لئلا يسيل ماؤه وحول بيت الصائد أيضاً إلى أن قال : حمارة من جريد هي ثلاثة أعواد يشد بعض أطرافها إلى بعض ويخالف بين أرجلها تعلّق بها الأداة لتبرّد الماء ويسمى بالفارسية سهباي .

٢٥٠٨ مِقْوَد ، زِمام 2508 Chevêtre, chevestre

والصحيح ضِمادة [1] الفك السفلي وجاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة في المعجم الأصلي (Jaw bandage) وفي معجم غارنيه (Garnier) [2] : ضمادة خاصة لمسك كسور الفك السفلي أو خلوعه . وكذلك في معجم لاروس القرن العشرين .

٢٥١٧ انجذاب كيماوي ، 2517 Chimiotaxie, Chimiotropisme

انحياز كيماوي Chimiotactisme

وأقر مجمع اللغة مجاوبة كيمياوية ، وسبق لي أن أبديت ملاحظتي على هذه اللفظة [3] .

٢٥٢٨ جراحة مُهَيِّكلة ، جراحة 2528 Chirurgie plastique,

مُرَمِّمة مُعَمِّرة réparatrice reconstructive

وأقر مجمع اللغة جراحة تقويمية .

٢٥٣٦ تكلُّور الدم 2536 Chlorémie

وأرجح كلوريميا تعريباً .

٢٥٦٥ مفرغات الصفراء 2565 Cholagogues

مفرغات المرة كما أقرها مجمع اللغة .

٢٥٧٥ إفراغ الصفراء 2575 Cholerèse

٢٥٧٦ ما يتعلق بافراز الصفراء 2576 Cholérètique

---

(١) الصفحة ٢٤٦ من هذا العدد .

(٢) M. Garnier et V. X J. Delamare: Dictionnaire des Termes Techniques de Médecine

(٣) الصفحة ٨١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

2577 Cholérétiques مدرات الصفراء ٢٥٧٧

إفراز المرة ، ما يتعلق بافراز المرة ، ومفرزات المرة (مدراتها) كما أقره مجمع اللغة .

2585 Cholurie بيلة صفراوية ٢٥٨٥

بيلة مرّية أو كولوريا تعريباً .

2587 Chondriomes, Cytomi- تحببات الهيولى أو تخيطها ، ٢٥٨٧
-crosomes, bioblastes, جسيمات خلوية ، جذيمات حيوية
mitochondries, chondriomites تحببات الهيولى الخرزية

لقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Protoplasme) بجبلة ، لذلك تصبح ترجمة هذه الألفاظ : حبيبات الجبلة ، جسيمات الخلية ، الجرثومة الحيوية ، الحبيبات الخيطية ، الخييطات الحبية .

2594 Chorée électrique رقص كهرباوي ، ارتجاج عضلي ٢٥٩٤
myoclonie

كورية [1] كهربائية كما أقرها مجمع اللغة ، وارتجاج عضلي .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٨٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

المعجم الوسيط

- ٢ -

أولاً : تعريف الوحدات الزمنية [1]

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظـات
الساعة	جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار .	الدقة العلمية في التعريف توجب أن يقال : من (اليوم) بدلاً من (الليل والنهار) .
اليوم	زمن مقداره من طلوع الشمس الى غروبها .	هذا التعريف وإن ورد في معجمات اللغة، الا أن التعريف العلمي الصحيح غيره . قال صاحب التـاج : وشاع عند المنجمين أن اليوم من الطلوع إلى الطلوع أو من الغروب إلى الغروب ، وصحته : من منتصف الليل إلى منتصف الليل [2] .
الليلة	الليل ، وتقابل اليوم .	هذا التعريف غير دقيق لعدم الدقة في تعريف اليوم ، وكان من المستحسن

(١) لن أذكر من أسماء هذه الوحدات ما ليس لي عليه ملاحظة .

(٢) انظر معجم متن اللغة لأحمد رضا مادة [يوم] .

أن يقال : وتقابل النهار ، أو : وتقابل اليوم في أحد معانيه (الذي أورده المعجم) أي: من غروب الشمس إلى طلوعها .

الصباح	أول النهار .	قال الجواليقي عن ثعلب : الصباح عند العرب من نصف الليل الأخير إلى الزوال ، ثم المساء من الزوال إلى آخر نصف الليل الأول ؛ هكذا جاء في المصباح المنير[1] ، وليت المعجم الوسيط أخذ به .
المساء	زمان وقته بعد الظهر إلى صلاة المغرب أو إلى نصف الليل .	
الأحد	أحد أيام الأسبوع .	إن التعريف بوحدات متماثلة يجب أن يكون متماثلا فيكون بتماثله أكثر دقة وأجمل تعبيراً .
الاثنان	يوم من أيام الأسبوع .	
الثلاثاء	من أيام الأسبوع .	
الأربعاء	اليوم الرابع من الأسبوع بين الثلاثاء والخميس .	
الخميس	اليوم الخامس من أيام الأسبوع	
الجمعة	ما يلي الخميس من أيام الأسبوع .	إن (ما) وردت هنا خطأً وذلك للإبهام الذي تعطيه ، والأصح أن يستبدل بها (يوم) .
الشَّهْرُ	جزء من السنة القمرية ، يقدّر بدورة القمر حول الأرض	يستحسن الاكتفاء بالقول بأن الشهر : (جزء من إثني عشر جزءاً من السنة)

(١) انظر للرجع السابق ذكره .

	ويسمّى الشهرَ القمريَّ ، أو يقدَّر بجزء من اثني عشر جزءاً من السنة الشمسية ، ويسمّى الشهر الشمسيَّ .	وذلك لتفادي عدم الدقة في المقابلة بين تقدير الشهر القمري والشهر الشمسي . كما يستحسن إضافة بعض معاني الشهر الواردة في المعجمات القديمة ، كالعالِم والهلال ، والمعنى الحديث الشائع : مدة من الزمن تبدأ من أي يوم في الشهر إلى مثله في التاريخ من الشهر التالي . وقد ورد مثل هذا المعنى في تعريف السنة .
السَّنَة	مقدار قطع الشمس البروج الاثنى عشر ، وهي السنة الشمسيّة . و — تمام اثني عشرة دورةً للقمر ، وهي السنة القمرية . الخ ..	هذا التعريف قديم وغير دقيق في معجم حديث ، فالشمس لا تقطع بروجاً ، وللقمر أكثر من دورة ، فأرى أن يكون التعريف : الزمن الذي تدور فيه الأرض حول الشمس دورة كاملة ، وهي السنة الشمسية . و — تمام اثني عشرة دورة للقمر حول الأرض ، وهي السنة القمرية . ويستحسن أن يشار في التعريف إلى عدد أيام كل من السنتين . كما يستحسن الإشارة إلى كل من السنتين الهجرية والميلادية ، ولا سيما

		أنهما لم تذكرا في مادة (أرخ) ولا في مادتي (هجر) و (ولد) . كما أني أرى أن يضاف إلى التعريفات الكثيرة الواردة في المعجم تعريف كل من : السنة المالية ، والسنة المدرسية ، والسنة الضوئية ، والسنة الكبيسة ، أو الاشارة إلى ورود تعريف كل منها في مادة ثانية ، وقد فعلت هذا أكثر المعاجم الأجنبية الحديثة .
الكبيسة	السنة الكبيسة « في التقويم الميلادي » هي الخ ..	الدقة العلمية في التعريف توجب أن يقال فيه : « في التقويم الشمسي » .
العام	ما يشتمل على الصيف والشتاء متوالين . (ج) أعوام .	أرى أن يستبدل بهذا التعريف تعريف أكثر دقة ، لأن العام فيه يمكن أن يكون تسعة أشهر ، وفي اللسان : العام الحول يأتي على شتوة وصيفة . وفي القاموس ومختار الصحاح : العام السنة . وإذا كان العام السنة ، فهو : ما يشتمل على الفصول الأربعة متوالية .
الربيع	أحد فصول السنة الأربعة بين الشتاء والصيف .	
الصيف	أحد فصول السنة الأربعة ،	

	ويمتد من أواخر يونيه إلى أواخر سبتمبر .	
الخريف	أحد فصول السنة وهو ثلاثة أشهر من آخر الصيف وأول الشتاء .	لا يمكن القول في هذه التعريفات الأربعة أكثر من أنها ترد في أربعة معجمات لا في معجم واحد .
الشتاء	أحد فصول السنة الأربعة ، يبتدئ جغرافياً في الثاني والعشرين من ديسمبر ، وينتهي في الحادي والعشرين من مارس .	ويلاحظ في تعريف الخريف وجوب إثبات (إلى) بدلاً من (الواو) فيقال : إلى أول الشتاء .
الفصل	أحد فصول السنة وهي : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء .	كان من حق السنة في هذا التعريف أن تضاف إلى (الشمس) لأن الفصول لا تثبت إلا في السنة الشمسية (١) .
الكانون	كانون الأول : (ديسمبر) ، وكانون الآخر : (يناير) ، شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ولا شهر بينهما ، ويسميها العرب : شهري قُماح .	هذا تعريف لا غبار عليه ، إلا أن المتأخر من الشهرين يعرف اليوم بـ (كانون الثاني) . ويلاحظ ورود ذكر شهر (شباط) في هذا التعريف ، بينما أغفل المعجم ذكره في مادتي (شبط) و (شبأ) .
آذار	الشهر السادس من الشهور السريانية يقابله إبريل من الشهور	لم يذكر هذا التعريف في مادة (أذر) انما ذكر في مادة (اذ) ، خلافاً

(١) انظر مقال الأمير مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي العربي ج ١ من المجلد ٣٤ .

الرومية .

لترتيب كل من أقرب الموارد والمنجد ومتن اللغة ، وآذار اليوم : اسم للشهر الثالث من شهور السنة الشمسية في الأقطار العربية المشرقية ، أي أنه يقابل شهر (مارس) لا (ابريل) وهذا الاسم عرفه البابليون والعبريون ، وقد يكون العرب نقلوه عن السريانية [1] ، ولكن ليس في بلاد العرب اليوم سنة سريانية آذار شهرها السادس كما جاء في الوسيط [2] .

نيسان

الشهر السابع من شهور السنة السريانية ، ويقابل أبريل وهو الشهر الرابع من شهور السنة الأفرنجية ، وهو أيضاً اسم الشهر السابع من شهور السنة العبرية .

إن ما ورد من ملاحظات حول السنة السريانية في التعليق على تعريف شهر آذار يرد هنا ، وبعد فنيسان هو الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية ، ويقابل (أبريل) في الأقطار العربية المغربية ، ويلاحظ أن المعجم أطلق وصفاً جديداً على السنة في هذا التعريف فقال :

---

(١) انظر الأمير مصطفى الشهابي في بحثه الذي سبق ذكره عن أسماء الشهور في العربية . وانظر رسالة البطريرك مار اغناطيوس أفرام الأول عن الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ص ٢٠٨ دمشق ١٩٥١ ، والرسالة نشرت تباعاً في مجلة المجمع العلمي العربي ثم جمعت في كتاب .

(٢) انظر المناقشة التي جرت حول تقرير لجنة اللهجات عن أسماء الشهور في مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السابعة والعشرين (سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١) .

		(أفرنجية) ! كما أنه حشر السنة (العبرية) في تعريف هذا الشهر دون غيره من الشهور ، ودون أن يكون لهذه السنة أي تعريف فيه .
أيّار	(ويخفف) : الثامن من الشهور السريانية ، يوافقه (مايو) من الشهور الرومية .	أيّار : الشهر الخامس من شهور السنة الشمسية الميلادية ، ولعل الإشارة إلى أن (التخفيف) لغة فيه غير ضرورية ؛ وفي القاموس : الأيّار بالتشديد شهرٌ قبل حزيران .
حزيران	الشهر التاسع من الشهور السريانية ، ويقابله شهر (يونيه) من الشهور الرومية .	حزيران : الشهر السادس من شهور السنة الشمسية الميلادية [1] .
آب	الشهر الحادي عشر من الشهور السريانية ، يقابله (أغسطس) من الشهور الرومية .	آب : الشهر الثامن من شهور السنة الشمسية الميلادية .
أيلول	الشهر الثاني عشر من الشهور السريانية .	أيلول : الشهر التاسع من شهور السنة الشمسية الميلادية ويقابله شهر (سبتمبر) .
تشرين	اسم لشهرين من شهور السنة	لم يحدد التعريف موقع الشهرين من

(١) أغفل المعجم تعريف شهر (تموز) وهو الشهر السابع من شهور السنة الشمسية الميلادية ، ويقابله شهر (يوليه) وتموز من اسماء الشهور عند البابليين ، وهو اسم إلٓه الحصاد عندهم . انظر رسالة البطريرك السابق ذكرها ص ٢٠٩ . والغريب أن المعجم أورد اسم تموز عند تعريفه (الباحور) و (الباحوراء) نقلاً عن القاموس واللسان وغيرهما من المعجمات .

السريانية ، تشرين الأول وهو (أكتوبر) وتشرين الثاني وهو (نوفمبر) ج . تشارين [١] .

مارس الشهر الثالث من الشهور الرومية . (مع) .

سبتمبر الشهر التاسع من السنة الرومية .

ديسمبر كانون الأول (في شهور السريان) ، وهو الشهر الثاني عشر من السنة الرومية . (د) .

السنة ، خلافاً لما فعل المعجم في بقية الأشهر .

هذه هي الأشهر الثلاثة التي وردت في المعجم الوسيط ، من أشهر السنة الشمسية الميلادية المستعملة في وادي النيل وما في غربه من البلاد العربية ، وجاءت تعريفاتها غير متماثلة ، فمارس من الشهور الرومية وهو معرب ، وديسمبر من السنة الرومية وهو دخيل ، أما سبتمبر فلم يشر المعجم إلى صفته .

ربما يلاحظ على هذه التعريفات أيضاً ، أن مارس ورد في مادة (مرس) لا في مادة (مار) ؛ وأن من حق سبتمبر أن يشار في تعريفه إلى أنه كان الشهر السابع في السنة الرومانية التي كانت تبدأ في مارس ، فاحتفظ باسمه رغم تبدل موقعه من السنة الشمسية ، وأن تعريف ديسمبر امتاز بذكر الشهر الذي يقابله ، إلا أن هذا الشهر جعل من شهور (السريان)

(١) في المنجد : ويستعملون كلمة تشارين للدلالة على فصل الخريف .

لا من الشهور السريانية ، كما درج المجمع على تسميتها .
أما بقية الأشهر التي لم يعرّفها المجمع ، فيلاحظ بالنسبة اليها أن (يناير) ورد ذكره في تعريف شهر كانون ، وأن (أبريل) ورد ذكره صحيحاً في تعريف شهر نيسان ، ومغلوطاً في تعريف شهر آذار ، كما أن (مايو) ورد ذكره في تعريف شهر أيار ، و (يونيه) ورد ذكره في تعريف حزيران ، و (أغسطس) ورد في تعريف آب ، و (أكتوبر)[1] ورد ذكره في تعريف شهر تشرين ، كما ورد فيه ذكر (نوفمبر) . بينما لم يرد ذكر (فبراير) و (يوليه) في تعريف الأشهر قط .

المُحرَّم	أول الشهور العربية .
صفر	الشهر الثاني من السنة القمرية .
الربيع	منْ الشهور شهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر .

(١) يلاحظ أن القلقشندي في صبح الأعشى ذكر شهور الروم وبدأها باكتوبر ـ انظر مقال الأمير مصطفى الشهابي المنوه إليه .

جُمادى	من الشهور العربية . وهما جماديان جمادى الأُولى للشهر الخامس ، وجُمادى الآخرة للشهر السادس .	
رَجب	أحد الشهور العربية ، بين جمادى الآخرة وشعبان ، وهو من الأشهر الحُرُم .	انظر كيف تتفاوت هذه التعريفات دقةً ، وكيف اختلف التعريف بين شهر وشهر ، فذكرت الشهور العربية تارةً ، وتارةً ذكرت السنة القمرية ، وأخرى ذكرت الشهور القمرية . وكان من المفيد أن تكون التعريفات دقيقة متماثلة .
شعبان	الشهر الثامن من السنة القمرية .	
رمضان	الشهر التاسع من الشهور العربية . (ج) رمضانات . ورماضين .	
ذو القَعْدة	الشهر الحادي عشر من الشهور القمرية ، سمي بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار والغزو والميرة (ج) ذوات القعدة .	
ذو الحجة	آخر الشهور العربية ، وهو شهر الحج (ج) ذوات الحجة .	
الشهر الحرام	واحد الأشهر الأربعة التي كان العرب يحرمون فيها القتال ، وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .	ورد هذا التعريف في مادة (حرم) ، ولم يرد شيءٌ منه في تعريف أي شهر سوى رجب .
النّاجر	كل شهر في صميم الحر ، اسم لشهر صفر في الجاهلية ، إذ كان	يلاحظ أن المعجم لم يذكر من شهور العرب في الجاهلية غير (ناجر) [1] وسبق

(١) جاء في لسان العرب : وشهرا ناجر وآجر أشد ما يكون من الحر ـ انظر حسن وفقي الجبي « تقويم للنتاج القويم » القاهرة ١٩٢٧ ص ٨٨ وما بعدها .

لا يجيء إلا في الحر ، وكان التوقيت شمسيا .

له أن أشار عند تعريف شهري (كانون) إلى شهري (قماح) ولكنه أغفلهما في مادة (قمح)[1] .

توت أول الشهور في السنة القبطية .
طوبة خامس الشهور القبطية .
أمشير الشهر السادس من الشهور القبطية .
برمهات الشهر السابع من الشهور القبطية . وفيه يحصل . الربيع .
برمودة الشهر الثامن من الشهور القبطية وهو من فصل الربيع (د) .
بشنس الشهر التاسع من الشهور القبطية وهو من فصل الربيع .
أبيب الشهر الحادي عشر من السنة القبطية .

هذه هي الشهور القبطية التي عرّفها المعجم ، وقد جاءت التعريفات متفاوتة غير دقيقة ، وامتازت أشهر الربيع فيها بالإشارة إليها .
ويلاحظ أن المعجم أغفل كلا من (بابه) و (هانور) و (كيهك) و (بؤونة) و (مسري) وهي بقية الشهور في السنة القبطية .

(يتبع) عدنان الخطيب

---

(١) جاء في لسان العرب : وشيبان وملحان شهرا قماح ، وهما أشدّ شهور الشتاء برداً وهما اللذان يقول من لا يعرفها : كانون وكانون ، قال الكميت :

إذا أمست الآفاق غبراً جنوبها بشيبان أو ملحان واليوم أشهب

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الرواد من البقاع

للإمام

أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

- ٢ -

٣ ـ أخبرنا عبدُ الرحمن بنُ عبد اللهِ ابنُ اخي الأصمعيِّ عن عَمّهِ قال : سُئِل أعرابيٌّ عن مَطرٍ فقالَ :

إِسْتَقَلَّ سَدٌّ مع انتشار الطَّفَلِ فَشَصَا[1] واحزألَّ ،

(١) وفي الأصل : فشَمَا .

ثم اكْفَهَرَّتْ أرْجاؤهُ ، واحمَوْمَت أرْحاؤهُ (١) ، وابْذَعَرَّت فَوارِقُهُ ، وتَضاحَكَت بَوارِقُهُ ، واسْتطار وَادِقُهُ ، وارْتَتَقَتْ جُوَبُهُ ، وارْثعَنَّ هَيْدَبُهُ ، وحَشَكَتْ أخْلافُهُ ، واستَقَلَّت أرْدافُهُ ، وانْتَشَرتْ أكنافُهُ ، فالرَّعدُ مُرْتَجِسٌ ، والبَرقُ مُخْتَلِسٌ ، والماءُ مُنْبَجِسٌ (٢) فأَتْرَعَ الغُدُرَ (٣) وأنْبَثَ الوُجُرَ ، وخَلَطَ الأوْعالَ بالآجالِ ، وقَرَنَ الصِّيرانَ بالرِّئالِ ، فَلِلأَودِيةِ هَديرٌ ، وللشِّراجِ خَريرٌ ، وللتِّلاعِ زَفيرٌ ، وحَطَّ النَّبْعَ والعُتُمَ من القُلَلِ الشُّمِّ إلى القِيعانِ الصُّحْمِ ، فلم يَبقَ في القُلَلِ إلا مُعْصِمٌ مُجْرَنْثِمٌ ، أو داحِضٌ مُجْرَنْجِمٌ ، وذلك من قَضاءِ رَبِّ العالَمين على عبادِهِ المُذْنِبين .

قال أبو بكرٍ قولُهُ :

(إستَقَلَّ) : ارتفعَ في الهواء ، و (السَّدُّ) السَّحابُ

---

(١) نسيها الناسخ (واحمومت أرحاؤه) في المتن ، وأثبتها في الشرح ، وجاءت في الليدنية .

(٢) وفي الهامش : قال الله تعالى : فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً أي نبعت .

(٣) وفي الليدنية : الغُدْر ، بسكون الدال والصواب بضمها جمع غَدير مثل كَثيب وكُثُب .

الذي يَسُدُّ الأُفقَ ، و (الطَّفَلُ) اختلاط الظَّلامِ بعدَ غروبِ الشمسِ ، و (شَصَا) ارتفع يعني السّحابَ ، و (احزَألَّ) أي انْتَصبَ ، و (اكْفَهَرّ) تَرَاكَم وغَلُظَ ، و (أرْجاؤهُ) نواحيه ، الواحد رَجًا مقصور ، (احموَمّت) اسودّت ، وهو سَوادٌ تَخْلِطه حُمرة ، (أرْحاؤهُ) أوساطه ، و (ابْذَعَرّتْ) تَفَرّقت ، و (الفوارقُ) الواحدة فارق ، وهي قِطَع من السّحاب تَتفَرّق عنه مثل فُرّقِ الإِبلِ ، وهي النّوقُ إِذا أرادت الولادةَ فارقَتِ الإِبلَ وبَعُدَت عنها حَيثُ لا تُرى فأَنْتجت ؛ (تَضاحكت بَوارِقُهُ) شبّه لَمعانَ البَرقِ بالضّحِك ، و (اسْتطار) انتشَرَ ، و (الوَدْق) قَطْرٌ كبارٌ يَخرجُ من خَلَل السّحاب قبلَ احتفالِ المطَرِ ، (ارْتَتَقت جُوَبُهُ) أي تَلاءمتِ ، و (الجُوَبُ) الفُرَجُ ، الواحدة جُوبة ، و (والهَيْدبُ) : ما تَدَلّى من السّحاب في أعجازِهِ فكأنّه كالهُدْب له ، و (حَشكتْ أخلافُهُ) هذا مَثَلٌ ، (يقال) حَشَكَ[1] ضَرعُ الناقةِ إذا امتلأ لبنًا ، والأَخلافُ : الواحد خِلْفٌ ، وهو الضّرْعُ للناقةِ خاصّةً ، وأرْدافُهُ : مآخيرُهُ ، وأكنافُهُ : نَواحيهِ ؛ قولُهُ : (الرّعدَ

(١) في اليدنية : يقال حشك ضرع الناقة .

مُرْتَجِس) أيْ تَسمع له رِجسًا ، وهو الصّوتُ بِهَدّة شَديدة ، و (مُنبَجِسٌ) مُنْصَبٌ ؛ (والبَرق مُختلِس) كأنه يَختلِسُ الأَبصارَ من شِدّة لَمعانِه ، (فأَترَعَ الغُدُرَ) أيْ مَلأَها . و (الغُدُرُ) جمع غَدير ، و (أنبَثَ الوُجُرَ) أيْ حَفَرها وَخرّبها ، و (الوُجُرُ) جمع وِجار ، وهو سَرَبُ الضَّبُعِ ، وللذِّئبِ والثَّعلَب ؛

وقوله : (خَلَطَ الأَوْعالَ بالآجال) يُريد أنه حطّ تلكَ الأَوعَالَ من رُؤوسِ الجبال فخلطَها بالآجالِ ، و (الآجالُ) واحدها إِجلٌ ، وهي قُطْعانُ الوَحشِ ، وانه حطّ تلك من رؤوس الجبال ، فجمعَ بَينها وبينَ البَقرِ التي مَراتِعُها القِيعانُ لاحتمالِ السّيل لها[1]؛ وقولُه : (قَرَنَ الصِّيرانَ بالرِّئالِ)، والصّيرانُ : جمع صُوار ، وهو القَطيع من بَقَر الوحش ، والرِّئالُ : واحدُها رَأْلٌ ، وهي فِراخُ النّعامِ ؛ وإِنّما يُريدُ بهذا كُلِه أنّ السيلَ غَرّقَ هذهِ الوحوشَ فجمعَ بين السُّهلِيّ[2] والجَبليّ ؛ وقوله : (للأَوْدية هَدير) : أي تَهدِر كهدير الإِبلِ لكثرةِ السّيلِ ؛

(١) وفي اليدنية : فاحتملها السّيلُ .

(٢) أبو عمرو بن العلاء : يُنسبُ إلى الأرض السهلة سُهْليّ بضم السين .

والشِّراج : الواحدُ شَرْجٌ ، وهي مَجاري الماء من الغِلَظِ (١) إلى بُطونِ الأوْديةِ ،

و (التِّلاعُ) أفواهُ الاوْديةِ ، الواحدُ تَلْعَةٌ ، أيْ تَزْفِر بالماء لفَرْطِ امْتلائها ، و (النَّبْعُ والعُتْمُ) (٢) : ضَربان من الشَّجَر لا يَنبُتانِ إلاّ في الجبلِ (٣) ، يقول : فَحَطَّ السَّيلُ هذا الشَّجَر من رُؤوسِ الجبالِ إلى القِيعانِ ؛

وقَولهُ (لم يَبْقَ إلاّ مُعْصِمٌ) يُريدُ أنَّ الوُعولَ خافت

---

(١) الغِلَظ في الأصل ضد الرِّقة في الخَلق والطّبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك ، وأرض غليظة غير سهلة ، وربما كُني عن الغليظ من الأرض بالغِلَظ ، قال ابن سيده : فلا أدري أهو بمعنى الغليظ أم هو مصدر وُصِف به ؟ والغَلْظ : الغَليظ من الأرض رواه أبو حنيفة عن النضر ورُدّ ذلك عليه ، قالوا : ولم يكن النضر ثقةً ، والغَلاظ عن كُراع الصُّلب من الأرض من غير حجارة ، وهو تأكيد لقول أبي حنيفة .

(٢) وفي هامش الأصل : خ والعُتْمُ بسكون التاء : زيتون البَرّ ، وفي اللسان أيضاً بالتحريك قال أمية :

(تلكم طَروقَتهُ والله يَرفعُها فيها العَذاةُ وفيها يَنبُتُ العَتَمُ)

(٣) أمّا النبع فتتخذ منه للدونته ومتانته القسيّ والسهام ، وأما العُتْم بسكون التاء وضمها فهو ما يسمّى بالفرنسية Oleastre وبلسان العلم (Olea Oleaster) وهو نوع بَريّ من جنس الزيتون ينبت في جبل اللكام شرقيّ الشام وثمرته تسمّى الزَّغْبَج (معجم الألفاظ الزراعية) .

الغَرَقَ واستَعْصَمتْ بالصُّخورِ [١] ، فَنَجا ما اسْتَعْصَمَ مِنها ، وَتَجَرْجَمَ [٢] ما لَم يَعْتَصِمْ : أي صُرِعَ فاحْتَمَلَهُ السَّيلُ : و (المُجْرَنْثِمُ) المُتَقَبِّضُ .

٤ ـ أخبرَنا أبو حاتم وعبدُ الرّحمن عن الأَصْمعيِّ قال : [٣]

---

(١) وفي اليدنية : فاعتصمت بالصخور فنجا ما اعتصم .

(٢) وقالوا : جَرْجَمَ البيتَ هَدَمه أو قوّضه فتجرجَم ، والرجلَ صَرَعه فتجرجَم .

(٣) وجاء هذا الخبر الدُّريديّ في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (٢/٤) وقال فيه : « من أبلغ ما جاء في ذلك (أي في صفة السحاب) ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دُريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال : سألت أعرابياً من عامر ابن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم ... إلى آخر هذا الخبر مع اختلاف قليل في الألفاظ مثل (فاعترض الأمطار فأغشاها) وفي نسختنا : فاعتَنّ في الأقطارِ فأشجاها ؛ ومثل (وبنش ثم قطقط) وفي نسختنا : وبَغَشَ وطَشَّ ثم قطقط ؛ ومثل (ثم ركدَ فأجثم) وفي نسختنا : فأثجمَ ؛ ومثل (ثم وَبَل فسحّ) وعندنا : وَبَلَ فسَجَم ، وهو أقوى لموافقة السجع ؛ ومثل (لا يريد انشاءاً) وعندنا : ما يريد انقشاعاً ؛ وليس في القاموس ولا اللسان أربل ، فلعلّ هنالك تصحيفا ؛

أما (أبو أحمد) الذي جاء في السند فهو خال أبي هلال العسكري ، وهو من تلاميذ ابن دريد ونفطويه ، وكان من علماء اللغة والنحو والأدب ، ولعل أبا الطيب اللغوي قد أخذ عنه في عسكر مكرم مع رفيقه أبي هلال العسكري ، وهو بلديّه وصفيّه .

سَأَلتُ أعرابيًّا من بَني عَامِر بن صَعْصَعَةَ عن مَطَرٍ صَابَ[١] بلادَهم، فقالَ: نَشَا عارِضاً فَطَلعَ ناهِضاً، ثمَّ ابْتَسَمَ وامِضاً، فَأَعْتَنَّ في الأَقْطارِ فأَشْجَاها، وامْتَدَّ في الآفاقِ فَغطَّاها، ثمَّ ارْتَجَزَ فَهَمْهَمَ، ثم دَوَّى فأَظْلَمَ، فَأَرَكَّ ودَثَّ وبَغَشَ وطَشَّ، ثم قَطْقَطَ فأَفْرطَ، ثم دَيَّمَ فأَغْمَطَ، ثُمَّ رَكَدَ فأَثْجَمَ، ثمَّ وَبَلَ فسَجَمَ، وجادَ فأَنعَمَ، فقَمَسَ الرُّبى، وأَفرطَ الزُّبى، سَبْعاً تِباعاً، ما يُريدُ انقِشَاعًا، حتَّى إِذَا ارْتَوتِ الحُزونُ، وتَضَحْضَحت المُتونُ، سَاقَهُ رَبُّكَ إِلى حَيثُ شاء، كما جَلَبَهُ من حَيثُ شاء.

قال أبو بَكر: قولُه (نَشَا عارِضاً) أي اسْتقلّ، و (العَارِضُ) سَحابٌ يَعْترِضُ في أُفقِ السماء؛ وقوله: (طَلَع) ارْتَفعَ[٢]، و (الوامِضُ) البَرقُ، يُقال: وَمَضَ السَّحابُ وأَوْمَضَ: إِذا رأَيتَ البرقَ في عُرْضِهِ يَلمعُ لمَعَاناً خَفِيًّا كالتَّبسُّمِ؛

وقولهُ: (فأَشْجَاها) أي مَلأَها؛ وقوله (ارْتَجَزَ) يَعني ارْتجازَ الرَّعدِ، و (هَمْهَمَ) وهو أَنْ تَسمعَ للرَّعدِ هَمْهمةً

(١) وفي ديوان المعاني: أصابَ، و (صابَ) هنا عربيّ جيد.
(٢) وفي الأصل: فارتفع، وجاء في الليدنية: والرَّمض البرق.

كهَمْهَمَةِ الأسَدِ ؛ وقوله (دَوّى) أيْ سمعتَ له دَويّاً ؛ وقوله : (فأرَكَّ) أيْ مَطَرَ رِكّاً ، و (الرِّكُّ) : مَطرٌ ضَعيفٌ ، وكذلكَ (الدَّثُّ) والجمعُ دِثاثٌ [١] ورِكاكٌ ؛ و (البَغْشُ) دونَ الطّشِّ ، و (القِطْقِطُ) قَطْرٌ مُتَتابعٌ أكثرُ من قَطرِ الطّشِّ[١] ؛

وقوله : (دَيَّمَ [٢] الدِّيمَةَ) : (الدِّيمةُ) مَطرٌ يَبقى أياماً لا يُقلِعُ ؛ وقولهُ (أغْمَطَ) أيْ دَامَ [٣] ، و (رُكودُهُ) دَوامُــه ثابتاً لا يَتحرّك ، وقولُهُ (أثْجَمَ) أيْ أقامَ [٤] ؛

---

(١) وقال المرزوقيّ في كتابه الأزمنة (٢/٨٧) : وأوّل أسماء المطر (القِطْقِط) وهو أصغر المطر و (الرذاذ) فوق القطقط ، يقال قطّطتِ السماء وأرذّت ، ومنه (الطّشّ) وهو فوق القطقط ، و (البَغْش) وهو فوق الطّش ، قلت : وكلها من صغير المطر ودقيق القطر .

(٢) أي أمطرَ ديمةً ، وأصلها (دِوْمة) قلبت الواو ياءً بعد كسرة ، وهي من دام يدوم دواماً .

(٣) وفي ل (غمط) : وأغمطت السماء واغبطت : دام مطرها ، وسماء غَمَطَى وغَبَطَى دائمة المطر ، ويقال : أغمطت عليه الحمّى كأغبطت ، والميم بدل من البــاء ، قلت : وهما شفويان من مخرج واحد يتعاقبان كثيراً .

(٤) الإثجام سرعة المطر ودوامه أياماً متوالية ، وفي الصحاح أثجمت السماء ثم انجمت .

(وَبَلَ) من الوَابِل ، والوابلُ : المَطَرُ للْكبارِ القَطْرِ ، الشّديد الوَقْعِ ؛ والسَّجْمُ : الصَّبُّ ؛ وقولهُ (أَنْعَمَ) أيْ بَالغَ فيهِ[١] ، ومنه قولهم : دَقّا نِعِمًّا : أيْ مُبالِغًا ؛

وله : (قَمَسَ الزُّبَى) أي غَوَّصها في الماءِ ، و (الزُّبَى) جمع رَابيةٍ ؛ وقولهُ (أَفْرَطَ) أيْ مَلأَ ، و (الزُّبَى) جمع زُبْيةٍ ، وهي الحُفرةُ[٢] تُحفَر للأسدِ والذئبِ أيضًا[٣] ، والزُّبْيَة لا تُحفَر إلاّ في مَوضعٍ مُرتفعٍ ، فإذا بلغَ السَّيلُ إلى مَوضعِ الزُّبيةِ فقد بلغَ الغايةَ[٤] ؛ وقولُه (ارْتَوت الحُزون) افْتعلت من الرّيّ ، و (الحُزونُ) الغِلَظُ من الأرضِ ، الواحدُ حَزْنٌ ؛

(١) الأزهريّ : ودَقَقتُ دواءً فأنعمتُ دقّه : أي بالغت وزدت ، قلت : ومن هنا جاء معنى الزيادة ، وقال ابن منظور في ل (نعم) : ودققته دقًّا نِعِمًّا : أيْ نعم الدقّ .

(٢) في الميدنية : وهي حفيرة تحفر للأسد .

(٣) ويجعل فيها طُعم فيجيء الأسد أو الذئب حتى يقع فيها .

(٤) وكان جارفًا مُجحفًا وفي المثل : بلغ السيل الزُّبَى ، يُضرب لما جاوز الحدّ ،

وقولُه (تَضَحْضَحَتِ المتونُ) : أيْ صارَ فوقَها ضَحْضَاحٌ من الماءِ ، وهو الماءُ يَجري على وَجهِ الأَرضِ رَقيقاً ، و (المَتْنُ) : صَلاَبةٌ من الأرضِ فيها ارتفاعٌ ، وهو دُونَ الحَزْنِ .

٥ ـ أخبرنا عبدُ الرحمن عن عَمّهِ قال : سُئِلَ رجلٌ من العَرَبِ عن مَطَرٍ كانَ بعدَ جَدْبٍ فقال : نَشَأَ حَمَلاً سَدا[1] ، مُتَقاذِفَ الأَحْضَانِ ، مُحْمَوْمِيَ الأَركانِ . لَمّاعَ الأَقرابِ ، مُكْفَهِرَّ الرَّبابِ ، تَحِنُّ رُعودُهُ حَنينَ الطِّرابِ ، وتَزْجُرُ زَمْجَرةَ اللُّيوثِ الغِضَابِ ، لِبَوارِقِهِ الْتِهابٌ ، ولِرَواعدِهِ اضطرابٌ ، فجاحَفَتْ[2] صُدورُهُ الشِّعافَ ، ورَكِبَتْ أعجازُه القِفافَ ، ثُمَّ أَلْقَى أَعْباءَهُ ، وحَطَّ أَثقالَهُ ، فتألَّقَ وأَصْعَقَ ، وانْبَجَسَ

(١) التهذيب : السَّدُّ مصدر قولك سددتُ الشيءَ سدّاً ، وجاء السدُّ بالفتح والضمّ بمعنى الجبل والحاجز ، وحكى الزجاج وأبو عبيدة والأخفش : ما كان مَسدوداً خِلقةً فهو سُدٌّ ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ ، وعلى ذلك وُجِّهت قراءة من قرأ (حتى إذا بلغ بين السدَّين) بالفتح والضمّ ؛ وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بضم السين .

(٢) أصل الجَحْف القَشْر والجَرْف ، وسيل جُراف يجرف كل شيء ، وجاحفَ به : زاحَمه وداناه والجِحاف بكسر الجيم مزاحم الحرب مصدر جاحفه مجاحفة وجِحافا .

وانْبَعَقَ ، ثمَّ أنجَمَ فانطَلَقَ . فعادَتِ النِّهاءُ مُتْرَعَةً ، والغيطانُ مُمْرِعةً ، حَياً للبِلاد ورِفْداً للعِباد [١] .

قال أبو بكر : (الحَمَل) السَّحاب الكثيرُ الماء ، و (السَّدُّ) الَّـذي قد سَدَّ الأُفُقَ ؛ (مُتَقاذِف الأحْضانِ) يُريد النَّواحي [٢] ؛ وقولهُ : (مُحْـمَوْمِي) [٣] هو مُفْعَوْعِلٌ من الحُمَّة ، وهي سَواد تخلطه حُمرةٌ يَسيرةٌ ، و (الأقرابُ) الخُصورُ ، الواحِدُ قُرْبٌ ، والقُرْبُ والإِطْل والكشحُ والخَصْر واحِدٌ ؛

و (المُكْفَهِرّ) المُتراكِبُ ، و (الرَّبابُ) سَحابٌ تَراه كأنه مُتَعَلِّقٌ بالسَّحابِ ، الواحدةُ رَبابَةٌ ؛ وقولهُ (حنين الطِّرابِ)

---

(١) وفي اليدنية : ورزقاً للعباد .

(٢) الأزهري : حِضْنا الجبل ناحيتاه ، والرجل جنباه ، ونواحي كل شيء أحضانه . و (المتقاذف) أي السريع الانقذاف في جوانب الأرض ، وقالوا : فرس متقاذف : سريع العَدْو كأنه يقذف بنفسه أمام الخيل في عدْوه ، والناقــة القَذوف : تَرمي بنفسها من مرعتها أمام الإبل .

(٣) مُحْمومي الأركان : قال ابن منظور : واحْمَوْمَى الشيء اسودَّ كالليل والسحاب ، والمُحْمومي من السحاب : المتراكم الأسود ، قال في صفة السحاب ،

تألَّقَ واحْمَوْمَى وخَيَّم بالرُّبى أحَمُّ الذُّرَى ذو هَيْدَبٍ مُتراكِبِ

أرادَ الإبلَ النوازعَ إلى أوطانِها ، فهيَ تحِنُّ ، فشبَّهَ حنينَ الرّعدِ بحنينِ الإبلِ إلى أوطانِها .

وقولهُ (جاحَفَ) أيْ زاحَمَ ، و (الشّعافُ) رؤوسُ الجبالِ الواحدةُ شَعَفَة [1] ، و (القِفافُ) [2] (جمع قفّ وهو) الغِلَظُ من الأرضِ لا يَبلغُ أنْ يكونَ جبلاً : يُريدُ أنّ أعاليَ هذا السّحابِ مُطِلّةٌ [3] على الجبالِ ، ومآخيرُهُ على القِفافِ دانيَةٌ منَ الأرضِ ؛

(ألْقَى أعباءَهُ) أيْ أثقالَهُ ، يُريد الماء ، و (التّألُّقُ) شِدّةُ اللّمَعانِ ؛ و (الانْبِجاسُ) الانْفِجارُ بالماءِ ، و (الانْبِعاقُ)

---

(١) وفي نسخة : شَعَف كما جاء في الهامش ، وكذا في البيدنية .
وفي الأصل تحت شَعَفَة كتب الناسخ كلمة (شعف) وكان ينبغي أن تكتب تحت (الشعاف) لأن الشَعَف جمع شَعَفَة ، وهي من كلّ شيء أعلاه ، وشَعَفَة الجبل رأسُه ، وتجمع أيضاً على شِعاف وشُعُوف .

(٢) وفي البيدنية : والقفاف جمع قُفّ ، ويجمع على أقفاف عن سيبويه ، وهو جمع قِلّة ، قال ابن شميل : القُفّ جبل غير أنه ليس بطويل في السّماء فيه إشرافٌ على ما حوله وما أشرف منه على الأرض حجارة ، ويكون في القُفّ رياض وقيعان ، قال أبو منصور الأزهري : وقِفافُ الصّمّان على هذه الصفة ، وهي من حُزُون نجد .

(٣) وفي الأصل (مُطِلٌّ) ، وكذا في البيدنية ، وهي خبر (أعالي) فيقتضي تأنيثها وتأنيث (دانٍ من الأرض) كما فعلنا .

الصَّبُّ الكثيرُ في سَعة[١] ، وقولهُ (أنجَمَ) أي أقلَعَ وانقشَعَ و (النِّهاء) جمعُ . نِهْيٍ ، وهو الغَديرُ الَّذي له ناهٍ يَنهاهُ أنْ يَفيضَ[٢] ؛ و (الغيطانُ) جمع غائط ، وهو البَطنُ الغامِضُ مِنَ الأرضِ المُطْمَئِنُّ ، (مُمْرِعَة) مُخْصِبة .

بلغ الأوّلُ قراءةً عليَّ أيّده الله .

٦ ــ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي[٣] قال : سَمعت أعرابيًا من غَنِيٍّ يذكر مَطراً أصابَهم في غِبِّ جَدْبٍ فقال : تَدارَكَ ربُّكَ خَلقَه ، وقد كَلِبَتِ الأمحالُ[٤] ، وتَقاصَرتِ

---

(١) الانبعاق : مصدر انبَعَقَ المطرُ بالماء : إذا اندفَعَ مُنهمراً : وتَبعّقَ مثلُه ، وسيل بُعاقٌ وبِعاقٌ : شديد الدُّفعة ، وأنشد ابن بَرّي : (تَبعّقَ فيه الوابلُ المُتَهطّلُ) .

(٢) وفي اللسان (نهى) : والنّهيُ : الموضع الذي له حاجزٌ ينهى الماءَ أن يَفيض منه ، وقيل : هو الغدير في لغة أهل نجد قال :

ظلّت بِنِهْيِ البَرَدانِ تَغْتَسِلْ   تَشربُ منهُ نَهَلاتٍ وتَعِلْ

(٣) وتَرى هذا الخبر في أمالي القالي (١ : ١٧٣) يَرويه أبو علي عن شيخه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي .

(٤) قوله (كَلِبَت) : اشتدّت و (الأمْحال) جمع مَحل وهو الجَدْب ، يقال : كَلِبَ على الشيء كَلَباً : حَرَصَ عليه حرصَ الكلب ، وفي حديث عليّ : كتب إلى ابن عبّاس حين أخذ من مال البَصرة : فلمّا رأيتَ الزمانَ على ابن عمّك قد كَلِب ، والعَدوّ قد حَرِب ؛

الآمالُ ، وعَكَفَ الياسُ (١) ، وكَظِمَت الأنفاسُ (٢) ، وأصبحَ الماشي مُصْرِمًا (٣) ، والمُتْرَفُ مُعْدِما (٤) ، وجُفِيَتِ الحلائل ، وامتُهِنَتِ العَقائل (٥) ، فأنشأ الله سحاباً رُكاما كَنَهْوَراً سَجّاما (٦) ، بُروقُه مُتأَلِّقَة ، ورُعودُه مُتَقَعْقِعَة (٧) ، فسَحَّ سَاجياً

(١) أي أقامَ في النفوس .

(٢) يقال : كَظَمَ الرجل غَيظَهُ إذا اجترعَه وردَّه وصبر عليه وفي التنزيل الجليل : « والكاظمين الغيظ » ، وقوله (وكظِمت الأنفاس) أيْ من الغيظ والألم .

(٣) وفي حاشية الكتاب : الماشي ذو الماشية الكثيرة ، أراد أنه فَنِيَت ماشيته من الجدْب فلم تبقَ إلاّ صِرْمة : أي قطعة صغيرة من الإبلِ وهي ما بين العشرة والعشرين أو الثلاثين ، والمعنى : وأصبح الغنيّ فقيراً والمترف مُعدِماً ، فَكَرِهت النساء وابتُذلت الكرائمُ منهنّ بالخدمة .

(٤) قوله (والمترف معدما) وفي أمالي القالي (١/١٧٣) وفي اليدنية أيضاً : والمترب معدماً ، وكلا القولين صحيح ، فإن (أَتْرَبَ) بمعنى قل مالُه وكثر ماله من الأضداد . وهي هنا بمعنى استغنى وكثر ماله فصار كالتراب .

(٥) قوله (امتُهِنَت) أي ابتُذلت بالخدمة ، والعقائل كرائم النساء الواحدة عقيلة .

(٦) ومن أسماء السحاب (الكَنَهْوَر) كغضنفر وهو المتراكم ، و (السَّجّام) الصبّاب ، و (متألقة) لامعة .

(٧) التَّقَعقع والقَعْقَعة : صوت الرعد في شدّة ، واشتقاقه من صوته ، ومنه قعقعة السلاح وما أشبهه .

رَاكِدًا[١] ثَلاثًا غيرَ ذي فُواقٍ[٢]، ثم أمرَ ربُّكَ الشَّمالَ فطَحَرتْ[٣] رُكَامَهُ[٤]، وفَرَّقتْ جَهَامَهُ، فانْقَشعَ مَحْموداً، وقد أحيَا فأغنَى، وجَادَ فأرْوَى، فالحمدُ لِلهِ الَّذي لا تُكَتُّ[٥] نِعَمُهُ، ولا تَنْفَدُ قِسَمُهُ، ولا يَخيبُ سَائِلُهُ، ولا يَنزُرُ[٦] نائِلُهُ.

(١) قوله (فسحّ ساجياً راكداً) أيْ صَبَّ ماءه بسكون وركود ودوام مدةَ ليالٍ ثلاثٍ ؛ قال أبو علي القالي : أنشدني أبو بكر ابن دريد قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه (الأصمعي) لدريد بن الصمّة :

وربَّتَ غارةٍ أوْضَعْتُ فيها كَسَحِّ الماجريّ جريمَ تَمرِ

(٢) الفُواق بضم الفاء : أن يَصُبَّ صَبّةً ثم يسكن ، ثم يصبّ أخرى ثم يسكن ، وهو من فُواق الناقة الذي هو ما بين الحَلْبتين .

(٣) جاء في الهامش (طَحَرَ) دفعَ وأزال ؛

(٤) من أسماء السحاب وهو ما تراكم منه ، والجَهامُ في نظام الغريب للرَّبعي : السحابُ الذي قد هَراقَ ماءه واحدتها جَهامة .

(٥) وجاء في الهامش على يسار (تكتّ) : تُكَتُّ تعدّ ، وفي حاشية : يقال بَحْرٌ لا يفضفضُ ولا يُكتُّ ولا يُنتج : أي لا يُنزف ، قال أبو علي في أماليه (١٧٥/١) : وتُكتُّ تُحصَى أنشدني أبو بكر ابن دريد :

إلاّ بجيشٍ لا يُكتُّ عديدُهُ سُودِ الجلود من الحديد، غِضابِ

(٦) أي : ولا يقل ، ومنه يقال : امرأة نَزور ونَزِرة إذا كانت قليلة الولد ، وقد يستعمل في الطير كما قال كثير :

بُغاثُ الطيرِ أكثرُها فِراخاً وأمُّ الصَّقرِ مِقلاتٌ نَزورُ

٧ ـ أخبرنا أبو حاتم (عن الاصمعيّ [١]) قال : كانَ شَيخٌ من الأعرابِ في خِبائِهِ ، وابنةٌ له بالفِناء إذ سَمِعَ رَعْداً فقالَ : ما تَرينَ يا بُنَيَّةُ ؟ قالتْ :

ـ أراها حَوّاءَ قَرْحاءَ كأنّها أقرابُ أتانٍ قَمْراءَ [٢] ؛ ثم سَمِعَ راعِدةً أُخرَى فقالَ : كيفَ تَرَينَها ؟ قالتْ :

ـ أراها جَمَّةَ التَّرْجافِ ، مُتَساقِطَةَ الأكْنافِ ، تَتَألّقُ بالبَرْقِ الوِلافِ ، قال : هَلُمّي المِعْزَقَةَ وانْأيْ نُؤْياً [٣] .

قال أبو بكر : (حَوّاءُ) سَوداءُ إلى الحُمرةِ كلَونِ الفَرسِ الأحْوَى ؛ (قَرْحاءُ) يُريد أنّ البَرقَ في أعالِيها فكأنّها قَرْحاءُ

---

(١) ما بين القوسين من الميدنية .

(٢) وفي المخصص (٩/١٠٣) قيل لأعرابيّ : أيُّ السَّحاب أمطرُ ؟ فقال : إذا رأيتَها كأنها بطن أتانٍ قمراء فهي أمطر ما تكون .

(٣) وفي الأصل : إنأي نُؤيًا بكسر الهمزة ، وهو خطأ . لأنه ليس من رمَى يرمِي بل من سَعَى يسعَى ، وفي الميدنية : أنأى نُؤْيًا ، وهو الصواب لأنه ، إن كان من الثلاثيّ (نأى ينأى) فالتعبير الصحيح أن يقال : (إنأيْ نؤيًا) ، وإنْ كان من الرباعيّ (أنأى يُنئي) فإنه يقال : (أنئِي نؤيا) ، و (النُّؤْي) : كلّ ما حجزَ الماءَ عن الخيمة أكانَ حفرةً أم ترابا ، وفي اللسان : ونأيْتُ النؤي أنأى ، وأنأيته ، وأنأيتُ الخباءَ عملتُ له نُؤيا ،

مثلُ الفَرسِ الاقْرحِ [١] ، و (الأَقْرابُ) الخُصورُ ، شَبَّهها ببطنِ الأَتانِ القَمْراء ، و (القُمرةُ) بَياضٌ كَـدِرٌ ، (جَمّة) كثيرة ، و (التَّرْجافُ) الاضطِرابُ ، و (الاكْناف) النَّواحي ، تَقول : قد اسْتَرْخَت نَواحيها لكثرة مائِها ؛ و (البَرقُ الوِلافُ) [٢] الـَّذي يَبْرُقُ بَرقَتينِ مُتَواليتَين ، وهو لا يَـكاد يُخْلِفُ . و (المِعْزَقَةُ) المِسْحَاةُ [٣] ، و(النُّؤْيُ) تُرابٌ يُجْمَعُ حولَ البَيتِ لِئَلاً يَدخُلَه المَطرُ .

(١) وفي حاشية إلى جانب (الفرس الأقرَح) الأقرح : الذي له نقطة بَيضاء في مَوضع الغرّة ، قلتُ وفي مَبادىء اللغة للاسكافيّ : ومن شيات الوجهِ إذا كان في جَبهته بياض كالدرهم أو أقلّ فهو أقرحُ ، فإن زادَ عليه فهو أغرُّ .

(٢) أي المتواصل قال رؤبة (ويومَ ركضِ الغارة الوِلافِ) قال ابن الأعرابيّ أرادَ بالولاف الاتصال : قال أبو منصور : كان معناه في الأصل إلافاً فصيّر الهمزة واواً .

(٣) تعريف المِعزقة بالمسحاة غير دقيق لأنها أداتان مختلفتان : أمّا (المِعزقة) فمن عزقَ الأرضَ إذا شقّها لاخراج الأعشاب الضارة منها ، وفي اللسان (عزق) : « ويقال لتلك الأداة التي تشقّ بها الأرض مِعْزقة ومِعزق وهي كالقَدوم وأكبر منها » ، وأمّا (المِسْحاة) فمن سحوت أو سحيت الطينَ عن وجه الأرض إذا جرفته ، فهي مجرفة كبيرة من حديد يستعملها سّاحيان في بلاد الشام ، والمعزقة والمسحاة غير المَرّ أيضاً ، وللأدوات الزراعية تعريفات دقيقة في كتب اللغة .

٨ ــ أخبَرنا أبو حاتمٍ عن الأَصمعيِّ قال :

وَقَفَ أعرابيٌّ على أبي المَكْنُون النَّحويّ وهو في حَلْقته ، فسأَلَهُ فقال : مَكَانَكَ حتّى أفرُغَ لكَ ، فدَعا واسْتَسْقَى فقال :(١) اللّهُمَّ ربَّنا وإلَهنا ومَولانا ، صَلِّ على نَبيِّنا محمَّدٍ ، ومَن أرادَنا بسُوءٍ(٢) فأَحِطْ ذلكَ السُّوء بهِ كإحاطةِ القلائد بتَرائبِ الوَلائدِ(٣) ، ثم أرْسِخْهُ على هامَتهِ كرُسُوخ السِّجّيلِ(٤) على أصحابِ الفيلِ ، اللّهمَّ اسْقِنَا غَيثاً ثَرِيًّا(٥) طَبَقاً مَرِيعاً مُجَلْجِلاً مُسْحَنْفِراً ، هَزِجاً سَحًّا سَفوحًا غَدَقاً مُثْعَنْجِرًا ، قال : فَوَلّى الأَعرابيُّ مُدْبِرًا ، فقالَ له : مَكَانَكَ حتّى أَقضِيَ حاجَتكَ ، فقالَ :

(١) وفي الليدنية : ثم قال

(٢) وكتب الناسخ فوق بسوء : بشرّ ، وكأنه أراد التفسير أو الاشارة إلى نسخة أخرى .

(٣) القلائد ج قلادة ، والولائد ج وليدة : وجمع الوليد ولدان ، وهو كقولهم : (إحاطة السوار بالمعصم) .

(٤) السجّيل : حجارة من طين قال تعالى : (ترميهم بحجارة من سجّيل) وهو فارسي معرّب من (سنك) بمعنى حجر ، و (كيل) بمعنى طين .

(٥) ثريًّا أي كثيراً ، وفي الليدنية (مريًّا) بتسهيل الهمزة ، وفيها (مريعا تامًّا) بدل (مريعاً) .

الطُّوفانُ وربِّ الكعبةِ ! حتَّى أُأْوِيَ[١] عيالي إلى جبل يعصمهم[٢] من الماء !

قال أبو بكر : (الطَّبَقُ) المطرُ الذي يُطبِّقُ الأرضَ ، و (المَرِيعُ) الذي يُمْرِعُ أي يُخْصِبُ ، و (المُجَلْجِلُ) : الذي تسمعُ لرعدِهِ جَلْجَلَةً أيْ صوتاً وهدَّةً ، و (المُسْحَنْفِرُ) الجاري[٣] ، و (السَّحُّ) الصَّبُّ ، و (السَّفوحُ) المُنْسَفِحُ ، و (الغَدِقُ) الكثيرِ الماء ، و (المُثْعَنْجِرُ) الجاري حتَّى يَمْلأَ الأرضَ[٤] .

(١) وفي الأصل آوي ، وإلى جانبها أأوي ، وفي اللبدنية (أووي) بتسهيل الهمزة الثانية ، و (حتّى) قبلها تدلّ على أنه يريد أن يقول : انتظر حتى أووي عيالي ثم أرجع إليك لتقضي حاجتي .

(٢) وفي الهامش يعصمني ، وبعدها خ أي كما جاء في نسخة أخرى .

(٣) قال أبو حنيفة : المُسْحنفر الكثير الصّبّ الواسع قال :

أغرُّ مزيمٌ مُستهِلٌّ ربابُهُ له فُرقٌ مُسْحنفراتٌ صوادِرُ

(٤) وفي ل (ثعجر) الثَّعْنجرة انصبابُ الدمع . ثعجر الشيءَ والدَّم وغيره فاثعنجرَ : صبَّه فانصبّ ، قال امرؤ القيس حينَ أدركه الموت ربَّ جفنةٍ مُثْعَنْجِرة ، وطَعْنة مُسْحنفرة . تَبقى غداً بأنقرة : فالمثعنجرة الملأى تفيضُ ودَكَها ، والمثعنجر والمسحنفر : السيلُ الكثير ، وبلغني أن قبر امرىء القيس على ربوة بأنقرة ، وبسميه الترك قبر ملك العرب .

٩ ـ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ، وأخبرنيه أبو عثمانَ عن التَّوَّزيّ عبد الله بن هرون عن مَنْ حدَّثه قال: مررتُ بغلمةٍ من الاعرابِ يتماقلون (١) في غديرٍ، فقلتُ لهم: أيُّكم يَصِفُ لي الغَيثَ وأُعطيه درهماً، فخرجوا إليَّ وقالوا: كلُّنا يَصِفُ، وهم ثلاثةٌ، فقلتُ: صِفُوا، فأيُّكم رَضِيتُ (٢) صِفتَهُ أعطيتهُ الدرهمَ، فقال أحدُهم:

عَنَّ لنا عارضٌ قَصْراً تَسوقُه الصَّبا، وتَحْدُوهُ الجَنوبُ (٣)، يَحبُو حبوَ (٤) المُعتَنِك، حتَّى إذا اذلأمّتْ صدورُهُ، وانْثَجَلتْ خُصُورُهُ، ورَجَّعَ هَديرُهُ، وأصعَقَ زَئيرُهُ، واسْتَقَلَّ نَشاصُهُ، وتَلاءَمَ خَصاصُهُ، وارْتَعَجَ ارْتِعاصُهُ، وأوْفَدَتْ (٥) سِقابُهُ،

(١) من (تَماقلَ) والمَقْلُ : الغَمْس في الماء، قال في اللسان (مقل) : ويقال للرجلين إذا تَغاطَسا هما يَتماقَلان .

(٢) وفي اليدنية : ارتضيتُ .

(٣) الصَّبا ريح الشرق، والجَنوب ريح الجنوب سميت باسم الجهة .

(٤) وفي اليدنية : حَبْوَ .

(٥) وفي الهامش : أوفدَت أي علت وكلاهما صحيح لأنه يقال : أوفدَ الشيءَ رفعه وأوفد الشيءُ ارتفع قال ابن مقبل (الديوان (١٩/٦٥)) :

تراءت لنا يومَ النّــارِ بفاحمٍ وسُنّةِ ريمٍ خافَ سمعاً فأوفدا

أي رفع الريم رأسَه ونصبَ أذنيه .

وامْتَدَّتْ أطْنابُهُ تَدارُكَ وَدْقُهُ ، وتَألَّقَ برقُهُ ، وحُفِزَتْ تَواليهِ ، وانْسَفَحتْ عَزاليهِ [1] فغادَرَ الثَّرى عَمِداً ، والعَزازَ ثَئِداً ، والحَثَّ عَقِداً ، والضَّحاضِحَ [2] متواصِيَةً ، والشِّعابَ مُتَداعِيَةً ،

وقال آخر [3] :

تَراءَت المَخايِلُ من الأقْطارِ ، تَحِنُّ حَنينَ العِشارِ ، وتَترامَى بشُهُبِ النّارِ ، قواعِدُها مُتلاحِكَةٌ ، وبواسِقُها مُتَضاحِكَةٌ ، وأرْجاؤها [4] (متقاذفة ، وأرحاؤها) مُتراصِفَةٌ ، فواصَلتِ [5] الغَرْبَ بالشَّرقِ ، والوَبْلَ بالوَدْقِ ، سَحًّا دِراكا ؛ مُتَتابِعاً لِكاكاً ، فَضَحْضَحَتِ الجَفاجِفَ ، وأنْهَرَتِ الصَّفاصِفَ ، وحَوَّضَتِ

(١) وفي الهامش : وانفسحت عزاليه ، لديّ من أصل الكنديّ ، وفي هامش بعده جاء ما نصّه : [قال موهوب (انسفحت) هو الصحيح ، والضحاضح أيضاً] ؛ قلت : وصاحب (الاجازة) التي في صفحة العنوان وهو عبد الرحيم بن عليّ السلميّ ، قد أخذ العلم عن موهوب الجواليقي ، فلعلّ هذا التصحيح هو بخط موهوب صاحب المعرّب رحمه الله .

(٢) وفي الليدنيّة (الضحاضيح) على القياس .

(٣) هو الغلام الثاني .

(٤) وما بين القوسين من الليدنية ، وقد سهّا عنه الناسخ في المتن هنا ، وأثبته في الشرح التالي ، فدلّ على صحة الليدنية .

(٥) في الليدنية : فوصلت .

الاصالِفَ ، ثم أقلعتْ مُحْسِبَةً محمودَةَ الآثارِ ، مَوْمُوقةَ (١) الحبار ؛

وقال الثالث : وواللهِ ما خلتُه بلغَ خَمساً (٢) :

هَلُمَّ الدِّرْهَم أَصِفْ لكَ ، قلتُ : لا ، أوْ تقولَ كما قالا ، فقال (٣) : واللهِ لَأُبَذَّنَّهما وَصْفاً ، ولأفوقَنَّهما رَصْفا ، فقلت : هاتِ لِلّهِ أبوكَ ! فقال :

بينا (٤) الحاضِرُ بين الناس والإبْلاس ، قد غمرهمُ الإشفاقُ ،

---

(١) وفي الأصل والليدنية (موقوفة) . وفي الهامش : خ مومومة و خ مرموقة ، مما يدل على نسخ المعارضة حين قراءة الكتاب ، والخط يشبه خطَّ موهوب ، وكثير من الهوامش بهذا الخط أيضاً ، و (الحَبار) بفتح الحاء الأثر ، مفرد ، والجمع حَبارات ولا يكسَّر .

(٢) وقلت لمن عجب أو استنكر من أصحابي فصاحة هؤلاء الصبيان وظنَّها من صناعة المؤلف : لا تعجبنَّ فلعلَّ من مُبَشِّراتِ ذلك عليهم أنَّ هؤلاء الصبيان كانوا في السنين الجدبة كثيراً ما يسمعون ، وهم في حلقات آبائهم في الخيام عبارات وصف الغمام فحفظوا كثيراً من جُمَل الصِّفات ، فهم يَنضِّدونها عند الطلب كما تنضَّد الحروف في المطابع ، ولو أنني وجدتُ لعمري أحداً من صبيان هذا الزمان يَصف لي بلغته العاميَّة سحابةً أو ضبابة لأعطيته ديناراً لا درهما !

(٣) وفي نسخة : فقلت ، كما جاء في الهامش .

(٤) وفي نسخة : بينما .

ورَهبة الإملاق ، وقد حقبت [١] الأنواء ، ورَفرفَ البَلاء ، واستولَى القنوطُ على القلوب ، وكثُرَ من الذنوب . ارتاحَ ربُّكَ لعبادهِ فأنشأَ سَحاباً مُسْجَهِرًّا [٢] كَنهوراً مُعنَوْنِكاً مُحلَوْلِكاً ، ثم استقلَّ واحزَألَّ فصارَ كالسَّماء دونَ السَّماء وكالأرضِ المَدْحُوَّةِ فوقَ لوحِ الهَواء ، فأحسَبَ الشُّولَ ، وأتأقَ الهجُول [٣] ، فأحيا الرَّجاء وأمات الضَّرّاء ، وذلك قضاءُ [٤] ربّ العالمين .

قال : فَمَلأَ واللهِ اليَفَعُ [٥] صدري ، فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم درهماً وكتبْتُ كَلامَهم .

قال أبو بكر : (عَنَّ) اعترضَ ، و (العارِضُ) السَّحابُ يَعترِضُ في الأُفقِ ، وأكثرُ ما يكون ذلكَ معَ إقبالِ الليلِ ، (والقَصرُ) : العَشِيُّ ؛ وقولُهُ (يَحبُو حَبوَ المُعتَنِكِ) فالحَبْوُ دُنُوُّ الصَّدرِ منالأرضِ ، من ذلكَ حَبا الصَّبيُّ إذا زَحَفَ وصَدرُهُ دانٍ

(١) وفي الهامش جاء تفسير (حقبت) : ضاقت وشحت .

(٢) المُسْجَهِرّ : اي يترقرق فيه الماء كما ذكره في الشرح ابن دريد ؛ واسْجهرَّ السَّرابُ إذا ترَيَّعَ وجرَى .

(٣) وفي الهامش : المَجْلُ المطشَّ من الأرض .

(٤) وفي الهامش : من فضلِ ، بدل قضاء .

(٥) وفي نسخة : الغلامُ .

من الأرضِ ، و (المُعْتَنِكُ) البَعيرُ وغيرُهُ أيضاً الَّذي يَصعَدُ في العَانكِ من الرَّملِ ، وهو الكَثيبُ المُتداخِلُ مِن الرَّملِ يَشُقُّ على الصَّاعدِ فيه ، والبَعيرُ إذا كُلِّفَ صُعودَهُ زَحَفَ فَشَبَّهَ نُهوضَ السَّحابِ لِثِقَلِهِ بما فيه من الماءِ بهِ قال رُؤبة [١] :

أُودَيْتَ إِنْ لم تَحبُ حَبوَ المُعْتَنِكْ

وقَولُهُ (ازْلأَمَّتْ صُدورُهُ) أي انْتَصَبَتْ [٢] ، و (النَّشاصُ) ما انْتَصَبَ من السَّحابِ [٣] ، و (الخَصاصُ) الفُرَجُ ؛ وقوله

(١) في الأصل جاء في الشطر : (حَبْوَ المُعْتَنِكْ) وبه ينكسر الشطر من الرَّجز ، والحَبْو المصدر والحُبوّ وزن دُنوّ الاسم ؛ وفي اللسان (عنك) وقد استشهد بقول رؤبة هذا ، وقال في شرحه على التشبيه ، هلكت إن لم تحمل حَمالتي بجَهد وقوله (أوديت) أي هلكت واعتَنَكَ البعيرُ واستعنكَ : حَبا في العانك فلم يقدر على السير .

(٢) وارتفعت ، ويقال للرجل إذا نهض فانتصب : قد ازلأمّ ، وازلأمّ النهار والشيء إذا ارتفع قال كثير عزة :

تأرّضُ أخْفافُ المُناخةِ منهمُ مكانَ التي قد بُعِثَتْ فازْلأمّتِ

أي ارتفعت في سيرها .

(٣) وقيل : النّشاص هو السحاب الذي يرتفع بعضه فوق بعض وهو من نَشَصَ ينشُص : ارتفع ، واستنشصت الريح السحاب : أنهضته ورفعته ونَشَصَت المرأة عن زوجها ونشزت بمعنى واحد ، وهي ناشص وناشز ، والإبدال بين الزاي والصاد غير قليل .

(انْثَجَلتْ) أي اتَّسعَتْ من قولِهم : بَطنٌ أثجَلُ[١] ؛ وقولُهُ : (ارْتَعَجَ ارْتِعاصُهُ) الارْتِعاجُ : تَدارُكُ الحرَكاتِ ، والارْتِعاص : الاضطرابُ كما يَرْتَعِص الجَدْيُ من النَّشاطِ[٢] ؛ وقوله (أُوقِدتْ سِقابُهُ) هذا مَثَلٌ ، والسِّقابُ : أعْمِدَةُ الخِباء ، فشبَّهَهُ بالخِباء الذي قد وقعَ ، و (الإيفــــاد) الرَّفع ، و (الأَطْنابُ) حِبالُ الخِباء التّي تُشَدُّ بالأوتادِ ،

وقوله (حُفِزَتْ تَواليهِ) أيْ أُعْجِلتْ ، وتَواليهِ : مآخيرُهُ ، و (انْسَفَحتْ عَزالِيهِ) أي انْصَبّت ، والعَزالي : عَزالي المَزادةِ ، وهيَ مَخارِجُ الماء من أسافِلها ؛ وقولُهُ (تَركتِ الثَّرى عَمِداً) أيْ رَطْباً يَجْتمعُ في اليَد إِذا جُمِعَ ؛ و (العَزازُ) الغِلَظُ منَ الأَرضِ ؛ (تَثِداً) نَدِيًا ؛ و (الحُثُّ) الرَّملُ اليابسُ ،

---

(١) أي ضخم متسع .

(٢) ارتعج وارتعش بمعنى متقارب وهو على البدل بين الجيم والشين قال أبو سعيد (الأصمعي) : الارتعاج والارتعاش والارتعاد واحد ، والارتعاج في البرق كثرته وتتابعه ؛ أمّا (الارتعاص) فهو الاضطراب والاهتزاز ، وارتعصت الشجرة اهتزّت ورَعَصتها الريح وأرعصتها ، وارتعص الجَدي والفرس طَفَرا من النشاط .

يقول : تَرَطَّبَ (١) حتّى تعقَّد بعضُهُ ببَعضٍ (٢) [قال الشاعرُ ، أنشدناه عبد الرحمن عن عمّه :

حتى ترى في يابسِ التَّرْباءِ حُثّْ يَعجِزُ عن رِيِّ الطُّلَيِّ المُرتَعِثْ]

و (الضَّحاضِحُ) ما تَضَحْضَحَ على الأرضِ من الماء ؛ و (المُتواصِي) المُتواصِلُ ، وقولُه (الشِّعابُ مُتَداعِيَة) أيْ قد تَداعَتْ بالسَّيل .

وقول الثّاني (تَراءتِ المَخايِلُ) جمعُ مَخيلةٍ ، وهو السَّحابُ الّذي تَستَخِيلُ فيه المَطرَ ؛ وقولُه (قَواعِدُها) يُريد أسافِلَها ،

---

(١) في الأصل يرطبه .

(٢) إن ما بين الحاصرتين قد كتبه الناسخ في الهامش ، ونراه من صُلب شرح ابن دريد شاهداً على معنى (الحُثّ) ، يؤيّده ما جاء في اللسان (حثث) وهو ، الحُثُّ : الرَّملُ الغليظ اليابس الخَشِن قال :

حتى يرى في يابس الثَّرْباء حَثّْ يعجز عن ريّ الطُّلَيِّ المرتَعِثْ

ثم قال اللسان : أنشده ابن دريد عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعي ا ه . قلت : و (الطُّلَيُّ) في الشاهد تصغير طَلَى ؛ قال الجوهري : (الطَّلا) الولد من ذوات الظِّلف والخُفّ ، وقيل من أولاد الناس والبهائم والوحش من حين يولد إلى أن يَشتدّ ، والجمع أطلاء وطَلِيّ وطِليان ، فالطُّلَيّ بضم الطاء وفتح اللام تصغير الطَّلَى قال زهير بن أبي سلمى :

بها العينُ والآرامُ يَمشينَ خِلفةً وأطلاؤُها ينهضْنَ من كلِّ مَجثَمِ

(مُتَلاحِكَةٌ) مُتَداخِلٌ بَعضُها في بعضٍ ، و (بَواسِقُها) أعاليها . (مُتَضاحِكَة) بالبَرقِ ؛ و (أَرْجاؤُها) نَواحيها ؛ (مُتَقاذِفَةٌ) متباعِدةٌ ؛ و (أَرْحاؤُها) أوساطها ؛ (مُتَراصِفَةٌ) مُتَراكبة قد انْضَمَّ بَعضُها إلى بعضٍ ؛ وقولُهُ (واصلَت الشَّرقَ بالغربِ) أي امْتدَّتْ من المَشرِقِ إلى المَغْرِبِ ؛

وقولُهُ : سَحًّا دِراكاً : أيْ صَبًّا مُتَدارِكاً ، و (اللَّكاكُ) الزِّحامُ اللاّصِق بَعضُه ببَعضٍ [1] ؛ و (الحَفاحِفُ) الغِلاظُ منَ الأرضِ ، الواحدُ حَفْحَفٌ [2] و (الصَّفاصِفُ) [الواحد صَفصَف] وهيَ الأرضُ الصُّلْبةُ المَلْساءُ دونَ الحجارةِ ، وأصْلبُ من الطِّينِ [3] ، و (حَوَّضتْ) جَعلتْ فيها حِيَاضاً ؛

(١) ويقال : الْتكَّ الوِرْد التكاكا : إذا ازدحم وضرب بعضه بعضاً ومنه قول الراجز يذكر قليباً :

صَبَّحنَ من وَشْحى قَليباً سُكّا   يَطمو إذا الوِرْدُ عليه التكّا

(٢) وقد خلت المعاجم المطبوعة من هذا الحرف فما هو في القاموس بهذا المعنى ولا لسان العرب ، والذي جاء في القاموس : حَفْحَفَ (الرجل) شافت معيشته .

(٣) وفي اللسان : وارض صَفصفٌ : ملساء مستوية ، وفي التنزيل : فيذرها قاعاً صَفصَفاً ، قال الشاعر :

(إذا ركبَتْ داوِيَّةً مدلهِمَّةً   وغَرَّدَ حاديها لها بالصَّفاصفِ)

و (الأصالِفُ) واحدها أصْلَفُ وصَلْفَاء ، وهو الصّلبُ منَ الأرْضِ [1] .

وقولُ الثّالثِ : (هَلُمّ الدِّرْهَم) : أيْ هاتِهِ ، قال الأزهريُّ : هَلُمّ ، بمعنى أعْطِ ؛ وهيَ هنا بهذا المعنى ، وقد تكون بمعنى تَعَالَ وأقبلْ ؛ وقوله : (لأبُذّنهما وَصْفاً) من قولهم : بَذَّ القومَ يَبُذُّهم إذا سَبَقهم وغَلَبهم ؛ و (الرّصْف) التّركيب ؛ و (الإبْلاسُ) هو اليأس وهو مصدر قولهم أبلسَ الرجل إذا قُطِعَ به ، وأبلس من رحمة الله أي أُويسَ كما أويس ابليسُ ، وهو مشتق من ذلك ، و (الإشفاق) الخوف ، و (الإملاق) الفقر قال تعالى « ولا تقتلوا أولادكم من إمْلاق » أو « خَشْيَةَ الإمْلاَقِ » في الآيتين ؛

وقوله : (حَقَبت الأنواء) : أي احتبست الأمطارُ يقال : حَقَبَ المطر حَقَباً : احتبسَ ، و (الأنواء) جمع نَوْء ، وهو

---

(١) قلت : ولم يفسر لنا ابن دريد (مومومقة الحتبار) فهي بمعنى (محمودة الآثار) التي قبلها لأن الحبار هو الأثر ، وكتب الناسخ بعد (من الأرض) في الهامش : (ولم يفسر قول الثالث) . وهو الغلام الوصّاف ولا غير ، وقد فسرنا ألفاظه في الصفحة التاليـة على الطريقة الدريدية لإكمال فائدة الكتاب .

وقت طلوع نجم في المشرق وانحدار نظيره في المغرب ، ويقول الأعراب : مُطِرنا بنَوء النجم الفلانيّ : و (السَّحاب المُسْجَهِرُّ) هو الذي يترقرق فيه الماء ، و (الكَنَهْوَر) من السُّحب : المتراكبُ الثخينُ ، وقال الاصمعيّ وغيره : هو قطع من السحاب أمثال الجبال ؛ و (المعنَوْنِكُ) من السحاب : المرتفع و (المحلولك) الشديد السّواد من احلولك الشيء ، وقالوا حالك ، وحانك على البدل ومحلولك وحُلْكوك بمعنًى واحد .

وقوله : (ثم استَقلّ واحزألّ) : فاستَقلّ بمعنى ارتفعَ يُقال : استقلّ الطائرُ في طَيرانه نهضَ للطّيران وارتفعَ في الهواء ، ويُقال : احزألّ السحابُ إذا ارتفع نحو بطن السماء ، والسماء أيضا المطر نفسُه يقال : وَقعت في أرضهم سَماء وأصابتهم السماء قال جرير :

إذا سقط السماء بأَرض قوم رَعيناه وإن كانوا غِضابا

وقوله : (كالأرض المَدْحُوّة) أي المنبسطة قال تعالى : « والأرضَ بعد ذلك دحاها » و (لوح الهواء) اللّوح : الهواء بين السماء والأرض ، و (أحسَبَ السهولَ) كفاها من المطر ، و (أتأقَ الهُجولَ) : أتاقَ مَلأ ، والهُجول والهِجالُ والأهجال

جمع هِجَل رزان عجل : الغائطُ يكون منفرجًا بين الجبال مطمئناً موطئه صلب ؛ و (اليَفَع) واليَفعَة واليافع : الشابّ وأيفعَ وتَيَفّعَ الغلام إذا شارف الاحتلام .

١٠ ــ أخبرنا أبو حاتمٍ عن الأصمعيّ قالَ : سألتُ أعرابيًّا عن مَطرٍ أصابهم بعدَ جَدْب فقال :

إرْتاحَ لنا ربُّك (١) بعدَ ما استَولَى اليأسُ على الظُّنون ، وخامَرَ القلوبَ القُنوطُ ، فأنشأ بِنَوءِ الجَبْهَةِ قَزَعَةً كالفَرْضِ من قِبَل العَيْن ، فاحزألّتْ عندَ ترَجُّلِ النَّهار لإزْميمِ السّرار ، حتّى إذا نَهضَت في الأفقِ طالِعةً أمرَ مُسَخِّرُها الجنوبَ فتَنَسّمتْ لها فانْتَشَرتْ أحضانُها ، واحْمَوْمَتْ أركانُها ، وبَسَقَ عنانُها ،

---

(١) عبارة دالّة على جفوة الأعراب ، وهي بمعنى حنَّ علينا الله برحمته بعد قسوته ، وأصل الارتياح النشاط : قال رؤبة :

(فارْتاحَ ربّي وأراد رحمتي ونعمةً أتمّها فتَمّتِ)

قال ابن منظور : أراد بقوله (فارتاح) : نظرَ إليّ ورحمني ، قال الأزهري : قول رؤبة في فعل الخالق قاله بأعرابيّته ، قال : ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ لأن الله تعالى إنّما يوصف بما وصف به نفسه ، ولولا أن الله تعالى ذِكرُه هدانا بفضله لتمجيده وحمده بصفاته التي أنزلها في كتابه ما كنا لنهتديَ لها أو نجترىء عليها ، قال ابن سيده : فأما الفارسيّ (أبو علي) فجعل هذا البيت من جفاء الأعراب كما قال :

لا هُمَّ إنْ كنتَ الذي كعهدي ! ولم تُغيِّرْكَ السنونَ بعدي

واكْفَهَرَّتْ رَحاها، وانْبَعَجَتْ كُلاها ، ودَمَرَت أُخراها أُولاها، واسْتَطارَت (١) عقائقها ، فارْتَعجت (٢) بَوارِقُها ، وتَقَعْقَعتْ صَواعِقُها ، ثمّ ارْثَعَنَّتْ جَوانِبُها ، وتَداعَتْ سَواكِبُها ، ودَرَّتْ حَوالِبُها ، فكانَتْ للأرضِ طَبَقًا سَحَّ فَهَضَبَ، وعَمَّ فأَحْسَبَ، فَمَلَّ القِيعانَ ، وضَحْضَحَ الغِيطانَ ، وجَوَّخَ الأَضْواجَ ، وأَتْرعَ الشِراجَ ، فالحمدُ للهِ الَّذي جَعَلَ كِفَاءَ إساءَتِنا إِحسانًا ، وجزاءَ ظُلمِنا غُفرانا .

قال أبو بكر : قولُهُ (بنَوْءِ الجبهة) الجَبْهَةُ نجمٌ من نجوم الأَسَدِ ، (و) نَوْءُها محمودٌ عندَهم (٣) ؛ وقوله (قَزَعَة) هي القِطعة من السَّحاب صَغيرة ؛ و (الفَرْضُ) التُّرس الصَّغير (٤) ؛ و (العَيْنُ) عَينٌ عن يمين القِبْلة ، وقوله (فاحزأَلَّتْ) أي

(١) وفي المدنية : ثم استطارت .

(٢) وفي المدنية : وارتعجت .

(٣) وفي اللسان (جبه) : الجبهة : اسم مَنزلة من منازل القمر، الأزهريّ : الجبهة النجم الذي يقال له : جبهة الأسد وهي أربعة أنجم ينزلها القمر ، قال الشاعر :

إذا رأيتَ أنجماً من الأسدْ
جَبهتَه أو الخَراتَ والكَتَدْ
بالَ سُهيلٌ في الفضيخِ فَفَسَدْ

(٤) وللفَرْض معانٍ منها التُّرس قال صَخر الغيّ المذليّ :

أرقتُ له مثل لَمعِ البَشيرِ يُقلِّبُ بالكفِّ فَرْضاً خَفيفاً

ارتفعت ؛ و (تَرَجُّلُ النهار) انبساطُ الشمس ؛ و (الإزْميمُ) إِحدَى ليالي السِّرار ، وهي ثلاثُ لَيالٍ من آخرِ الشهر [١] ؛
وقَوله (انْتَشرت أحضانها) أي انْبَسطت ، والأحضان : النّواحي ؛ وقوله (احمَوْمت أركانُها) أي اسودّت بلَونِ الحُمَّةِ [٢] ، وهو سواد تخلطه حُمرة ؛ و (بَسَق) ارْتفعَ ، و (العَنان) السّحاب ، وقَوله (اكْفَهَرَّت) أيْ كَثُفت ، و (رَحاها) وسَطها ، وقوله (انْبَعجت كُلاها) هذا مَثَلٌ ، والكُلْية [٣] ما تَعَيَّنَ من السّقاء أو القِرْبَة حتّى رَقَّ ورَشَحَ منه الماء ، فشَبَّهَ مَخارجَ المطرِ من السّحاب بذلك ،

(يتبع) عز الدين التنوخي

---

(١) التهذيب : والإزميم الهلال إذا دَقّ في آخر الشهر واستقوس وقال ذو الرّمة :

قد أقطع الخَرقَ بالخَرقاءِ لاهيةً كأنّما آلُها في الآلِ إزْميمُ

(٢) وفي الأصل : الحُوّة ، وفي الهامش (الحُمّة) وهي أصحّ لمناسبة (احمَومت) ، والحُمّة في اللغة دون الحُوّة .

(٣) وفي حاشية : والكُلْية رقعة تكون تحتَ عُروة المزَادةِ والدّلو ، و (انبعجت) انشقّت صح .

المقدمة

من كتاب المسائل والأجوبة

« مسألة رُبَّ »

ابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد النحوي الأندلسي [1] المتوفى سنة ٥٢١ هـ من علماء العربية المشهورين . سكن مدينة بلنسية من مدن الأندلس . وكان الناس يجتمعون إليه ، ويقرؤون عليه ، ويقتبسون منه . وكان ثقة من الثقات ، صاحب التصانيف العديدة .

تصانيفه :

(١) كتاب المثلث (وهو كتاب ضخم أتى فيه بالعجيب وزاد على ما جاء به قطرب) .

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (طبع ببيروت سنة ١٩٠١ م) .

(٣) الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف (وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٩ هـ) .

(٤) شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري .

(٥) كتاب في الحروف الخمسة ، وهي السين والصاد والضاد والطاء والدال .

(٦) كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل .

(٧) كتاب شرح الموطأ .

---

(١) انظر : بغية الملتمس ص ٣٢٤ ، الصلة ٢٨٧ ، قلائد العقيان ١٩٣ ، ابن خلكان ٢٨٢/٢ القاهرة ١٩٤٨ .

وقال ابن خلكان : « وسمعت أن له شرحاً لديوان المتنبي ولم أره » .

وذكر الزركلي في الأعلام أن له « كتاب الحلل في أغاليط الجمل » وأغلب الظن أنه الكتاب الآنف الذكر ، كما ذكر أن له « كتاب الحدائق في أصول الدين » .

(٨) كتاب المسائل والأجوبة .

وهو الكتاب الذي نعنى بنشر مختارات منه من ضمنها « مسألة رب » هذه . والكتاب يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب أجوبته وألف من مجموع الأجوبة كتاباً ضخماً يتناول ما ينيف على مئة مسألة .

ومادة الكتاب تتضمن مسائل في النحو واللغة والأدب والتفسير والأصول . والمخطوط من مخطوطات العلامة الجليل السيد حسن حسني الصمادحي من تونس الأعلام . وقد اطلعت على المخطوط وأفدت منه فوائد عدة ، واخترت منه مسائل أثبتها في مجموع لنصوص لغوية معدّ للنشر .

والمخطوطة بخط تونسي جيد حديثة الخط ، إذ أن تاريخ نسخها سنة ١٢٩٩ للهجرة وهي بخط محمد الطيب بن ابراهيم الرياحي التونسي .

أما بروكلمان فهو يذكر في كتابه أن للكتاب نسختين خطيتين الأولى في ليدن والثانية في فاس ، ولم يشر إلى مخطوطتنا هذه .

المسألة الخمسون في « رُبَّ » :

سألت أدام الله عزتك ، وحمى من النوائب حوزتك ، وملكك نوامي النعم ، وبلغك أقاصي الهمم ، عن قول النحويين : إن رُبَّ للتقليل ، وقلت : كيف يصح ما قالوه وكلام العرب المنظوم والمنثور يشهد بضد ما زعموه ، لأن القائل إذا قال : رب عالم لقيته ، ورب طعام طيب أكلته ، فانما غرضه أن يكثر من لقيه للعلماء ، وما أكله من الطعام الطيب وكذلك قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل (١)

وقال الأعشى :

رب رفد هرقته ذلك اليوم وأسرى من معشر أقتال (٢)

لا يليق بها التقليل لأن بيت امرئ القيس بيت افتخار بكثرة الأيام الصالحة التي تنعّم فيها بالنساء ، وان « يوم دارة جلجل » كان أجلها وأحسنها ، وبيت الأعشى بيت مدح ولم يمدح الذي مدحه بأنه أراق رفداً واحداً . ومثل هذه الأبيات — أدام الله عزك — حمل القائلين على أن يقولوا : إن « رب » للتكثير ، مع أن سيبويه قال في باب « كم » زعمناها كمنى « رب » فتوهموا أن مذهبه أنها للتكثير .

وقد كان أشكل علي من أمرها قبل توقي في هذه الصناعة مثل ما أشكل عليك ، وحسبت أن أبا القاسم الزجاجي وأبا جعفر بن النحاس ونحوهما من صغار النحويين غلطوا في ذلك ، فجعلت أبحث عما قاله فيها جلة النحويين فوجدت كبراء البصريين ومشاهيرهم مجمعين على أنها للتقليل وأنها ضد « كم » في التكثير كالخليل ، وسيبويه ، وعيسى بن عمر ، ويونس ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأخفش سعيد بن مسعدة ، والمازني ، وأبي عمر الجرمي ، وأبي العباس المبرد ، وأبي بكر السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، وأبي علي الفارسي ، وأبي الحسن الرماني ، وابن جني ، والسيرافي ، وكذلك جلة الكوفيين

---

(١) رواية التبريزي في شرحه للمعلقات كالآتي :

ألا رب يوم لك منهن صالح ..

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

كالكسائي ، والفراء ، ومعاذ الهراء ، وابن سعدان [(١)] ، وهشام [(٢)] ، ولم أجد لهم مخالفاً في ذلك الا صاحب كتاب العين فانه صرح بأنها للتكثير ولم يذكر أنها جاءت للتقليل . وهذا من أظرف شيء لأن (رب) قد كثر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التكثير سنذكرها إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى .

ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف : أنها تكون تكثيراً وتقليلاً .

ورأيت قوماً من نحويين زماننا هذا ومن قرب زمانه من زمانهم يعتقدون أنها للتكثير مثل « كم » وكأنهم يعتقدون أن النحويين المتقدمين غلطوا فيها ورأيتهم يتكلفون بالمواضع التي ظاهرها التكثير ويغفلون المواضع التي لا تحتمل الا التقليل .

ورأيت قوماً منهم يحتجون بقول سيبويه في « كم » أن معناها كمعنى « رب » وقد يتعين على المصنف إذا رأى رأياً يخالف ما رآه المبرزون في صناعة من الصنائع أن يتهم رأيه ولا ينسرع في تخطئتهم وانما ينبغي أن يلتمس حقيقة ما قالوه ، فلسنا نشك في أن الخليل وجميع من سميناه من البصريين والكوفيين قد رأوا الأبيات التي ظاهرها التكثير كما رآها هؤلاء المعترضون عليهم لأنها كثيرة جداً ، وليس مجيئها للتكثير شاذاً قليلاً فيتوهم أنه غاب عنهم لقلته ، بل تكاد المواضع التي ظاهرها الكثرة تكون موازية للمواضع التي تقع فيها القلة . فهذا إتفاق جميع ما ذكرناه على أن أصل « رب » للتقليل و « كم »

(١) هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير المتوفى سنة ٢٣١ هـ . انظر ترجمة في السيوطي بغية الوعاة ٤٥ ، طبقات النحويين للزبيدي ١٥٣ ، نزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٠٧ ، ارشاد الأريب لياقوت ٢٠١/١٨ .

(٢) هو هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ أنظر ترجمته في أنباه الرواة ٣٦٤/٣ ، نزهة الألباء ١١٣ ، بغية الوعاة ٤٠٩ ، ابن خلكان ١٩٦/٢ طبقات النحويين للزبيدي ١٤٧ نكت الهميان ٣٠٥ .

للتكثير دليل على أن لهم في ذلك غرضاً ينبغي أن يعلم ويوقف عليه، وكذلك قال سيبويه: إن «كم» معناها كمعنى «رب» لا دليل فيه على أنها للتكثير من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن سيبويه لم ينازع غيره في قولهم: أن «رب» للتقليل و «كم» للتكثير.

والثاني: أن سيبويه إذا تكلم في الشواذ في كتابه فمن عادته في كثير منها [قوله] «ورب شيء هكذا» يريد أنه قليل نادر كقوله في باب «ما وقد» في بيت الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر (١)

وهذا لا يكاد يعرف. كما «لات حين مناص» و «رب شيء» هكذا، وهو كقول بعضهم «هذه ملحفة جديدة في القلة، فكيف يتوهم عليه أنه أراد بقوله: أن معنى «كم» كمعنى «رب» أنها مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه، وما يستعمله بتكلم عليه في مسائل كتابه بضد ذلك.

والوجه الثالث أن كل من شرح كتاب سيبويه لم يقل أحد منهم أن سيبويه أراد بهذا الكلام أن «رب» للتكثير. وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال: إنما قال: أن معنى «كم» كمعنى «رب» لأنها تشارك «رب» في أنها يقعان صدراً، وأنهما لا يدخلان إلا على النكرة، وان الاسم المذكور الواقع بعدهما يدل على أكثر من واحد، وان كان الاسم الواقع بعد «كم» يدل على كثير، والاسم بعد «رب» يدل على قليل فيختلفان في هذا الوجه، ويختلفان أيضاً في أن «كم» اسم، و «رب» حرف، وكذلك قال ابن درستويه والرماني وغيرهما في شرح هذا الموضع من كلام

---

(١) من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز مطلعها:

زارت سكينة اطلاحا أناخ بهم شفاعة النوم للعينين والسهر

سيبويه ، وإن كانت المواضع التي ظاهرها التكثير عنده أولاً توجب أنها للتكثير ، فقد يجب أن تكون المواضع التي ظاهرها التقليل توجب أن تكون للتقليل . ولا أقل من أن يتعادل الأمران عندهم فيقول : إنها تكون تقليلاً وتكثيراً كما قال أبو نصر الفارابي . وأنا أؤصل في (رب) أصلاً ينبغي تفريع مسائلها عليه ، ويصرح بما أشاره أهل هذه الصناعة المتقدمون إليه إن شاء الله تعالى .

« باب الكلام على (رُبَّ) وحقيقة وضعها »

إعلم أن « رب » و « كم » بنيا على التناقض في أصل وضعها . لا أن أصل « رب » للتقليل ، وأصل وضع « كم » للتكثير . هذه حقيقة وضعها ثم يعرض فيها المجاز للمبالغة وغيرها من الأغراض فيقع كل واحد منهما موقع صاحبتها ، وهذا سبيل المجاز لأنه عارض يعرض للشيء فيستعار في غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها ، ومثال ذلك المدح والذم وأنها وضعا على التناقض في أصل وضعها ، ثم يعرض لها المجاز فيستعمل الذم مكان المدح كقول القائل « أخزاه الله ما أشعره ، ولعنه الله ما أفصحه » ويستعمل المدح مكان الذم فيقال للأحمق : « يا عاقل » وللجاهل « يا عالم » وللبخيل « يا جواد » وذلك على سبيل الهزء . قال الله تعالى حكاية عن قول شعيب أنهم قالوا له : « إنك لأنت الحليم الرشيد » (١) ، وقال لفرعون « ذق أنك أنت العزيز الكريم » (٢) ومثله قول الشاعر :

وقلت لسيدنا يا حكيم انك لم تأس سوءاً رفيقا

(١) سورة هود ، الآية ٨٧ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ٤٩ .

وقال بعض شعراء اليمن يخاطب جريراً :

أبلغ كليباً وابلغ عنك شاعرها ... اني الأعز واني زهرة اليمن

فأجابه جرير فقال :

الم يكن في وسوم قد وسمت به ... من حان موعظة يا زهرة اليمن [١]

فسماه « زهرة اليمن » حكاية لقوله ، وهزءاً به ، وكذلك التذكير والتأنيث نقيضان في أصل وضعهما ثم يلحقهما المجاز فيقع كل واحد منهما موقع صاحبه مع حفظه لأصله الذي وضع عليه ، فيقولون للرجل : علاّمة ونسّابة ، ويرون أنه أبلغ من قولهم : علاّم ونسّاب ويقولون : امرأة طاهر وعاقر وحاسر ، ويرون ذلك أبلغ من التأنيث لو جاءوا به ههنا . ووجه المبالغة عندهم في هذا أن النقيضين انما بينهما حد ينفصل بعضهما من بعض ، فاذا زاد أحدهما في حده انعكس إلى ضده ، لأنه لا مذهب له يذهب إليه إذ لا واسطة بينهما ولذلك قال الشاعر :

... ... وشر الشدائد ما يضحك

وقال أبو الطيب المتنبي :

ولجدت[٢] حتى كدت تبخل حائلاً ... للمنتهى ومن السرور بكاء [٣]

---

(١) ورد البيت في الديوان على الوجه الآتي :

الم يكن في وسوم قد وسمت بها ... من حان موعظة يا حارث اليمن

وكان جرير قد هجا زهرة القناني ص ٥٦٦ في قصيدة مطلعها :

عرفت منازلاً بلوى الثاني ... وقد ذكّرن عهدك بالتواني

(٢) هكذا في الديوان ، أما في المخطوطة : وجدت .

(٣) من قصيدة مطلعها :

أمن ازديارك في الدجي الرقباء ... إذ حيث أنت من الظلام ضياء

وقال أبو العلاء المعري :

[فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته] لقد تدمع العينان من شدة الضحك[١]

وعلى الثاني هذا السبيل من المجاز يضعون النفي موضع الايجاب ، والايجاب موضع النفي ، ويخرجون الواجب بصورة الممكن ، والممكن بصورة الواجب وغير ذلك من العبارات التي تكثر إن ذكرناها وخرجنا عن الغرض الذي نحن بصدده ، وقاصدون نحو مقصده . فكما أن ونوع بعض هذه الأشياء موضع بعض لا يبطل أصل وضعها ، فكذلك موقع « رب » موقع « كم » و « كم » موقع « رب » لا يبطل أصل وضعها على ما نذكر إن شاء الله تعالى .

« باب ذكر المواضع التي تقع فيها « رب » للتقليل والتخصيص على حقيقة وضعها »

فمن ذلك قول العرب إذا مدحوا الرجل « ربه رجلاً » وهو شبيه بقولهم : لله دره رجلاً . وهذه مسألة قد اتفق عليها البصريون والكوفيون قاطبة ونص عليها سيبويه في كتابه . وهذا تقليل محض لا يتوهم فيه كثرة . لأن الرجل لا يمدح بكثرة النظراء والأشباه ، وانما يمدح بقلة النظير أو عدمه بالجملة . وكذلك في التعجب : أنه ما خفي سببه وخرج عن نظائره ، وانما يريدون بقولهم : « ربه رجلاً » أنه قليل غريب في الرجال ، فكأنهم قالوا : ما أقله في الرجال

---

(١) رواية الديوان :

فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته ... فقد تدمع الأحداق من كثرة الضحك

ومطلع القصيدة :

وصفراء لون التبر مثلي جليدة ... على نوب الأيام والعيشة الضنك

وما أشده فيهم . ويدل على ذلك تصريحهم في المدح بلفظ القلة في نحو قولهم: « قل من يقول هذا ، وقل من يعلم ذلك الا زيد ونحو ذلك » .

وقال أبو زيد الأنصاري : بيد بمعنى غير ، وربما كانت بمعنى من أجل .

قال أبو عبيدة : الأسد توصف بالفَدَع [1] وهو أن تقبل الرجل الواحدة على الأخرى وربما كان الفَدَع أن ينقلب الرسغ إلى الجانب الوحشي . أراد أن هذا قليل والأول هو الأكثر .

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل » : « وكانت الخنساء وليلى مباينتين في أشعارهما لأكثر الفحول وربما امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون ذلك » [2] . والجملة ما قال الله عز وجل : « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » [3] ومما جاءت فيه « رب » بمعنى القلة قول العرب : وربما خان الأمير وربما سفه الحليم . أي أن هذا قد يكون ، وان كان الأكثر غيره كما قال قيس بن زهير : [4]

أظن الحلم دل علي قومي   وقد يستجهل الرجل الحليم [5]

---

(١) لم تشر كتب اللغة إلى قول أبي عبيدة في الفدع ، فليس هو مختصاً بالأسد بل مطلق عام .

(٢) ورد الخبر في الكامل للمبرد (تحقيق زكي مبارك) ١٢١٣/٣ على الوجه الآتي : « وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما ، متقدمتين لأكثر الفحول ، ورب امرأة تتقدم في صناعةٍ ، وقلما يكون ذلك » .

(٣) سورة الزخرف الآية : ١٨ .

(٤) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق توفي سنة ١٠ هـ انظر الميداني ١٨٤/١ ، ابن أبي الحديد ١٥٠/٤ خزانة الأدب ٥٣٦/٣ سمط اللآلي ٥٨٢ .

(٥) انظر شرح الحماسة للتبريزي ٣٩٧/١ والبيت من قصيدة مطلعها :

تعلم أن خير الناس ميت   على جفر الهباءة لا يريم

وقال سالم بن وابصة : [١]

لا تغترر بصديق أنت تمحضه ... وخذه خوفك من ذي الغدر والملق

إن الزلال وان انجاك من غصص ... دأباً فربتما أرداك بالشرق

وقال أعشى باهلة : [٢]

لا يبطرن ذا ثقة أحبابه ... فربما أردى الفتى لعابه

وقال حاتم الطائي [٣] :

اني لأعطي سائلي ولربما ... أكلف ما لا يستطاع فأكلف

وقال زهير :

وأبيض فياض يداه غمامة ... على معتفيه ما تغب فواضله [٤]

وهذا خصوص لا وجه فيه للتكثير ، لأنه انما أراد بالأبيض حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، ولم يرد جماعة كثيرة هذه صفتهم . ألا تراه يقول بعده :

حذيفة ينميه وبدر كلاهما ... إلى باذخ يعلو على من يطاوله

وقال خوّات [٥] بن جبير الأنصاري صاحب ذات النحيين [٦] :

---

(١) هو سالم بن وابصة بن معبد الأسدي ، أمير شاعر ، من أهل الحديث ، دمشقي سكن الكوفة ، انظر سمط اللآلي ص ٨٤٤ .

(٢) هو أعشى باهلة عامر بن الحارث بن رياح الباهلي من همدان يكنى أبا قحطان . أنظر خزانة الأدب ١/٩٠ سمط اللآلي ٧٥ .

(٣) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو عدي فارس جواد . أنظر الشعر والشعراء خزانة الأدب ١/٤٩٤ الشريشي ٢/٣٣٢ .

(٤) قال زهير بن أبي سلمى من قصيدة مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرّي أفراس الصبا ورواحله

(٥) هذا هو الصحيح بتشديد الواو ، أما في المخطوطة : خرات .

(٦) ذات النحيين : قصة لأمرأة من تيم الله بن ثعلبة ومثلها مشهور . انظر اللسان مادة « نحا » .

وذات عيال واثقين بعقلها خلجت لها جار استها خلجات

وانما أراد بقوله : ذات عيال ذات الحيين وحدها ، ولم يرد أنه فعل هذه القصة مراراً كثيرة . وكذلك قوله [1] في هذه القضية :

وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله

وانما أراد هاج بين حيه وحيها من الحرب بسبب هذه النعمة ولم يرد أهل أخبية كثيرة . وقال صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء [2] :

وذي أخوة قطّعت أقران بينهم كما تركوني واحداً لا أخا ليا[3]

وانما أراد بذي ههنا زيد بن حرملة الحربي ، وهو الذي قتل أخاه معاوية فلما قتله بأخيه أنشد هذا الشعر . وقوله : « كما تركوني واحداً لا أخا ليا » يبطل معنى الكثرة ههنا ، لأن الذين تركوه بلا أخ انما كانوا بني حرملة ولم يكن له أخ قتل غير معاوية . وقال بعض شعراء غسان يصف وقعة كانت بينهم وبين مذحج في موضع يعرف بالبقلاء :

وقوم على البقلاء لم يك مثله على الأرض قوم في بعيد ولا دان

وأنشد سيبويه وغيره من النحويين :

ويوم شهدناه سليم وعامر قليل سوى الطعن النهال نوافله [4]

وقال ابن مخلاة الحمار في يوم مرج راهط :

ويوم ترى الرايات فيه كأنها حوائم طير مستدير وواقع

---

(١) المقصود هو زهير بن أبي سلمى .

(٢) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمي سنة ١٠ للهجرة وهو أخو الخنساء ، من الفرسان والغزاة . انظر النويري ، عيون الأخبار ٣٦٦/١٥ ، المبرد الكامل ٢٦٦/٣ ، التبريزي ، شرح الحماسة ١١٠/٣ .

(٣) هكذا في المراجع ، أما في المخطوطة : « وذي أخوة قطعت أعراق بينهم »

(٤) انظر سيبويه (الكتاب) ٩٠/١ ونسبة البيت إلى رجل من بني عامر .

فهولاء إنما وصفوا أياماً مخصوصة بأعيانها يرى ذلك أيضاً إذا نظر في أخبار هذه الأشعار التي قيلت فيها ، وما أنشده النحويون من قوله [١] :

ونار قد حضأت بعيد وهن [٢] بدار ما أريد بها مقاما

وهذا شعر مشهور ، ولا معنى فيه للكثرة لأنه إنما وصف قصة جرت له مع الجن مرة واحدة . ونحن نذكر أبياتاً كثيرة من أشعار المحدثين في جميعها أن « رب » للتقليل كثر استعمالها فلم ينكر أحد من العلماء عليهم فصارت لذلك كأنها حجة فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وان تعتب الأيام فيهم فربما [٣]

يريد ربما اعتبت في بعض الأحيان ، وقال أبو الطيب المتنبي :

ربما تحسن الصنيع لياليـــه ولكن تكدر الأحسانا [٤]

وقال :

ولربما أطر القناة بفارس وثنى فقومها بآخر منهم [٥]

وقال :

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغرب [٦]

---

(١) البيت لتأبط شرا انظر « اللسان » مادة « حضأ » .

(٢) هكذا في المخطوطة أما في اللسان : هدء .

(٣) مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف الثغري .

(٤) من قصيدة مطلعها :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

(٥) من قصيدة مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

(٦) من قصيدة مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقال يهجو كافوراً :

وأسود أما القلب منه فضيق نخيفٌ وأما بطنه فرحيب [1]

وقال يمدحه :

وأبلج يعْضِي باختصاصي مشيره عصيت بقصديه مشيري ولوّمي [2]

وانما عنى بالأبلج كافوراً وبمشيره ابن حنزابة وزيره وكذلك قوله لسيف الدولة :

طلينا لك الإسعاد إن كان نافعاً بشق قلوب لا بشق جيوب

ورب كئيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير كئيب [3]

وقد أوضح ما أراده من التقليل ههنا في موضع آخر فأخرجه بغير لفظ « رب » وهو :

وفي الأحباب مختص بوجد وآخر يدعى معه اشتراكا [4]

ومن أشعار المحدثين قوله :

الحر طلق ضاحك ولربما تلقاه وهو العابس المتجهم

وقال آخر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديـــق فكان أعلم بالمضرة

(١) لا توجد هذه القصيدة في الديوان (شرح العكبري) .

(٢) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة : « وأبلج يغضي باختصاصي مشيره » وهو من قصيدة مطلعها :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأمّ ومن يممت خير ميمم

(٣) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

ورب لبيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير لبيب

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا شجاع عضد الدولة ويودعه مطلعها :

فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك إذن الا فداكا

وقال عدي بن زيد [١] وقد أغفلنا ذكره في الشعراء المتقدمين :

يا لبينى أوقدي النارا   ان من تهدين قد جارا [٢]

رب نار بت أرمقها   تقضم المندي والغارا

عندها ظبي يؤرثها   عاقد في الجيد تقصارا

فبين في الشعر أنه أراد ناراً تبين وحدها وقد أوضح ذلك المعري بقوله :

ليست كنار عدي نار عادية   باتت تشب على أيدي مصاليتا [٣]

وما لبينى وان عزت يربتها   لكن غذتها رجال الهند تربيتا [٤]

ومما تأتي فيه رب للتقليل والتخصيص اتياناً مطرداً ويرى ذلك من تأمل الأشعار التي في الألغاز والأشعار التي يصف فيها الشعراء أشياء مخصوصة بأعيانها ، فانهم كثيراً ما يستعملون « رب » في أوائلها مصرحاً بها أو الواو التي تنوب مناب « رب » كقول ذي الرمة :

وجارية ليست من الانس تشتهى   ولا الجن قد لاعبتها ومعي ذهني

فأدخلت فيها قيد شبر موفر   فصاحت ولا والله ما وجدت تزني [٥]

فلما دنت لاهراقة الماء أنصتت   لأعزله عنها وفي النفس أن أثني

---

(١) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي المتوفى سنة ٣٥ ق . هـ . شاعر جاهلي من أهل الحيرة . أنظر خزانة الأدب للبغدادي ١٨٤/١ ، الأغاني (دار الكتب) ٩٧/٢ ، السيوطي شرح الشواهد ص ١٦١ ، الشعر والشعراء ص ٦٣ ، المرزباني ص ٢٤٩ .

(٢) رويت الأبيات في الأغاني ١٤٧/٢ .

(٣) من قصيدة يخاطب بها أبا القاسم علي بن أبي الفهم القاضي التنوخي ، مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أوهيتا   وموقد النار لا تكرى بتكريتا

(٤) هكذا البيت في الديوان (طبعة صادر) أما في المخطوطة .

وما تبين وان عزت بربتها   لكن عزتها رجال الهند تربيتا

(٥) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

فادخلت فيها قيد شبر موتر   فصاحت ولا والله ما وجدت تزني

وانما وصف بكرة ليستقي عليها ماء . وكذلك قول الآخر :

رب نهر رأيت في جوف خرج بتراءى بوجه الزخار

ونهار رأيت منتصف الليل وليل رأيت نصف نهار

وثلاثين ألف شيخ قعوداً فوق غصن ما ينثني لانكسار

يعني بالخرج الوادي الذي لا منفذ له ، وبالنهار فرخ الحبارى ، وبالليل فرخ الكروان ، وبالشيخ الرذاذ الصغير من المطر .

وقال الأغلب العجلي (١) ووصف ثعلباً أرسل عليه كلباً فعقره :

وثعلب بات قرير العين لاقى مع الصبح غراب البين

وقد غدا مجتمع الشخصين فاستقبلته بحضور الحين

طامة كلب أغضف الأذنين فر يهوي ثابت الساقين

إلى وجار بين صخرتين والكلب منه راكب المتنين

فلم يرغه غير روغتين حتى رأيت شلوه نصفين .

وقال يصف صقراً :

يا رب صقر يفرس الصقورا ويكسر العقبان والنسورا

فرّ الأوزّ منه مستجيرا .

وقال ابن الرومي :

ورازقي مخطف الخصور كأنه مخازن البلور (٢)

---

(١) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة من بني عجل . شاعر راجز معمر أدرك الجاهلية والاسلام ، استشهد في واقعة نهاوند انظر خزانة الأدب للبغدادي ٣٣٣/١ والمؤتلف والمختلف ص ٢٢ سمط اللآلئ ٨٠١ .

(٢) من أرجوزة يصف فيها العنب الرازقي . انظر الديوان .

وقال أبو الطيب وقد أمره أبو العشائر أن يصف بطيخة من عليها عقد :

وسوداء منظوم عليها لآلئ لها صورة البطيخ وهي من الند

وكذلك قوله في نزهة أمره أبو علي الأوراجي أن يصفها (١) .

ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات الهطّل

وكذلك قوله في صفة صيد شاهده مع ابن طغج (٢) :

وشامخ من الجبال أمرد جرد كيأفوخ البعير الأصيد (٣)

وانما أراد منزلاً معيناً وجبلاً معيناً ، ويدل على ذلك قوله :

[في مثل متن المسد المعقد] زرناه للأمر الذي لم نعهد

وكذلك قوله في اللعبة التي امتحنه فيها ابن طغج (٤) :

وذات غدائر لا عيب فيها سوى أن ليس تصلح للعناق

قال الأستاذ — أعزه الله — فهذه المواضع كلها « رب » فيها للتقليل ، وهي كثيرة جداً وانما تخيرت منها أوضحها . وهذه حقيقة « رب » وموضوعها والله أعلم .

(يتبع) الدكتور ابراهيم السامرائي

---

(١) في الديوان : قالها ارتجالاً يصف كلبا أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي .

(٢) في الديوان : واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلمان خشفاً فالتقفته الكلاب فقال أبو الطيب مرتجلاً .

(٣) هكذا في المخطوطة ، اما رواية الديوان :

وشامخ من الجبال اقود فرد كيأفوخ البعير الأصيد

(٤) جاء في الديوان : وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار .

التعريف والنقد

تاريخ الأدب العربي في العراق

بين ٦٥٦ هـ و ٩٤١ هـ

للمحامي عباس العزّاوي

عضو المجمع العلمي العراقي والمجمع العلمي العربي بدمشق

مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٨١ هـ ، ويشتمل مع فهارسه على ٤٢٢ صفحة

للمجمع العلمي العراقي بيض أيادٍ على العلم والأدب ونشر تراث العرب ولا سيما الكتب المصنفة في تاريخ العراق ، ومنها ما هو للمؤرخين المتقدمين من علماء العراق كابن الفوطي وابن الساعي ، ومنها ما هو للمعاصرين كالاستاذ عباس العزّاوي ومن تصانيفه المجلد الأول من هذا الكتاب وسيتلوه المجلد الثاني في التاريخ العلمي ، ونشر له من قبل تاريخ العراق بين احتلالين وتاريخ علم الفلك في العراق ، والتعريف بالمؤرّخين وعشائر العراق تحت الطبع ، وغير ذلك من الرسائل التاريخية .

وبحث الأستاذ العزّاوي مقصور في هذا المجلد الأول على عهد المغول والتركمان من سقوط الدولة العباسية إلى دخول العثمانيين بغداد ، ولقد عاين المصنف الأمرّين في التحرّي والتنقيب لإظهار المادة التاريخية قائمة على وثائق التاريخ التي تصنف لنا الحركة الأدبية في ذلك العهد ممّا لا يتسنّى إلاّ لأمثال العزّاوي الذي اشتملت خزانة كتبه على نوادر مخطوطات لم تتوفر لغيره من رجال البحث والتحقيق .

والمصنف الفاضل يوافق ابن الطقطقي على أن الدولة المغولية رفضت علوم العرب والعربية كالنحو واللغة والشعر والتاريخ وعلوم الدين لأنها كانت وثنيّة ، ونفقت فيها علوم أخرى كالحساب لضبط المملكة وحصر الدّخل والخرج ، وعلم النجوم لاختيار الأوقات ، وما يفيد المغانم والمنافع ، وليت الأستاذ المؤرخ بحث للعرب عن ذخائر كتبهم الأدبية التي قضى عليها الاحتلال المغولي بعد سقوط الدولة العباسية ، ولو عرفنا جميع ما أُغرق أو أُحرق من دواوين الشعر التي صنعها أئمة الشعر الثقات ، ومنها ما كان بأيديهم مكتوباً ومشروحاً ، ومنها ما لا نجد له اليوم أثراً في خزائن الأرض ، وقد يضطر الباحث منا إلى جمع شعر الفحول منها من كتب اللغة والأدب ، لو عرفنا ذلك كله أو بعضه لامتلأت قلوبنا لهفاً وأسفاً .

ويقسم المصنف أبحاث كتابه هذا الممتع على عهود ثلاثة :

١ — عهد المغول (الإيلخانيين) من ٦٥٦ هـ — ٧٣٨ هـ ،

٢ — عهد الجلايرية من ٧٣٨ — ٨١٤ هـ ،

٣ — عهد التركمان من ٨١٤ — ٩٤١ هـ .

وفي كل من هذه العهود أو الأدوار قد جعل المصنف القسم الأوّل في اللغة وعلمائها والعلوم العربية وعلمائها ، وجعل القسم الثاني للمنثور والمنظوم ، وخصّ الثالث بالنقد الأدبيّ ومصادره ؛ وأما الآداب العربية المرتبطة بغيرها من العلوم فقد أرجأ البحث عنها إلى (التاريخ العلمي) في العراق ، وهو المجلد الثاني من هذا الكتاب الذي سيطبع قريباً .

إن هذا الكتاب المفيد سيكون بما اشتمل عليه من وثائق تاريخية مرجعاً للباحثين عن تاريخ أدب العرب ، ذلك لأن مصنفه الفاضل من المنهومين المولعين بجمع المخطوطات النوادر من الوثائق والكتب الجليلة ، وفي صلب الكتاب

ذكر كثير منها ، وفي حواشيه عزو إلى تلك الوثائق والمصادر ، فهو بذلك مرجع ينشده الباحثون يريحهم من عناء البحث عمّا للمؤلفين المترجمين من آثار مخطوطة أو مطبوعة ، ويطلعهم على حركة العلم والأدب في الدول الأعجمية مما لم يبحث عنه الباحثون إلاّ بحثاً مجملا ، فجزى الله الأستاذ العزاوي عن الأدب وتاريخ قومه العرب أفضل ما يجزى به من أحسن عملا .

التنوخي

تأريخ بغداد لابن السويدي

الجزء الأول

بهذا العنوان صدر في بغداد كتاب أصل اسمه كما هو مرسوم على الغلاف (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) تأليف الشيخ عبد الرحمن السويدي لكن محققه الدكتور صفاء خلوصي الأستاذ في جامعة بغداد أحب أن يعلي عليه العنوان الأول لغرض تقديمه في ذكرى بغداد على ما فهمت .

وقدم له مقدمة تقع في ٣٢ صفحة ولكن لحظت في ص ٩ منها كلاماً منسوباً إلى الأستاذ عز الدين التنوخي في حينه فهمت منه أن نسخة الكتاب في المدينة المنورة في مكتبة عارف حكمت والذي فهمته من لسان بعض المطلعين أن الذي في المكتبة المذكورة (النفحة المسكية في الرحلة المكية) للجد الأعلى الشيخ عبد الله السويدي (رض) ولعل الأستاذ التنوخي ينورنا برأيه الجديد والمحقق يؤكد (النسخة المكية) في الصفحة نفسها وما أدري .

ولا يتسع وقتي لتتبع ما في المقدمة فأنا اقتصر — لظروف خاصة — على

ما خفت مؤونته ولا يحوجني إلى مراجعة لأن المراجعة تولد مراجعات وفي ذلك ارهاق لراحتي التي أنا في أشد الحاجة إليها في هذه الأيام .

في ص ٥ من أصل الكتاب س ١٥ « توزري بابلة البصرة وضعد سمرقند » باهمال العين والصواب باعجامها قال شاعر الحماسة الذي كان يرابط هناك : —

وخافت من جبال السغد نفسي وخافت من جبال خوارزم (١)

وقد تكتب بالصاد ومما أذكره للدكتور أنه كان نشر مقالا في تصنيف الجند العباسي ذكر فيه (الفراعنة) بالأهمال وفسرهم بالأقباط ! بل (الفراغنة) صنف من الترك منسوبون إلى فرغانة .

وفي ص ١٥ « وأيرقت الصوارم وأزهقت — كذا — اللهاذم » .

وفي ح ٣ « اللهذم الحاد القاطع من السيوف » وهـذا غير ملائم لسبق الصوارم كأنه لم يسمع بقول زهير : —

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

وفي الصفحة عينها —

صرعت ثعالبه الأسود فأصبحت محشورة بحواصل الغربان

وفي الح ٥ « في الأصل بالرفع — أي بضمة مرسومة على الباء — وهو عكس المقصود » وفاته أخذ المعنى من قول بشار في ص ٤١ : —

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى وبالشوك والخطي حمرا ثعالبه

وفي الح ٦ — في رواية أخرى (حمر ثعالبه) — فاختار الخطأ في المتن والصواب في الحاشية وكان عليه أن يأخذ معنى الثعالب من هنا .

في ص ١٦ — (فصل في توليه آمد) وفي الح ٦ « آمد ديار بكر وتعرف

(١) هكذا ورد في ديوان الحماسة ولعله (وضاقت) .

أيضاً بارونه » وقد سبق في ص ١٣ — (فصل في توليته منصب الرهى) — كذا — والرها اسم آخر لاورفه كما أن آمد اسم آخر لديار بكر .

في ص ١٨ « وسار بخيول سوابق والتوت سواحق » وفي اح ٤ كلمة أفران فقط بل ان (لتوت) جمع (لت) آلة ثقيلة قد تختلف أشكالها وأسماؤها .

في ص ٣٢ حكاية مذهب غريب في جهة الجنوب يبيح تسع نساء وكنا نسمع بهذا حتى وجدناه هنا ! والظاهر أنه يستند الى قوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) — ولأصحاب هذا المذهب أن يقولوا بإباحة ١٨ !؟؟

في ص ٤٤ ورد في المتن (ذاعنين) وفي اح ٤ (ضاعنين) وكان على المحقق أن يصححها بالظاء لا بالضاد .

في ص ٤٨ « وأكلة للتوت اللهاذم » لا تستغني العبارة عن واو عطف لأن المراد نوعان من السلاح لا (توت الأكل) .

(فصل في بيان غزوة زبيد واذلال كل ذي قوة عنيد) فان السجعة تفيد كسر باء زبيد مع أن الجاري على الألسنة بالتصغير فالعامة تقول (ازبيد) كما تقول (اعبيد) بالامالة وتفخيم الباء كما تقول (احميد) بالتفخيم أيضاً .

وجاء في أغانيهم (احبيب) ولالفنا هذا عجبت من شاب تونسي تخرج عندنا في هذه السنة كان يقرأ اسم نفسه (محسن الحبيّب) بالترقيق ونعجب هو من قراءتنا مراعاة للعامية . فويل لدعاة العامية المفرقة ! [1] .

وفي الصفحة نفسها (ولما سمعت بهذا الحال زبيد جمعوا كل طارف وتليد) وفي ذلك تأكيد الخطأ [2] .

(١) كان لنا صديق لبناني يقول (كبّاب) بالترقيق وكنا نضحك منه مع أنه الفصيح .
(٢) أن لفظ زبيد بالكسر اسم مدينة في اليمن منها الزبيدي شارح القاموس .

كما أنه استعمل صيغا عامية لغير ضرورة مثل (استرّ) و (احترّ) على اللهجة البغدادية — ص ٤٧ — ٦٤ — ٦٧ .

ومن هذا الباب ما وقع في ص ١١٤ « فقطع الأعداء اربا اربا وفرق أحزاب المارقين وسبا » فهذا يدل على أنه كان يفتح الراء مع أنها بالسكون !

وفي ص ٤٨ « فهربوا هرب الفرى » فسرها في ح ٤ بالجبناء وهذا تفسير غير علمي لأن (الفرأ) بالهمز حمار الوحش وقد تسهل الهمزة فيقال (الفرا) ومنه المثل (كل الصيد في جوف الفرا) وفي التنزيل (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) كناية عن الجبناء والتفسير العلمي أن تفسر الكلمة من حيث اللغة أولاً .

في ص ٥١ « هذه اللغوب » أن تأنيث اسم الإشارة يوهم أن اللغوب جمع فالتبعة إما على المؤلف وإما على المحقق حيث فسره بالمتاعب بل هو مصدر مفرد كالنزول والصعود وفي القرآن (وما مسنا من لغوب) أي تعب فينبغي تذكير اسم الاشارة .

في ص ٦٤ « فلم يلبث العدو زهى ساعة » وفي اخ ٣ « الظاهر زهاء » لقد فات المعلق ما هو أدق من هذا في ص ٣١ س ٣ (١) .

ومثله في ص ٤٤ س ١٥ (٢) ولعل الناسخ كان ضعيفاً جداً .

في ص ٦٥ مسألة عجيبة انصدرت عن قلم المؤلف ولم يحسن الدكتور تدارك كها فقد جاء في المتن « وهؤلاء قوم يقال لهم اليزيدية يحبون زيد بن علي » فما اقحم زيد بن علي في قوم ينتسبون إلى يزيد بن معاوية ؟ وما أكثر الخابطين في

---

(١) نص العبارة « الان ، هي ثلاث ساعات .

(٢) نص العبارة « الانهى جنب الهند » والظاهر أن المؤلف كان يستعمل (الا زهاء) بمعنى (الا ريثما) ثم يقصرها ويرسمها زهى .

تحقيق أصل هذه الطائفة كأنها لغز من الألغاز والمؤلف عراقي واليزيدية طائفة عراقية بينها وبين بغداد عشرة أيام في القديم وعشر ساعات في الحديث . وممن خاط في هذا جماعة أحدهم (الزهبي) ألفوا كتباً خبطوا فيها خبط عشواء وممن تورط في هذا البحث مؤلفا حلقة (العراق) من سلسلة (شعوب العالم) رقم ١٠ ص ٣١ .

وكان تعليق الدكتور في ح ٣ — « هذه نظرية جديدة لم يسمع بها من قبل » وكان عليه وهو بحاثة أن يتداركها لا أن يتعجب ويكتفي بالتعجب ! —

ان النحلة اليزيدية في أصلها (طريقة عدوية) نسبة إلى عدي بن مسافر الأموي الذي اتخذ له زاوية في جبال الموصل وكان له هناك شأن فجاء من خلفائه من أفسدها بالغلو وكان يجاورها (طريقة صفوية منسوبة إلى الشيخ صفي الدين الاردبيلي في جهات آذربيجان فكان بينهما مباراة في الغلو المفرق بين المسلمين فكانوا (طرائق قددا) .

وجاء في المتن « ان الملا حيدر رجلا من الأكراد كان يغزوهم » وفي اخ . « الأصح رجل لا (رجلاً) » وهو اعتراض متكلف ووجه النصب ظاهر ! وحيدر هذا يحتمل أن يكون من الصفوية . ومن رواسب الصفوية طوائف متاخمة لليزيدية عندهم كتاب اسمه (بويوروق) بالتركمانية منسوب إلى الشيخ صفي .

في ص ٦٨ ح ٥ « الباج اتاوة تؤخذ على الغنم » وهو تفسير يخالف المستفاد من المتن وفي الأمثال العامية (الزم الحمل وخذ باجه) . أهل بغداد إلى الجنوب يفتحون الجيم وأهل الموصل يضمون الجيم [1] والأصل لهجة مضرية تنتهي إلى الأندلس وما أدري أصل لهجة الجنوب هل هي يمانية ؟ فاذا خرجت من البصرة لاقيت اللهجة المضرية في الكويت اخ ...

---

(١) مثلهم أهل تكريت وكل عرب الجزيرة وتنقلب الهاء واواً .

في ص ٧٤ « دخل والد المؤلف والشيخ حسين الراوي على أمير الحويزة وكان ينظم قصيدة نوافقاه عند قوله :

ان كنت ازمعت هجراً أو ولعت به   من بعد ود فانا حسبنا الله

فقال لهما أترويان الشعر ؟ فقالا له : — نعم وننظمه ... فأنشده الشيخ قصيدة على بحر قصيدته ورويها مطلعها :

عج بالمطي فان السعد وافاه   والمجد يعرف مأواه ومعناه

وفي ح ٢ تعليق يفيد أن الدكتور يحفظ شيئاً في مصطلحات العروض وادعى أن الأفضل للراوي أن يأتي بضرب مخبون لا مقطوع » مع أنه لا شأن للضرب في هذا المقام بل الشأن للبحر والروي دع أن بيت الراوي مطلع والمطلع يجوز فيه التصريع وبيت الخان واقع في وسط القصيدة وليس هناك أفضل ومفضل عليه ولا مجال للمقارنة ودع أن التصريع أقوى مما ليس فيه تصريع .

وفي ص ٧٤ بحث في (موضوع الرؤية) عند المتكلمين قال الدكتور في ح ٤ « الكلمة غير واضحة فقد تكون الرؤية أو الرواية » ولم يكتف بذلك بل أضاف « والأرجح الثانية » أي الرواية !؟

وفي ص ٨١ مناظرة بين عالمين جاء في متنها لفظ (مضاددة) وفي ح ٤ « الأصل (مصادره) وهو غير واضح » .

في ص ٩٣ « حيث ظلت أعناق الناس لها خاضعة » وفي الح ! « والأصل خاضعين » أي أن الدكتور أنام (خاضعة) مكان خاضعين مصححا ! وفاته أن المؤلف رمى إلى قوله تعالى (فظلت أعناقهم لها خاضعين) لملاءمة السجعة باعتبار أن الأعناق باضافتها إلى العقلاء أخذت حكم العقلاء تجوزاً .

ثم إن تآليف السويدي لا يأتي عصره بأحسن منه إلا أن في تتبع سجعاته

ما يهدم الهمم لا سيما أن الطبع غير متقن ومن يصبر على تفجير مائة سحة ليحظى منها بجرعة ؟

والحق أن قيمة الكتاب بوثائقه لا برقائقه فالعمل مشكور من هذه الجهة وهو لا يستغني عن باحث يتتبع مطالبه التأريخية والأدبية وليس في وسعي إلا ملتقطات في غضون المطالعة ولست مسؤولاً عما فاتني فقد أغمض عيني وأتخطى بعض السطور خوف الأرهاق .

وعسى أن لا يكون عملي مثبطا لعزيمة الدكتور عن طبع الجزء الثاني وأنا مستعد لمساعدته ان شاء .

الطائفة اليزيدية في شمالي العراق

قرأت في حلقة (العراق) رقم ١٠ من سلسلة (شعوب العالم) من مصدرات (دار المعارف بمصر) لمؤلفين كبيرين الأستاذين حسن محمد جوهر وكيل وزارة التربية ... ومحمد الحنفي شمس الدين المفتش ... فصلا عنوانه : (اليزيديون) — ص ٣١ — جاء في أوله : « هم طائفة تدعي نسبتها إلى الإسلام فيحملون القرآن الكريم ويسمون أولادهم بالأسماء الإسلامية » إلى أن يقولا : وكلمة يزيدية مشتقة من أصل فارسي وهو (يزدان) وهو اله الخير عند الزردشتيين ... » وهذه العبارة تتضمن أكثر من عجب فليس هناك اشتقاق بل نسبة بإضافة ياء مشددة والنسبة إلى يزدان يزداني لا يزيدي وما علاقة إله الخير بعد اقتصارهم على تقدير إله الشر ؟

انها زلة كبيرة من المؤلفين الكبيرين بعد دعواهما انتساب اليزيدية إلى

الإسلام والحل للقرآن ... ويغلب على الظن أنهما لم يكلفا نفسيهما مطالعة الكتب المثيرة ولعلها لم يسمعا بها ... بل اكتفيا ببحث مستشرق قاصر أو مبشر ماكر أو رجعي خاسر يريد الرجوع بالمسلمين إلى الأديان البائدة متخذاً من حال اليزيدية ذريعة دنيئة لتفريق العناصر الإسلامية . وربما شجعوا (البهائية) أيضاً لهذا الغرض ! ومنهم من يشجع احياء (المواقد) !

لقد نضج البحث عن أصل اليزيدية وألف فيه متقدمون ومتأخرون ولا نريد أن نكرر مكرراً لولا اضطرارنا إلى تنبيه اخواننا في البلاد النائية ونحن نحيلهم على كتاب في اليزيدية للمرحوم أحمد تيمور باشا في مصر وكتاب للأستاذ العزاوي في العراق وعلى رسالة للإمام ابن تيمية في مجموعة رسائله الكبرى وعلى كتاب المقريزي الذي يذكر (الزاوية العدوية) بين الزوايا المصرية وعلى وفيات الأعيان لابن خلكان — حرف العين — .

أما تقديس اليزيدية للشيطان فهو بدعة نكراء جاءتهم من طريق غلاة التصوف وكان الشيخ حسن العدوي لقي ابن عربي المشهور وانظر (حوادث المائة السابعة) المطبوع في بغداد والمنسوب إلى ابن الفوطي خطأً ! ص ٢٧١ .

ووجهة نظر غلاة التصوف أن الشيطان أبى السجود لغير الله وتحمل الإهانة والحرمان في سبيل توحيد الله فكان سيد الموحدين ! لقد ضلوا وأضلوا وموهوا وكذبوا فإن الشيطان لم يأب السجود لغاية نبيلة إذ عارض الله وقال له (خلقتني من نار وخلقته من طين) ! (وقال أأسجد لمن خلقت طيناً) ؟ فحرفوا مقاصد الكتاب ولم يستحوا من رب الأرباب .

واليزيدية في أصلهم مسلمون متعصبون للإسلام وكانوا على المذهب الشافعي كسائر الأكراد المجاورين لهم ولأنهم صوفية لا تزال بينهم مصطلحات صوفية كالقوّال وهو المنشد والفقير وهو المريد ونحن أخبر بهم لمجاورتنا لهم وممارستنا

لأحوالهم ولولا فشو الجهل بينهم لأمكن إعادتهم إلى الإسلام بالطرق الطيبة وبينهم عرب [١] لهجتهم قريبة من اللهجة السورية لأن أصل عدي (رح) سوري وأكثريتهم يتكلمون باللغة الكردية بحكم المجاورة وهم متوغلون في الشمال من القفقاس إلى الأنضول إلى سورية وكانت روسية تحميهم في العهد العثماني لما أراد العثمانيون إعادتهم إلى الإسلام بالقوة ٠

أما طائرهم الذي يجمعون به الصدقات ويقال له : (الديك) فانه رمز إلى (عزازيل) الذي كان سيد الملائكة في حينه ٠٠٠ وكان يتمتع بجمال فائق كجمال الطاووس بين الطيور !

ومن مصطلحاتهم (طاووس ملك) وهذه العجالة تكفي للتبصرة ٠

ان هذا المقال كتتمة وتفصيل لما استطردت إليه في تعليقي على تأريخ بغداد ٠

(بغداد) محمود الملاح

---

(١) العرب منهم يسكنون في بعشيقة وبحزاني من قرى الموصل ومن المنتسبين إلى بعشيقا الشيخ شمس الدين الذي غدر بأبناء بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل الذي كان نسكن برجال الطريقة وفي الأمثال (الالحاح يفك اللجام) ؛ وفي الموصل مرقد يقال له مرقد (الشيخ شمس) يزعم اليزيدية أنه منهم ! ومن السهل ربط هذا الاسم بسجود اليزيدية للشمس عند طلوعها . ينظر مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٤٩٣ إلى ص ٤٩٦ .

آراء وأنباء

أنور الجندي

مؤرخ الأدب العربي المعاصر

مهما قيل في توجيه النظرية الإقليمية في الأدب والتنويه بالمذاهب المتفرعة عنها فان الذي نراه هو أن الأدب العربي يتلاقى على صعيد الفكرة الجامعة والاتجاه الموحد ، وأن أنصار الاقليمية ينهزمون كل يوم في ميدان الأدب وفي ميدان السياسة على السواء . لأن أمر العرب إلى وحدة وكلهم إلى جمع وان جد المستعمرون وأذنابهم في تفرقتهم والتضريب بينهم .

ولقد كنا وما زلنا نعتقد أن الأدب العربي وحدة لا تتجزأ ، وأن ما يجد فيه من مذاهب واتجاهات هي وليدة تفاعل أفكار الأدباء العرب والتيارات الفكرية الحديثة التي طرأت على الأدب العربي بواسطة الترجمة عن الآداب العالمية والاطلاع على الثقافات الأجنبية المختلفة ، وليس شيء منها متولداً عن طبيعة الاقليم والسكان وخصائص الجنس والوراثة كما يحلو لبعضهم أن يعلل ذلك ، ولا نستدل إلا بأن أي مذهب أو اتجاه ظهر في بلد من بلاد العرب ، لا يلبث أن يتردد صداه في بقية هذه البلاد وينمو ويزدهر على يد أبناء العرب كافة كما كان الأمر فيما مضى حين كانت طريقة المتنبي التي ظهرت في المشرق تجد من أبي القاسم ابن هانئ راعياً لها في الأندلس حتى سمي بمتنبي المغرب . وكان البحتري يتمثل في ابن زيدون . والمعري وابن شهيد ، هذا في رسالة التوابع والزوابع وذلك في رسالة الغفران ، يكادان يردان من نبع واحد .

ولما ظهر التوشيح في بلاد المغرب وراجت سوقه بين أدبائها لم يهتم أبناء المشرق أن اصطنعوه واستكثروا منه حتى ألفوا فيه كتبا مخصوصة .

كذلك كان الأمر في الوقت الحاضر ، فما أن ظهر بعد الحرب العالمية الأولى ما يسمى بالأدب المهجري من انتاج الأدباء اللبنانيين والسوريين المستوطنين في الامريكتين حتى انتشر في العالم العربي وقلده الأدباء هنا وهناك . وفي فجر ظهوره وانتشار آثاره الأولى لجبران ونعيمة وأمين مشرق وغيرهم كان عندنا في طنجة محمد الحداد يكتب بذلك الأسلوب ويضرب على تلك النغمة حتى تحسبه أحد رواد ذلك المذهب . والآن نرى انتشار ما يسمى بالشعر الحر في العالم العربي وتجاوب دعاته وتحمسهم لبدعتهم بحيث لا يخلو قطر من الاقطار العربية من حامل لراية هذا المذهب ، فكيف يكون ذلك الا إذا كان الأدب العربي مظهراً لوحدة العرب ومادة عضوية في تكوين هذه الوحدة .

ان الذين يفهمون هذه الحقيقة كثيرون ، ولكن نشاط دعاة الاقليمية كان يطغى عليهم . ثم وقع الجزر في مد هذه الطائفة فاختفت أو كادت تختفي أمام الشعور الفياض الذي يغمر الشعوب العربية بوحدة تراثهم نتيجة لوحدة جنسهم ولغتهم وآمالهم وآلامهم .

وأمامي الآن عمل من أضخم الأعمال التي تشهد لهذه الفكرة وتدعم هذا الاتجاه ، وهو ثلاثة مجلدات ضخام من تأليف الأديب المصري المعروف الأستاذ أنور الجندي ، كل مجلد منها يؤرخ لناحية من نواحي النشاط الأدبي الذي قام في بلاد العرب منذ فجر النهضة الحديثة إلى الآن . فأولها يتناول موضوع « المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر » وثانيها يهتم بدراسة « المعارك الأدبية » في الشعر والنثر والثقافة واللغة والقومية والحضارة في العالم العربي

الحديث ، وثالثها يختص ببحث « الأدب الحديث » في معركة المقاومة والتجمع من المحيط إلى الخليج .

وهذه العناوين ليست دعاية فارغة بل هي واقع وحقيقة يتلمسها القارئ في كل صفحة من صفحات هذه الكتب التي لا تقل في أصغرها عن خمس مئة صفحة .

ومن عرف نشاط الأستاذ أنور الجندي وما له من عشرات المؤلفات في مسائل الأدب والتاريخ والفكر عامة ، يدرك مبلغ الإحاطة التي لكتبه هذه بالشاذة والفاذة من المسائل التي تناولها فيها .

فالمجهود جبار لا يتأتى إلا لجماعة من المختصين المنقطعين لهذا النوع من التأليف لو كانوا هناك ، ولكن واحداً من ذوي الهمم العالية والصبر المنقطع النظير والفهم العميق للأوضاع الفكرية القائمة في مختلف بلاد العرب التي تتداعى فيها الاتجاهات والأنظار ، هو أنور الجندي ، استطاع أن يقوم بهذه المهمة الشاقة وأن يؤديها بمفرده على أتم وجه .

انها في الحقيقة موسوعة أدبية تضاهي في قيمتها التاريخية ، بالنسبة للأدب العربي الحديث ، تاريخ الأدب العربي لبركلمان الشهير ، على أنها حسب برنامج الأستاذ المؤلف ما يزال لها ذيول طويلة تخرج بها في عشرة مجلدات تتناول معركة التغريب في الفكر العربي والصحافة السياسية في الأدب العربي المعاصر والشعر العربي المعاصر والقصة العربية المعاصرة ومعالم الأدب العربي المعاصر بين الحربين ومعالمه بعد الحرب الثانية ، وحقائق السياسة والفكر والاجتماع في الأمة العربية ، وهو برنامج حافل نرجو للأستاذ أنور الجندي أن تتاح له وسائل تحقيقه مع متمنياتنا له بدوام الصحة والعافية وأنه لمحققه بحول الله .

عبد الله كنون

غير ـــ الغير

المعاجم ، أم المعجمات ، أو كلاهما

اللغات ، مجلة عربية اللغة والنزعة ، تصدر في تونس الخضراء ، وتُعنى عِناية خاصة بالأدب والنقد .

ومن كتابها الذين ينبهون على ما تقع فيه الألسنة والأقلام من أخطاء : الدكتور الطاهر الخميري ، والدكتور ابراهيم السامرائي .

أنكر الدكتور السامرائي على زميله الخميري في المآخذ التي أخذ بها غيره من الكتاب : أن ادخل (ال) على « غير » في قوله « التعبير الغير الدقيق » وانه جمع مُعْجم على « معاجم » وحقها أن تجمع على « مُعْجمات » .

وكتبتُ كلمة بعثت بها إلى مجلة « اللغات » التونسية لصلة لي بها . ثم رأيت أن مثل هذه الموضوعات من حق المجامع أن تُعرض عليها ، لتبت فيها .

وهذا بعض ما كتبته في هذا الموضوع . أعرضه على أعضاء المجمع وقراء مجلته ، ليكون الرأي رأي جماعة ، لا رأي فرد .

١ — غير — هل يجوز دخول أداة التعريف عليها أم لا يجوز ؟ هـذه مسألة من المسائل التي كثر النقاش فيها . أنكر تعريفها كثيرون ، بحجة أن (غير) متوغلة في الابهام فلا يفيدها التعريف تعريفاً .

وعرفها بال كثيرون من المتقدمين والمتأخرين . قال السجاعي في باب كان وأخواتها : (كيف ، للاستفهام الغير الحقيقي) وقال الهوريني في مقدمته على المحيط : (ويترك الكلمات الغير المفتوحة) .

ادخل السجاعي والموربني (ال) على (غير) في حيث كانا في غنى عن ادخالها . لتمام المعنى من دونها . فلو أنهما قالا (للاستفهام غير الحقيقي) أو (الكلمات غير المفتوحة) لما اختلف المعنى . ولكان التعبير أخف وأرشق . والله تعالى يقول : (غير المغضوب عليهم) وهو الأسلوب العربي المُستساغ ، به يقتدى وعلى منواله ينسج [1] .

بقي أن القول : بأنه لا يجوز دخول أداة التعريف على (غير) لتوغلها في الابهام قول فيه نظر . فالنكرة تعرف بالإضافة ، كما تعرف (بال) فكيف جاز لنا أن نقول (غيري) وقال (غيره) وهل قولنا : (غيري فعل هذا) أكثر تعريفاً من قولنا (الغير فعل هذا) ؟

أما وقد جاز تعريف (غير) بالإضافة ، فلِمَ لا يجوز تعريفها (بال) حيث تقضي الضرورة ؟ قد يكون السبب في هذا المنع ، أن غير إذا دخلت عليها أداة التعريف ، لا يجوز أن تضاف إلى معرفة مثلها فقولنا : (الغير المغضوب عليهم) مما تنبو عنه الآذان ، ولا تستسيغه قواعد اللغة .

ثم ان (غير) إذا دخلت عليها (ال) منقطعة عن الإضافة كانت أخف وقعاً وأكثر صواغية . أليس في قول الموربني في مقدمته على المحيط : (توجيه الكلام لحو الغير) اوقع في الأذن من قوله نفسه ، في المقدمة نفسها (وبترك الكلمات الغير المفتوحة) ومن قول السجاعي : (كيف للاستفهام الغير الحقيقي) ؟

---

(١) وأسوأ من دخول (ال) على المتضايفين ، وأبعد عن قواعد اللغة ، وأعرق شذوذاً في الاعراب ، دخولها على المضاف دون المضاف إليه . في مثل قولهم (الغير دقيق) و (الغير حقيقي) .

واستئناساً بهذا ، استعمل رجال القانون ، ومن قبلهم رجال الشريعة (اعتراض الغير) (١) والغير هنا لها مدلول واضح ، ينفي عنها الابهام .

* * *

٢ — المعاجم ، ومما أنكره الدكتور السامرائي جمع (مُعجم) على (معاجم) قال :

ان (مُعْجَم) بصيغة اسم المفعول ، ولا تعرف في العربية أن (مُفْعَلاً) تجمع على (مفاعل) فهو جمع مُستَحدَث مبني على التوهم .... والوجه أن يقال (مُعْجمات) .

قال :

« وقد وقع شيْ من ذلك في مطلع هذا القرن . فقامت خصومة لغوية بين أسعد داغر والأب أنستاس الكرملي (٢) ... وقد ظن جماعة أن « المصاحف » مثل المعاجم ظناً منهم أن المفرد هو « مُصْحَف » بصيغة المفعول . وفصيحه (مِفْعل) بزنة اسم الآلة . »

نقول : ليس من خلاف في أن (مُفْعَل) بصيغة اسم المفعول يجمع قياساً على (مُفْعلات) غير أن لفظة (مُصْحَف) التي عدها الناقد بزنة اسم الآلة هي (مُصْحَف) اسم مفعول من أصحِف : أي جمعت فيه الصحف .

فلا علاقة له باسم الآلة .

ومثل المُصْحف :

(١) اعتراض الغير طريقة يلجأ اليها شخص ثالث اعتراضاً على حكم مجحف بحقه .

(٢) ليت الدكتور السامرائي ذكر لنا شيئاً عن هذه الخصومة اللغوية فنفيد منها في كلمتنا هذه .

المُجَسَّد ، اسم مفعول من « أجسِد » أي ألزق بالجسد ٠

والمُطرَّف ، اسم مفعول من « أطرف » وهو الثوب يجعل فيه علمان ٠

والمُغزَّل ، اسم مفعول من أغزل : أي أدير وفتل ٠

لا اسم آلة من غزَّل وان كان له وجه صحيح ٠

والمُخدَع : وهو اسم مفعول من أخدع أي كُتِم وأخفِيَ أو هو اسم مكان ٠ جعله سيبويه اسماً ٠

هذه الألفاظ جاءت كلها بصيغة اسم المفعول (مُفعَل) وجُمعت على (مفاعل) فقالوا مَصاحف ، ومَجاسد ، ومَطارف ، ومَغازل ، ومَخادع ، جمعاً لمُصْحَف ، ومُجسَد ، ومُطرَف ، ومُغزَل ، ومُخدَع ، على الأصل ، ولغة قيس ٠ أما تميم فقد استثقلوا الضم فعدلوا عنه إلى الكسر ٠ وكتب اللغة ، تذكر اللغتين : الضم والكسر ٠ ونحن بعد في الخيار ، نضم متابعةً لقيس وللأصل ، أو نكسر مشايعة لتميم وللتخفيف ٠

ولو أن العرب استعملوا (مُعجم) في ما أستعمل له اليوم ، لما ترددوا في جمعه على (معاجم) ٠

وأصحاب (المعجم الوسيط) ولهم مكانتهم اللغوية ٠ جمعوا (مُعجم) على معاجم وعلى (معجمات) ٠

وكثيرون غيرهم ممن يستأنس برأيهم جمعوه هذا الجمع ٠

والرأي بعد ، في هاتين اللفظتين للثقات من أساتيذ اللغة ٠

عارف النكدي

عالم الأندلس البكر

متى يكتب له النور

عالم الأندلس ، ما زال عالماً بكراً ، لا نعرف عنه إلا الأقل . ولا يمكن أن يغتفر في هذا العصر الذي انحسرت فيه جميع القيود والحدود ، أن يظل تراثنا الأندلسي مجهولاً عند الخاصة ، بله العامة ، لا سيما وأن العرب قد طالت مدة ضيافتهم [1] في هذه البقعة الأوربية حتى بلغت ثمانية قرون . فما يدرّس في مدارسنا إلا النزر اليسير عن تاريخ هذه الحقبة التي كادت تبلغ ثلثي مدة عيش الإسلام في الدنيا . وعناية الباحثين لا تنقع غلة حتى اليوم . وليس بين أيدي الذين يريدون أن يتبعوا ما كان في هذا الفردوس المفقود من علم وحضارة وعمران وتاريخ أي دليل منظم ، ولا غير منظم ، إلا ما وضع الفرنجة ، إما بشكل موجز ، يعرّفون فيه الناس على ما في أراضي دولتهم ، وإما دراسات لبعض علماء المشرقيات ، ليس فيها ، على جلالتها ، الغناء أو كل الغناء . وكلاهما بلغات غريبة عن العربية ، قل أن ينتفع بها طلاب المعرفة من أبناء العروبة . وما أدري ماذا صنعت جامعة الدول العربية ، ومعهد مخطوطاتها ، الذي صور قرابة مئة ألف مخطوط ، كثير منها عن مكتبات اسبانيا ؟ وهل قنعت في زمن ما هذه الأقلام في خزائنها ؟

ولقد دلتني الرحلتان القصيرتان اللتان قمت بهما إلى اسبانيا ، في نيسان وتشرين الثاني من عام ١٩٦٣ ، على أن تراثنا ما زال بعضه بين أيدي الناس ، ولعله لا يقل أهمية عما في الخزائن العامة ، إن لم يكن أهم منه . ذلك أنني تعرفت

---

(١) استعرت تعبير (الضيافة) من الكتاب الجليل الذي بدأه ولم يتمه العلامة الأمير شكيب أرسلان رحمه الله وسماه (الحلل السندسية ، في الأخبار والآثار الأندلسية) . ولم يصدر منه الا ثلاثة أجزاء . والأجزاء الباقية بقيت في طي الغيب . (راجع الجزء الأول – صفحة ١٥٤) .

في مدريد على القائم بأعمال الجمهورية اللبنانية فيها ، الأستاذ عادل اسماعيل ، وهو رجل مثقف مطلع ، مختص بالتاريخ الإسلامي ، وأطلعني على مخطوطة عربية ابتاعها من الأسواق ، اسمها (نظام الحلل في تاريخ الدول) للسان الدين ابن الخطيب . والكتاب معروف ومطبوع ، ولكن الذي استرعى انتباهي أمران اثنان :

أولهما — أن هذه المخطوطة قد كتبت في عصر المؤلف (١) ، فقد جاء في آخرها : كتب يوم السبت في ٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣ هـ ، فهي إذن من أصح النسخ ، وأوثقها .

وثانيهما — وهو أهمها أن الأستاذ عادل اسماعيل ، قد ابتاع هذه المخطوطة من وراق عادي في مدريد القديمة . وهذا الوراق قد وصلت إليه من إحدى التركات . وهذا يدل على أن الكثيرين من الإسبانيين ما زالوا يحتفظون حتى اليوم بالمخطوطات العربية في دورهم ، بدون أن يعرفوا قيمتها ، ولا محتواها . ولعلنا لو بحثنا عما في أيدي الناس من هذه المخطوطات لوجدنا الشيء الكثير ، ولعل البحث يكشف عن كنوز أعظم وأثمن من الكنوز التي تحتويها خزائن المكتبات العامة .

إننا نرى البعثات الأجنبية الأثرية (دانمركية وفرنسية وأمريكية وغيرها ...) تفد إلى البلاد العربية للبحث والتنقيب عن آثار الحضارات القديمة ، على اختلاف أعراقها وأزمانها ، وتنفق حكوماتها في هذا السبيل الأموال الطائلة ، وهي لا تبغي من وراء ذلك إلا خدمة العلم ، خدمةً خالصة ، من دون أن تكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذه الحضارات ، ولا بأهليها ، وهي ليست منتسبة إليها من قريب أو بعيد ، إلا بنسبة الإنسانية والعلم والحضارة ، وأكرم بها من نسبة .

---

(١) توفي لسان الدين عام ٧٧٦ هـ أي أن هذا المخطوط كتب قبل ثلاثة عشر عاماً من وفاته .

ونرى إلى جانب ذلك دولاً عربية حرة ، منتشرة من الخليج إلى المحيط ، وفيها وزارات للثقافة والإرشاد ، وفيها مجامع علمية وجامعات ، ولها سفارات ، ولم نعرف أن واحدة منها قد فكرت في أن تخدم آثار حضارتنا نحن في الأندلس ، التي عاشت حية ثمانمئة سنة ، ثم امتدت إلى ما بعد ذلك بقرون ، ولا أبالغ إذا قلت أنها ممتدة إلى يوم الناس هذا ، وهي بحر زاخر ، قد يستغرق الإلمام به عدداً عديداً من السنين ، هذا إذا جند له المختصون من العلماء ، المخلصون في خدمة العلم ، وليسوا قلة ولله الحمد ، بل هم عدد وفير ، ومنهم من يتلهف على تحقيق هذا الغرض النبيل .

وقد تعجب حينما تعلم أن بعض الاسبانيين ، الذين يفاخرون بأن أصلهم عربي ، قد عادوا اليوم إلى تزيين دورهم بالأحرف والأرقام العربية ، فلقد رأيت بأم عيني كتابات وأرقاماً عربية في الطريق بين مدريد وطليطلة ، على جدران البيوت الخارجية ، اعتزاز بها وتمجيداً لأصحابها ، ثم ترى عزوفنا ، نحن العرب ، عن أن نعرف ماذا كان في هذه الرقعة من الأرض ، وماذا فعل العرب فيها ، ومَن أنجبت ، وماذا تركوا من مخلفات ، في شؤون الفكر والعلم ، أو في شؤون العمران ، أو في غير ذلك .

ولم يكن يخطر لي في بال ، أن اللغة العربية ، بقيت لغة الناس في طليطلة خمسمئة سنة بعد جلاء المسلمين عنها ، حتى قرأت ما أورده الأمير شكيب رحمه الله في مجلده الأندلسية — الحلل السندسية — نقلاً عن المستشرق الإسباني (أنجل غوانزاليز بالانسيه Angel Gonzalez Palencia) الذي كان أستاذاً للأدب العربي في مجريط (١) « لقد جمع هذا الأستاذ تحت عنوان (نصف العرب ، أو موزاراب طليطلة ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر) عدداً كبيراً من الصكوك والوثائق التي كانت تكتب في طليطلة لذلك العهد ، نبلغ ذلك

(١) راجع ص ٣٦٦ من الجزء الأول .

ثلاثة مجلدات ، فيها ما يناهز ألف صفحة بالقطع الكبير مع ترجمتها بالإسبانيولي » .

وقد ساق الأمير رحمه الله نماذج من هذه الوثائق والصكوك (١) ، وكلها مكتوب بعد عام ١٠٨٥ للميلاد ، أي بعد أن خرجت طليطلة من أيدي المسلمين . ومواضيع هذه الصكوك كثيرة التنوع ، بحيث لم تترك ناحية من نواحي المجتمع الطليطلي إلا امتدت إليها ، وفي هذه دلالة واضحة على أن العربية كانت لغة المجتمع بأسره ، لا لغة حاجة معينة ، ولا لغة المترفين أو المثقفين أو الارستقراطيين . فترى في هذه النماذج مثلاً عقود بيع وشراء ، وفي بعضها إشارة إلى بوار البساتين وقطع الثمار ، وفي عقد آخر تصريح بأن حدود الدار المبيعة في الشرق إسطبلٌ كان مسجداً في القديم (كذا) ، وفي غيرهما دلالة على أن الأسرى من النصارى والمسلمين كانوا يباعون بالمناداة وبالوثائق ، وفي صك رابع ترى شراء المسلمين لحريتهم ، وهي (المكاتبة) المعروفة في الشريعة الإسلامية ، وفي بعض الوثائق سندات دين ، أكثرُ المتعاملين فيها من اليهود . ومن غريب هذه الصكوك صك يتضمن استرهان الأسارى ، والتعامل بهم ، كأنهم من جملة الأموال . وأعجب منه صك وقف ، كان الواقف فيه مسيحياً ، وكان القاضي عربياً أو مستعرباً ، بعد نحو مئة وسبعين سنة من جلاء المسلمين عن طليطلة ، كما كان صاحب المدينة منهم . كذلك عقود النكاح بين النصارى كانت تدون باللغة العربية ، كما يدل على ذلك صك مكتوب عام ١٢٢٣ م أي بعد مئة وثمان وثلاثين سنة من الجلاء . ومن بينها أيضاً عقود الوصية . ومما هو حري بالبحث والدرس لغة هذه الصكوك والوثائق ، والاصطلاحات الكثيرة الواردة فيها . وقد اجتهد الأمير رحمه الله في حل كثير من غامضها .

هذا بعض الأثر الذي تركه العرب في إسبانيا ، حتى بعد جلائهم عن بعض مناطقها . لقد انتدب هذا الأستاذ الإسباني نفسه لجمع هذه الصكوك والوثائق ،

(١) من صفحة ٣٦٦ إلى صفحة ٤٢١ من الجزء الأول .

ولعل فيما لم يشر به الأمير رحمه الله ، في النزر اليسير الذي نقله ، نواحي أخرى خليقة بأن تكشف لنا عن بعض حقائق تاريخنا ، أو امتداد تاريخنا في اسبانيا . وكم يا ترى مثل هذه الكنوز ، في الأرض الأندلسية ، ولا يدري أحد عنها شيئاً ؟

ومن أعظم ما كشف الأمير الأرسلاني عنـه رحمه الله في كتابه هو المراسلات السلطانية بين ملوك ووزراء العرب والفرنجة ، وهي وثائق أهداها إليه الحاج محمد العربي بنونة من أعيان تطوان ، وقد ساقها مع التعليق عليها في قرابة مئة وعشرين صفحة من الجزء الثاني [1] . والذي يفهم مما أورده الأمير أن هذه الوثائق أهديت إلى أخ الحاج محمد العربي بنونة ، ولكنها ناقصة ، فقد ورد في الكتاب الذي بعث به إلى الأمير قوله [2] : « ولم يقدموا المجموعة للمرحوم أخي كاملة ، لأن أرقامها غير مرتبة . ولست أدري هل ذلك مقصود منهم ، أم من باب المصادفة ؟ » .

ومما يدخل في هذا الباب ولا يقل عنه شأناً وثائق أخرى رآها الحاج المشار إليه في مدينة (سلا) وقال عنها ، تتمةً لكتابه السالف الذكر : « أقول هذا لأني أذكر أنني رأيت عدة ظهائر [3] موجودة بهذه المجموعة عند المرحوم محمد بن الحسن سامي ، أحد الغواة (كذا) بجمع الآثار بمدينة سلا ، وأذكر أنها واضحة الكتابة أكثر من هذه ، وبها تهديد مثالب بعض الأمراء الاسبانيين ، رأيتها سنة ١٣٤٨ ، في آخر مرة زرت فيها المنطقة السلطانية ، أي قبل صدور الظهير البربري الذي منع دخولنا إلى تلك المنطقة . ثم توفي سامي إلى رحمة الله . ولست أدري ما صنع الله بمجموعته . »

---

(١) من صفحة ٢٢٩ من الجزء الثاني حتى آخر الكتاب .

(٢) الجزء الثاني صفحة ٢٨٦ .

(٣) كأنها تفيد : المراسيم بلغة هذا العصر .

هذا غيض من فيض ، أو نقطة من بحر ، مما عرف الناس عن حكم العرب لاسبانيا . كشف بعضه الفرنجة ، وما زال الباقي ينتظر همم العرب من أبناء هذا الزمان للكشف عنه .

ان المدة الطويلة التي عاشها المسلمون في اسبانيا ، تؤلف جزءاً ضخماً من تراثنا الضخم . ولست أفاضل بين مشرق ومغرب ، كما كان يفعل الأقدمون ، بدافع من العصبية التي محاها الإسلام ، لا سيما وأنه لم يبق لنا من الأندلس إلا التراث والذكرى . ولكني أعتقد أن العبقريات الكبيرة التي نبغت في أرض الأندلس (١) ، وكاد ذكرها يندرس ، لا تقل عن العبقريات التي نبغت في المشرق . وقد وجد شآميون حرصوا على نشر بعض ما يتعلق بالشام ، ووجد قاهريون نبشوا بعض ما ألف عن القاهرة أو فيها ، وكذلك في بغداد وتونس والمغرب . أما الأندلس فقد أضحت في زماننا هذا ، ومنذ نحو خمسمئة عام يتيمة ليس لها من يكشف محاسنها ، ويجلو مفاخرها . الا ما اتفق لبعض الأفراد من العرب أو الفرنجة ، وهو أقل من القليل . فينبغي أن يعتبر تراثها تراثاً مشتركاً بين العرب كافة يأخذ كل فريق منهم بنصيب في خدمة آثارها ، ولا أغالي إذا قلت : أسحارها الباقية . واني لأهيب بالدول العربية ، وبالمجامع العلمية ، وبالجامعات ، وبوزارات المعارف ، أن تولي هذا الموضوع الخطير حقه من العناية والاهتمام ، وأن تختار جلة من العلماء ، يصحبهم فريق من الشباب المثقف ، لينصرفوا الى أحصاء مخلفات العرب في الأندلس ، في جميع الميادين ، احصاء علمياً دقيقاً ، قائماً على البحث ، متذرعين بالصبر الطويل ، وإن تمادى ، وأن ينشر من المخطوطات ما هو خليق بالنشر ، سواء أكان يتعلق بالعلم ، أم بتاريخ العلم ، وسواء أكان في الأدب ، أم في غير ذلك من الشؤون . فلقد

(١) رأيت عجباً من العجب في تراجم من نبغ في طليطلة وحدها من الأئمة . ولعلي أفرد لذلك بحثاً خاصاً .

أشار الأمير الأرسلاني رحمه الله إلى العناء الذي كابده في زيارة خزائن الكتب العامة [1] ، وكم قضى فيها من الأيام ، باحثاً منقباً ، وناسخاً أحياناً .

وليس هذا العمل ، في هذه الأيام ، من عمل الأفراد ، وانما هو منوط بالدول أو المؤسسات العامة التابعة لها ، فهي وحدها القادرة على الإنفاق ، وهي وحدها المسؤولة عن احياء التراث . أما عمل الأفراد ، فلا يعدو أن يكون رغبة اعتلجت في النفس ، أو هوى استأثر بها واستبد . وليس فيه الغناء المنشود ، وإن كان لا يخلو من نفع .

اننا نرى الباحثين في عصرنا هذا من علماء الغرب ، يحرصون على قصاصة ورق تتعلق بتاريخ أمتهم ، أو على نقش تافه باق على حجر قديم ، أو على أي أثر من الآثار التي تتصل بحضارتهم ، مهما قل شأنه . وترى العالم منهم يطوي البراري ويركب البحار ، ليبحث عن موضوع صغير ، أثيرت حوله شبهة ، أو ظهرت فيه روايتان . ونحن نرى بين سمعنا وأبصارنا عشرات الألوف من المجلدات ، وما لا يحصى من الآثار الشواهد البواقي ، ولا ندري عنها شيئاً ، ولا نسعى لنشرها بين الناس ، ولا نعلّم أبناءنا ما ينبغي أن يعلموا في المدارس . ولو كتب لك أن تلقي نظرة على برامج التاريخ في جميع مراحل التعليم ، لأنكرت كل الإنكار هذا الاهمال الذي شمل الأندلس ، وهي كما قلت ، ثلثا عمر المسلمين في الدنيا .

اني لأرجو أن تلقى هذه الدعوة حقها من العناية ، وأن لا تكون صيحة في واد .

ظافر القاسمي

---

(١) راجع في الصفحة ٣٥٠ وما بعدها الوصف الرائع لخزانة الكتب الوطنية في مجريط وحدها .

تسمية ثلاثة شوارع بأسماء
المرحومين محمد كرد علي وخليل مردم بك ومحمد البزم

القرار ذو الرقم ٦١/٨٥

الصادر يوم ٤/٣/١٣٨٣ و ٤/٨/١٩٦٣

ان المكتب البلدي :

بناء على كتاب رئاسة المجمع العلمي العربي بدمشق رقم ١٢٥ تاريخ ٦/٦/١٩٦٢ المتضمن اقتراح تسمية شارعين من شوارع مدينة دمشق باسم العلامة المرحوم محمد كرد علي والشاعر الكبير المرحوم خليل مردم بك . وبناء على كتاب وزارة الشؤون البلدية والقروية رقم ٤٣٦٣/ص — ١/١ المتضمن الموافقة على تلبية الطلب واتخاذ الاجراءات اللازمة .

وبناء على حاشية رئاسة مكتب التخطيط المؤرخة في ١٦/٧/١٩٦٣ المتضمنة اقتراحها تسمية الشارعين المطلوبين الأول باسم شارع خليل مردم بك ويمتد بين شارع عبد الملك بن مروان شرقا وشارع عدنان المالكي غرباً .

والثاني باسم شارع محمد كرد علي ويمتد بين شارع عدنان المالكي شرقاً وحتى الساحة الواقعة في نهاية شارع الرشيد غرباً وذلك كما هو مبين على المصور المرفق .

وبناء على حاشية مديرية الشؤون الفنية المؤرخة في ١٧/٧/١٩٦٣ .

ولما كان المكتب قد رأى تسمية الشارع الممتد بين شارع عدنان المالكي شرقاً والشارع الممتد من ساحة الأمويين باتجاه منطقة الجريد غرباً باسم شارع محمد البزم وذلك لذكرى هذا الشاعر الكبير .

وبناء على الصلاحيات التي يمارسها بموجب القانون .

وبعد المذاكرة :

قرر ما يلي :

١ — تسمية الشارع الممتد بين شارع عبد الملك بن مروان شرقاً وشارع عدنان المالكي غرباً باسم شارع خليل مردم بك .

٢ — تسمية الشارع الممتد بين شارع عدنان المالكي شرقاً وحتى الساحة الواقعة في نهاية شارع الرشيد غرباً باسم شارع محمد كرد علي .

٣ — تسمية الشارع الممتد بين شارع عدنان المالكي شرقاً والشارع الممتد من ساحة الأمويين باتجاه منطقة الجريد غرباً باسم شارع محمد البزم .

وذلك كما هو مبين على المصور المرفق .

نشر في ١/٨/١٩٦٢

أمين العاصمة

ابراهيم الجزاوي

أمين السر

التوقيع : محمد الجبان

Bibliotheca Alexandrina
06552731